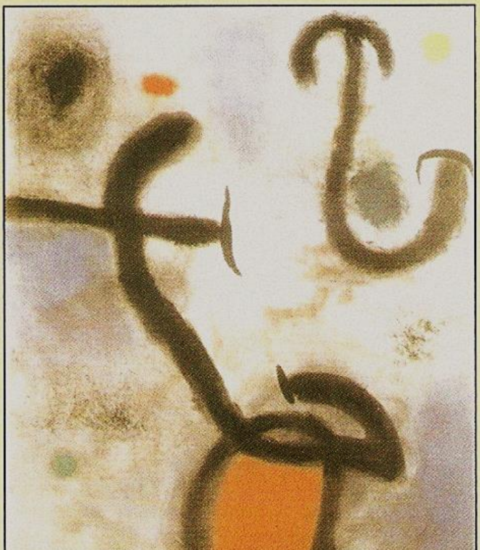
ادموند هوسّرل

دروس في فينومينولوجيا الوعي الباطنيّ بالزّمن



ترجمة

لطفي خيرالله

منشورات الجمل

ادموند هوسّرل

دروس في فينومينولوجيا الوعي الباطني بالزّمن

ادموند هوسّرل

دروس في
فينومينولوجيا الوعي الباطنيّ
بالزّمن

ترجمة
لطفي خيراللّه

منشورات الجمل

ادموند هوسرل (١٨٥٩ ـ ١٩٣٨) فيلسوف ألماني. شغل منذ عام ١٩٠١ كرسي الإستاذية في جامعة غوتنغن ومنذ عام ١٩١٦ في جامعة فرايبرغ. من أشهر تلامذته: مارتن هايدغر.

EDMUND HUSSERL: Vorlesungen zur Phänomenologie des inneren Zeitbewusstseins

ادموند هوسرّل، **دروس في فينومينولوجيا الوعي الباطنيّ بالزّمن**،
ترجمة: لطفي خير اللّه

ص.ب: ٥٤٣٨ ـ ١١٣، بيروت ـ لبنان
تلفاكس: ٦٦٨١١٨ ٠١ (٠٠٩٦١)

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a.N . Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: info@al-kamel.de

القسم الأوّل

دروس سنة ١٩٠٥

في فينومينولوجيا الوعي الباطنيّ بالزّمن

المقدّمة

إنّ الفحص عن الوعي بالزّمن قد كان منذ القدم الصّخرة الكَأْدَاءَ لِعِلْمَين اثنين، علم النّفس الوصفيّ، وعلم المعرفة. وأوّل من تَبَيَّنَ بِحَقٍّ صعوباته الجمّة، وكان قد تَعِبَ فيه حتّى كاد ييأس إنّما هو القدّيس **أُغُسْطِين**. واليوم كذلك، فكلّ من طلب معرفة أمر الزّمن، فلا غُنْيَةَ له من أن يُدْمِنَ النّظر في الفصل الثّالث عشر وسائر الفصول إلى الفصل الثّامن والعشرين من المقالة الحادية عشرة من كتاب **اعترافاتي**. إذ أنّ العصر الحديث المتكبّر كثيرا بعلمه، ما نراه قد أفادنا بشيء يُذْكَرُ في مسألة الزّمن، أو قال قولا زاد به زيادة بَيِّنَةٍ عَمَّا قاله ذلك العالم النِّحْرِيرُ الّذي كان قد خاض فيها بِصِدْقِ الهِمَّةِ. بل لنا اليوم أن نقول كقول القدّيس **أغسطين** «لئن لم أُسْأَلْ في الزّمن ما هو عَلِمْتُ ما هو، وإن سُئِلْتُ ما هو، جَهِلْتُ ما هو».

وبِحَقٍّ، فكلّ النّاس تعلم ما الزّمن. وهو أعرف الأشياء جميعا. ثمّ إنّا إذا أخذنا نطلب معرفة ما عِلَّةُ الوعي بالزّمن، وأيّ علاقة حقيقيّة توجد بين الزّمن الموضوعيّ والوعي الذّاتيّ بالزّمن، وكيف أنّ الموضوعيّة الزّمنيّة، أو كلّ موضوعيّة شخصيّة، إجْمَالاً، إنّما تَنْتَشِئُ[١] في الوعي الذّاتي الزّمنيّ، أو كلّما رُمْنَا فقط أن نفحص عن الوعي الذّاتّي المحض للزّمن، وعن الفحوى الفينومينولوجيّ لِمَعَايِيشِ[٢] الزّمن، فَمَا نَلْبَثُ أن نَضِيعَ في صعوبات جمّة، ونَتُوهَ في تناقضات، ومجاهيل غريبة أَيَّمَا.

وقد أرى بأن أبدأ بحثي هذا بما قاله **برنتانو** في أمر الزّمن. ولَهَفَنَا على أنّ

---

(1) Se constitue.

(2) Vécus, vécu.

برنتانو ما كان نشر أقواله قطّ، إلاّ ما كان قد أفاد به طَلَبَتَهُ. وقد نجد بسطا لِبَعْضِهَا مَبْثُوثًا في مصنّف **مارتي** ذي العنوان **في نموّ الحسّ اللّونيّ**، الّذي نشره آخر العقد السّابع، أو في مصنّف **ستوف** ذي العنوان **في علم نفس الحسّ**.

الباب الأوّل: في إسقاط[1] الزّمن الموضوعيّ

كذلك ولا بدّ أوّلا أن نُنَبِّهَ إجمالا على أمور. إذ غايتنا إنّما بأن نفحص عن الوعي بالزّمن فحصا فينومينولوجيّا. وهذا سَيَقْتَضِي كَكُلِّ فحص فينومينولوجيّ أن نُسْقِطَ تامّ الإسقاط كلّ ضروب فرض وجود الزّمن الموضوعيّ أو إثباته أو الإيمان به، أي إسقاط كلّ مقدّمة ذات تعلّق بالوجود المُفَارِقِ[2] لِشَيْءٍ من الأشياء. وهو جَائِزٌ جدّا بالاعتبار الموضوعيّ أن يكون كلّ مَعِيشٍ ذا موضع في الزّمن الموضوعيّ الواحد ككلّ وجود واقعيّ أو ككلّ جزء وجوديّ واقعيّ، وَلِذَا فالمعيش الإدراكي للزّمن، وتصوّر الزّمن فهو نفسه ذو موضع في الزّمن الموضوعيّ الواحد. وجَائِزٌ جِدًّا أن يطلب أحدنا معرفة ما الزّمن الموضوعيّ لِبَعْضِ المعاييش، كالمعيش الأصليّ للزّمن. بل لَجَائِزٌ كذلك أن يكون بحثا نافعا أن نطلب ما العلاقات الموجودة بين الزّمنين، الزّمن الذّي عند الوعي زمن موضوعيّ، والزّمن الموضوعيّ الواقعيّ، وإن كانت هناك مُنَاسَبَةٌ بين الفصول الزّمنيّة المُقَدَّرَةِ، والفصول الزّمنيّة الموضوعيّة الواقعيّة، وإن لم تكن مُنَسَابَةٌ، فكيف تكون المُبَايَنَةُ بينها. بيد أنّ هذا الفعل ليس بالّذي من مشمولات الفينومينولوجيا. إذ أنّه فكما أنّ الشّيء الواقعيّ، والعالم الواقعيّ ليسا هما بِمُعْطَى فينومينولوجيّ، كذلك فزمن العالم، أي الزّمن الشَّيْئِيُّ، أي زمن الطّبيعة الّتي هي مطلوب العلوم الطّبيعيّة، ليس هو بمُعْطَى فينومينولوجيّ، لِذَا فإنّ زمن علم النّفس من حيث هو علم طبيعيّ موضوعه النّفسانيّ، ليس أيضا بِمُعْطَى فينومينولوجيّ.

---

(1) Mise hors circuit.

(2) Etre transcendant.

ولكن من يسمعنا نتكلّم في الفحص عن الوعي بالزّمن، ونقول بأنّ موضوعات الإدراك، أو التّذكّر، أو التّرقّب إنّما هي موصوفة بالزّمنيّة، فقد يظنّ بلا ريب بأنّا إنّما قد وضعنا الصّيرورة الموضوعيّة للزّمن، ولَسْنَا الآن نبحث، في الحقيقة، إلاّ في الشّروط الذّاتيّة الّتي بها يَصِحُّ أن يُحْدَسَ الزّمن، أو أن تكون لنا به معرفة مخصوصة. ومع ذلك فالّذي نضع وجوده، ليس هو الزّمن العَالَمِيَّ، أو المُدَّةَ الشَيْئِيَّةَ، أو ما أشبههما، بل الّذي نضع وجوده إنّما الزّمن الظّاهر بما هو ظاهر، والمدّة الظّاهرة بما هي ظاهرة. وإنّ ذينك لَمُعْطَيَانِ مطلقان من الخلف أن يُشَكَّ بهما. كذلك، وبِحَقٍّ، فنحن أيضا إنّما نضع زمنا موجودا، ولكن ليس زمن العَالَمِ الّذي هو مطلوب التّجربة، بل الزّمن الباطنيّ، زمن صيرورة الوعي. فمثلا الوعي بِحُدُوثٍ صَوْتِيٍّ ما، أو بحدوث نَغَمِيٍّ أسمعه الآن إنّما يُرينَا تَعَاقُبًا بديهيّ الحقيقة، شأنه أن يجعل كلّ شكّ به، أو نفي له أيّا كانا، ضربا من الخلف.

أمّا ما المقصود بذلكم الإسقاط للزّمن الموضوعيّ، فقد يصير بَيِّنًا أكثر لو قِسْنَاهُ إلى المكان، إذ بين الزّمن والمكان تُوجَدُ أمور بَيِّنَةُ التَّشَابُهِ كان قد نُبِّهَ إليها مرّات مُتَكَرِّرَةً. ففي المعطى الفينومينولوجيّ يوجد الوعي بالمكان، أي يوجد المَعِيشُ الّذي فيه إنّما يحصل «حدس المكان» إمّا على أنّه إدراك أو على أنّه تخيّل. وإذا ما فتحنا أعيننا، فبَصَرُنَا إذًا سَيَنْفِذُ في المكان الموضوعيّ، على معنى، وكما يُرِينَاه الفحص الرَّوَوِي[1]، إنّه يوجد محتويات حسّيّة بصريّة هي الّتي تُؤَسِّسُ كلّ حدس للمكان، وتؤسّس كلّ ظهور للأشياء على أنّها مُنْتَظَمٌ بعضها إلى بعض بهذا أو هذا النّحو. فلو نُجَرِّدُ كلّ معنى مُفَارِقِيٍّ ونُقْصِرُ الظّهور الإدراكيّ على محتوياته الأولى المعطاة، فسنرى فيها مُتَّصِلَ[2] الفصل[3]

---

(1) Analyse réflexive, réflexion.

(2) Continuum, continuité.

(3) Champ.

البصريّ، وهو فصل شِبْهُ[1] مَكَانِيٌّ، ولكنّه ليس بمكانيّ، ولا بسطح في المكان: وبالجملة، إنّما هي كَثْرَتَانِ مُتَّصِلَتَانِ اثنتان. وفيها سنرى علاقات كهذه الواحد قريب من الآخر، والواحد فوق الآخر، والواحد في الآخر، وسنرى خطوطا مُغْلَقَةً تَحُدُّ بالتَّمَامِ فصلا ما مكانيّا، وهلمّ جرّا. ولكن كلّ هذه العلاقات ليست بالعلاقات المكانيّة الموضوعيّة. إذ لا معنى إطلاقا لِقَوْلِ القَائِلِ أنّ جزءا من الفصل البَصَرِيِّ هو بعيد بِمِتْرٍ عن زاوية البيت، أو عن تلكم الطّاولة، أو بأنّه قريب منها أو تحتها، وهلمّ جرّا. فبَيِّنٌ نِعِمَّا بأنّ ظهور الشّيء ليس بذي موضع في المكان ألبتّة، وليس بذي علاقات مكانيّة أيّا كانت: فمثلا إنّ ظهور البيت ليس بالقريب من البيت، ولا فوقه، ولا بالّذي يبعد عنه مترا من الأمتار، وهلمّ جرّا.

والأمر هو هو في الزّمن. إذ الإِخَاذُ[2] الزَّمَنِيَّةُ، والمعاييش الّتي فيها يظهر الأمر الزّمنيّ ظهورا موضوعيّا، فكلّها إنّما هي معطيات فينومينولوجيّة. وكذلك تُعْطَى إِعْطَاءً فينومينولوجيّا كلّ أجزاء المعيش الّتي تؤسّس تأْسِيسًا مَخْصُوصًا الإِخَاذَ الزّمنيّة من حيث هي كذلك، أي الّتي تؤسّس تأسيسا مخصوصا المحتويات الزّمنيّة المخصوصة الممكنة، وهي الّتي اعتاد أهل الاعتدال من أشياع الفِطْرِيَّةِ أن يُسَمُّوهَا بالأمر الزّمنيّ الأصليّ. ولا شيء من كلّ ذلك هو أمر زمنيّ موضوعيّ. فالفصل الزّمنيّ الأصليّ ليس بِقِطْعَةٍ زمنيّة موضوعيّة، والآن المَعِيشُ مع تَجْرِيدِهِ من غيره ليس إطلاقا بنقطة في الزّمن الموضوعيّ، وهلمّ جرّا. بل المكان الموضوعيّ، والزّمن الموضوعيّ، ومعهما عالم الأشياء الموضوعيّ، وعالم الحدوث الواقعيّة، فكلّها إنّما هي أمور مُفَارِقَةٌ.

---

(1) Quasi.

(2) Appréhensions, appréhension.

تنبيه :

ـ ولا نريد بالأمر المفارق، مثلا المكان أو الواقع الصّوفيين، أي ذاتك بما هما شيء في ذاته. بل أُرِيدُ بالأمر المفارق المكان الظّاهريّ، والواقع المكانيّ الزّمنيّ الظّاهريّ، والصّورة المكانيّة الظّاهرة، والصّورة الزّمنيّة الظّاهرة. فلا واحد من هذه الأشياء يجوز أن يُقَالَ فيه إنّه مَعِيشٌ. أمّا مُنْتَظِمُ السّلسلات الّتي قد نجدها في المعاييش من حيث هي أمور باطنيّة حقيقيّة، فلا يمكن البتّة أن نُصِيبَهَا في عالم التّجربة الموضوعيّ، وَ لاَ أن تَنْسَلِكَ فيه ـ.

ولا تكون الفينومينولوجيا النّاظرة في المكان مُسْتَوْفِيَةً حتّى تنظر في معطيات المكان الّتي يضعها أيضا أشياع الفطريّة في الرَّأْي[١] النّفسانيّ[٢]، وهذه المعطيات الفينومينولوجيّة المكانيّة إنّما تُنْشِئُ الوجود الباطنيّ للفصل الحسّي البصريّ، وتُنْشِئُ نفس هذا الفصل الحسّي البصريّ. ونسبة تِلْكُمُ المعطيات المكانيّة إلى الأمكنة الموضوعيّة الظّاهرة كنسبة معطيات الكيف إلى الكيفيّات الموضوعيّة الظّاهرة. فلو زَعَمَ زَاعِمٌ بأنّ تلك هي علامات[٣] مكانيّة، فلابدّ أن يقول في هذه إنّها علامات كيفيّة. إنّ الأحمر المُحَسَّ هو معطى فينومينولوجيّ إذا ما نَفَخَ فيه فعل أَخْذِيٌّ مُعَيَّنٌ أحضر كيفا موضوعيّا. لكن هو نفسه فليس بكيف. أمّا الكيف الحقيقيّ، أي الصّفة الّتي تكون صفة الشّيء الظّاهر، فليس بالأحمر المُحَسِّ، بل إنّه الأحمر المُدْرَكُ. ولا يُسَمَّى الأحمر المُحَسُّ أحمر إلاّ بالاشْتِرَاكِ، إذ أنّ الأحمر إنّما بالحقيقة هو اسم لِكَيْفٍ شَيْئِيٍّ. وإن كان في بعض الأمور في الفينومينولوجيا قد نتكلّم عن مطابقة بين الأحمرين، ومع ذلك فلابدّ أن نُنَبِّهَ جَيِّدًا إلى أنّ الأحمر المحسّ لا يصير حقيقة مُحْضِرَةً لِكَيْفٍ شَيْئِيٍّ إلاّ إذا تَسَلَّطَ عليه فعل الأخذ. فأمّا إن نُظِرَ إليه مع تجريده من الفعل المذكور، فلن

---

(1) Attitude.

(2) Psychologique.

(3) Signes.

يُرَى بأنّه حقيقة مُحْضَرَةٌ، ولن يكون أبدا فعل المطابقة[1] بين الشّيء المُحْضِرِ والشّيء المُحْضَرِ هو فعل مطابقة لِوَعْيٍ يُنْشِئُ الحقيقة الواحدة، أي وعي يكون مُتَعَلّقُهُ إنّما يوسم بأنّه الواحد والهوهو[2].

وكما نصف بالمُحَسّ كلّ معطى فينومينولوجيّ إذا اقترن بالأخذ جعلنا نعي بشيء ما موضوعيّ على أنّه معطى بشخصه، فيُسَمَّى لذا بالمُدْرَكِ إدراكا موضوعيّا، كذلك وعلى هذا القياس، فلنا أن نَتَبَيَّنَ ضربين اثنين من الزّمنيّ، ضربا أوّلا وهو الزّمنيّ المُحَسُّ، وضربا ثانيا وهو الزّمنيّ المُدْرَكُ. والمقصود بالثّاني الزّمن الموضوعيّ، والأوّل نفسه ليس بِزَمَنٍ موضوعيّ ولا بِمَوْضِعٍ في الزّمن الموضوعيّ: بل إنّه مُعْطَى فينومينولوجيّ إذا اقترن بالأخذ التَّجْرِبِيِّ انْتَشَأَتْ كلّ علاقة بالزّمن الموضوعيّ. فالمعطيات الزّمنيّة، أو العلامات الزّمنيّة لِمَنْ يقول بها، ليست هي الأزمان عينها. بل الزّمن الموضوعيّ مَحَلُّهُ الموضوعيّة التّجربيّة. والمعطيات الزّمنيّة المحسّة، لا تكون محض محسّة، بل إنّها لَمُشْرَبَةٌ أيضا بمعاني الأخذ المنطوية كذلك على أحكام معقولة: كالحكم بأنّ الأزمان والعلاقات الزّمنيّة التّي ظهورها يكون بالمعطيات المحسّة، يمكن أن يُقَاسَ بعضها إلى بعض، أو أن تُرَتَّبَ تَرْتِيبًا ما في الوجود الموضوعيّ، أو أن يُفْصَلَ بعضها عن بعض فصلا ما في الوجود الظّاهريّ الواقعيّ. والّذي يَنْتَشِئُ هنالك إذًا على أنّه موجود حاصل حصولا موضوعيّا إنّما هو ذلك الزّمن الواحد الموضوعيّ اللاّمتناهي، الّذي فيه يكون لِكُلِّ شيء، أوكلّ حدث، أوكلّ جسم وصفاته النّفسيّة، أوكلّ نفس وأحوالها النفسيّة، مَوْضِعُهُ الزّمنيّ المتعيّن والمُعَيَّنُ بآلات قَيْسِ الزّمن.

وَلاَنَمْنَعُ، وليس هاهنا موضع الفصل في هذا الأمر، بأنّ المعاني الموضوعيّة المذكورة إنّما تَنْبَنِي في الأصل إمّا على تَبَيُّنِ لِفُرُوقٍ وعَلاَقَاتٍ موجودة في

(1) Recouvrement.

(2) Identité.

المعطيات الزّمنيّة، أو أن تكون مُنْبَنِيَةً انْبِنَاءً أوّليّا على هذه المعطيات نفسها. ومع ذلك فهذه المعاني الزّمنيّة المحسّة، كالمَعِيَّةِ الزّمنيّة المُحَسَّةِ، ليست هي ما هي إلاّ عَيْنَ الاقْتِرَانِ الزّمنيّ[1] الموضوعيّ، والمساواة المحسّة بين أبعاد زمنيّة فينومينولوجيّة ليست هي ما هي إلاّ عين المساواة الموضوعيّة الموجودة بين أبعاد زمنيّة، وهلمّ جرّا. أي أنّ المعطى الزّمنيّ المطلق المُحَسَّ ليس هو ما هو إلاّ عين الزّمن الموضوعيّ المَعِيشِ، والأمر هو هو في المعطى الآني المطلق. إذ أنّ المعرفة معرفة بديهيّة بمحتوى مَعِيشِيٍّ ما على أنّه معيش، هو غير أن يكون معناه أنّما لنا معرفة بموضوعيّة تجريبيّة ما، أو بواقع موضوعيّ كواقع الأشياء، أو الأحداث، أو العلاقات الموضوعيّة، أو الهيئة الموضوعيّة في المكان والزّمن، أو الصّورة الزّمنيّة الواقعة وقوعا موضوعيّا، وهلمّ جرّا.

فَمَثَلاً لو نظرنا إلى قطعة طباشير، ثمّ أغمضنا العينين، ثمّ فتحناهما مرّة أخرى، فسيكون لنا إذًا إدراكان. ولنا أن نقول حينئذ بأنّنا قد رأينا مرّتين القطعة الواحدة. فهاهنا إذًا محتويات زمنيّة منفصلة، ولنا أن نَتَبَيَّنَ بوضوح فرق زمنيّ فينومينولوجيّ، أي فصل زمنيّ فينومينولوجيّ، أمّا الموضوع نفسه فلا فصل فيه، بل هو هو نفسه: ففي الموضوع مُدَّةٌ، وفي الظّاهرة تَغَيُّرٌ. من أجل ذلك كان قد نحسّ إحساسا ذَاتِيًّا بِتَعَاقُبٍ زمنيّ ما حيث الظّاهر ظهورا موضوعيّا إنّما يكون مَعِيَّةً وجوديّة. إنّه المحتوى المعيش وقد صُيِّرَ موضوعيّا[2]، وهذا التّصيير موضوعيّا هو عبارة عن إنشاء للموضوع بِتَسْلِيطِ الأخذ على مادّة المحتويات المعيش. ولكن الموضوع ليس هو ما هو إلاّ عين جملة هذه المحتويات، أو عين المُرَكَّبِ من هذه المحتويات الّتي لا يمكن ألبتّة أن تدخل فيه دخول الجزء في كلّه، بل إنّه شيء زائد عنها، وهو أمر غير المحتوى. بل الموضوعيّة محلّها عالم التّجربة، ووجودها على التَّعْيِينِ إنّما في عالم الوحدة

---

(1) Simultanéité.

(2) Objectivation.

التّجربيّة، والتّسلسل الطّبيعيّ السّاري فيه الأحكام التّجربيّة. وبِلُغَةٍ فينومينولوجيّة، فقد نقول: إنّ الموضوعيّة لا تكون نشأتها على التَّعْيِينِ في المحتويات الأوّليّة، بل نشأتها على التَّعْيِينِ إنّما تكون في المعاني الأَخْذِيَّةِ[١]، وفي دخولها تحت أحكام هي من جوهر تلك المعاني الأخذيّة. فأن تُرَى هذه الأشياء حقَّ الرّؤية، وأن تُفْهَمَ حقّ الفهم فهو، لَعَمْرِي، عين الخوض فيما يُسَمَّى بالفينومينولوجيا المَعْرِفِيَّةِ.

الباب الثّاني: في مسألة أَصْلِ الزّمن

وهذا البيان السّالف شأنه أن يجعلنا نتبيّن أيضا ما الفرق بين مسألة الأصل في الفينومينولوجيا، أي في علم المعرفة، ومسألة الأصل في علم النّفس. وهو فرق يَسْرِي إلى كلّ المعاني المُنْشِئَةِ لكلّ تجربة، أي هو يسري إلى معنى الزّمن كذلك. إذ أنّ السّؤال في إمكان التّجربة على نحو ما اعتاد علم المعرفة أن يسأله، والذّي هو عين السّؤال عن ماهية التّجربة، إنّما يقتضي الرّجوع إلى المعطيات الفينومينولوجيّة الّتي هي القِوَامُ الفينومينولوجيّ لكلّ ما يكون مُتَعَلَّقَ تجربة ما ومن حيث هو مُتَعَلَّقُ هذه التّجربة. ولِأَنَّ التّجربة هي ضربان متقابلان: ضرب أوّل وهو التّجربة على التَّحْقِيقِ[٢]، وضرب ثان وهو التّجربة على غير التّحقيق[٣]، ولأنّ التّجربة على التّحقيق هي الحاكمة على كلّ تجربة لكونها حَدْسِيَّةً، ومطابقة على التّمام، فقد بانت الضّرورة بأن يُسْبَقَ كلّ بحث، بالبحث في فينومينولوجيا التّجربة الّتي على التَّحْقِيقِ.

ولذا كان السّؤال عن ماهية الزّمن إنّما يقتضي اضطرارا سؤالا آخر وهو مَا أَصْلُ الزَّمَنِ. ولكن هذا السّؤال في الأصل إنّما نظره إلى الهيئات الأوّليّة في

(1) Caractères d'appréhension.

(2) Propre.

(3) Impropre.

الوعي الزّمنيّ، الّتي هي محلّ نشأة الفروق الأوّليّة الزّمنيّة من حيث هي اليَنْبُوعُ الأصليّ لكلّ بداهة زمنيّة، نَشْأَةً حدسيّة وعلى التّحقيق. وإيّانا وأن نخلط بين هذَا السّؤال في الأصل، وبين السّؤال في الأصل النّفسانيّ، أو بينه وبين مسألة الخلاف المشهورة بين أشياع الفِطْرِيَّةِ، والتّجريبيّة. إذ المطلوب في هذه المسألة النّفسانيّة إنّما هو أيّ شيء المادّة الحسّيّة الأصليَّةِ الّتي منها تكون نشأة الحدس الموضوعيّ للمكان والزّمن، في شَخْصٍ من البشر، أو في النّوع البشريّ نفسه. أمّا الاعتبار الفينومينولوجيّ فهو غير الاعتبار النّفسانيّ بَتَاتًا، هذا الاعتبار الّذي عنده إنّما المعاييش هي أحوال نفسيّة لِأَشْخَاصٍ تجريبيّة، أي لِذَوَاتٍ نفسانيّة طبيعيّة، والمطلوب أن يُعْرَفَ أيّ علاقات إمّا محض نفسيّة، أو محض نفسيّة طبيعيّة توجد بينها، وهو اعتبار هَمُّهُ أيضا أن يَتَبَيَّنَ أيّ شيء الأحكام الطّبيعيّة الجارية على المعاييش النّفسيّة وعلى تكوّنها وتبدّلها. أمّا في الاعتبار الفينومينولوجيّ فليس هناك سَلْكٌ للمَعَايِيشِ في أيّ واقع كان ألبتّة. بل الواقع لا يُنْظَرُ إليه هاهنا إلاّ من حيث هو أمر مُشَارٌ إِلَيْهِ(1)، أو مُتَصَوَّرٌ(2)، أو محدوس(3)، أو مُتَصَوَّرٌ تصوّرا ذِهْنِيًّا. والأمر هو هو في مسألة الزّمن: فمطلوبنا الوحيد إنّما المعاييش الزّمنيّة. أمّا أن تكون هذه المعاييش نفسها مُتَعَيِّنَةً بالزّمن تعيّنا موضوعيّا، أو أن تكون مُنْسَلِكَةً في عالم الأشياء، والذّوات النّفسيّة، وتكون في هذا العالم ذات موضع، وذات آثار، وذات وجود، وذات نشأة تجريبيّة، فكلّ ذلك لا يعنينا إطلاقا. وليس بمطلوبنا في المعرفة بتاتا. أمّا مطلوبنا نحن فهو معرفة كيف لِمُعْطَيَاتٍ موضوعيّة زمنيّة أن تكون مُشَارًا إليها في تلكم المعاييش. فهاهنا بِحَقٍّ فعل وصفي فينومينولوجيّ، ومعناه أنّ الأفعال المتعلّقة بالمعاييش المذكورة إنّما تُشِيرُ إلى هذه الموضوعيّة أو تلك. أي أنّه

---

(1) Visée.

(2) Représentée.

(3) Intuitionnée.

بِالوَاجِبِ هاهنا من أن نَتَبَيَّنَ المعاني المَاقَبْلِيَّةَ[1] الّتي تدخل في قِوَامِ كلّ جزء من الأجزاء المُنْشِئَةِ لِلْمَوضُوعِيَّةِ. فظهر إذًا أنّ المقصود بالبَيَانِ عندنا، بفحصنا عن الوعي بالزّمن، وبجلائنا عن نشأته الجوهريّة، وباستخلاصنا لِمُحْتَوَيَاتِ الأَخْذِ في الفعل وخواصّه التّي قد تقوم بالزّمن قياما مخصوصا، والّتي هي لَمِنْ خَواصِّ الزّمن الضّروريّة، إنّما هو مَاقَبْلِيُّ الزّمن. وما مُرَادِي بتلك الأمور غير شكّ، إلاّ أحكام بديهيّة الطّبيعة كهذه: إنّ الزّمن المُثْبَتَ حقّ الإِثْبَاتِ هو سلسلة لا متناهية ذات بُعْدٍ واحد، أو أنّ زمنين مختلفين من الممتنع إطلاقا أن يوجدا معا، وبأنّ علاقة أحدهما إلى الآخر لا تنعكس أبدا، أو بأنّ الزّمن فيه علاقة مُتَعَدِّيَةٌ[2]، وبأنّه لِكُلِّ زَمَنٍ، زمن متقدّم عليه، وزمن متأخّر عنه، وهلمّ جرّا. فهذا الّذي قلنا هو كافٍ لِمُقَدّمة مُجْمَلَةٍ.

(1) Aprioriques.

(2) Transitivité.

المقالة الأولى

في قول برنتانو في أصل الزّمن

الباب الثّالث: في التَّوَاصُلاَتِ الأَصْلِيَّةِ[1]

وإنّا الآن نريد أن نَتَّخِذَ سبيلنا في المسائل المذكورة آنفا بأن نصل بحثنا بأقوال **برنتانو** في أصل الزّمن. إذ أنّ **برنتانو** قد ظنّ أنّ مَحَلَّ النّشأة هذه إنّما هو التّواصلات الأصليّة، أي بطريق «نشأة تصوّرات تَذَكُّرِيَّةٍ قريبة[2]، تَنْضَمُّ أبدا بلا تَوَسُّطٍ ألبتّة إلى تصوّرات إدراكيّة». فهو معلوم أن حين نُبْصِرُ شيئا ما، أو نسمعه، أو في الجملة، حين ندركه، فالمُدْرَك يبقى حاضرا برهة من الزّمن، ولكن ليس بلا تغيّر. بل مع ضروب التّغيّر الأخرى، كالتّكثّف الّذي قد يزيد وينقص، والامتلاء الّذي قد يزيد وينقص، فهناك ضرب آخر من التّغيّر مُنْحَازٌ، و دائم الوجود، ألا وهو أنّ هذا الباقي في الوعي ذلك البقاء إنّما قد يظهر بنحو الشّيء الغابر في الماضي غبورا كبيرا أو صغيرا، والمدفوع دفعا زمنيّا. فمثلا حين يُسْمَعُ لِنَغَمٍ ما، فالصّوت الجزئيّ لا يَنْعَدِمُ تماما إذا انعدم المُثِيرُ، وانْعَدَمَتْ حركة الأعصاب المتولّدة عن المثير. وحين يُسْمَعُ لِصَوْتٍ جزئيّ آخر، فالّذي انْقَضَى لا يَنْقَضِي إلاّ وقد خَلَّفَ وراءه أثرا ما، وإلاّ فإنّه سيكون من الممتنع أن يَتَحَصَّلَ عندنا علاقات بين أصوات يَعْقِبُ أَحَدُهَا الآخَرَ: بل سنتحصّل في كلّ آن على صوت واحد فقط، وقد نتحصّل بين صوت وصوت

---

(1) Associations originaires.

(2) Immédiates.

على فصل خَاوٍ، أمّا أن نتحصّل على تَصَوُّرٍ نَغَمِيٍّ، فهذا سيكون ممنوعا إطلاقا. ومع هذا فهو لا يجوز كذلك أن نقول بأنّ التّصوّرات[1] الصّوتيّة هي تَلْبَثُ في الوعي. إذ لو زُعِمَ بأنّها لاَبِثَةٌ في الوعي بلا تَغَيُّرٍ، فَمَكَانَ أن نتحصّل على نَغَم واحد، فسنتحصّل على جملة من الأصوات الموجودة معا، أي على جملة مُتَنَاشِزَةٍ من الأصوات، كما لو أنّ كلّ الأصوات الّتي قد سُمِعَتْ وانْقَضَتْ، القريب منها والبعيد، إنّما قد سُمِعَت دُفْعَةً واحدة. إذًا فتَصَوُّرُنَا لِنَغَم ما، يكون فيه كلّ صوت جزئيّ ذا موضع زمنيّ مُتَعَيِّنٍ، وذا مقدار زمنيّ متعيّن، ما كان لِيُمْكِنَ أن يوجد إلاّ لِهَذَا الأمر فحسب: وهو أنّه في كلّ إحساس صوتيّ يذهب عنه المثير المولِّدُ إيّاه، فهو يعتوره هذا التغيّر المخصوص ألا وهو أنّه من الصّوت الذّاهب عنه المثير، إنّما يتولّد بالذّات تصوّر مُشَابِهٌ له و مَحْفُوفٌ بمعنى زمنيّ، وهذا التّغيّر الزّمنيّ نفسه يعتوره تغيّر آخر وهلمّ جرّا.

فهو إذًا قانون عامّ هذا الّذي مفاده أنّ كلّ تَصَوُّر مُعْطَى فإنّه يَعْلِقُ به بالطّبع مُتَّصِلٌ من التَّصَوُّرَاتِ، كلّ تَصَوُّرٍ يُكَرِّرُ مُحْتَوَى التّصوّر المتقدّم، ولكن بِشَرْطِ أن يَخْلَعَ بلا انقطاع على ذلك التّصوّر مَعْنَى الماضي.

وهاهنا سنرى أنّ التّخيّل هو قوّة مُوَلِّدَةٌ على نحو مَخْصُوصٍ. وسنرى أنّه الوحيد المبدع لِجُزْءٍ تَصَوُّرِيٍّ هو بِحَقٍّ جديد، أي الجزء الزّمنيّ. فكذلك كان قد ظُنَّ بأنّ أصل التّصوّرات الزّمنيّة إنّما هو التّخيلّ. أمّا سَلَفُ برنتانو من علماء نفس، فقد ذهبت أتعابهم سُدًى في معرفة أيّ شيء اليَنْبُوعُ المخصوص للتّصوّر الزّمنيّ. وذلك بسبب خلطهم خلطا من اليسير جدّا أن يُوقَعَ فيه، بين الزّمن الذّاتيّ والزّمن الموضوعيّ، وهذا الخلط هو الّذي كان قد أَضَلَّ علماء النّفس ومَنَعَهُمْ من أن يَرَوْا هذه المسألة على وجهها الصّحيح. فكثير من هؤلاء قد ظنّ أنّ ما قد يكون جوابا عن مسألة ما أصل تصوّرات اللّون، والصّوت، يصحّ أن يكون جوابا عن مسألة ما أصل تصوّر الزّمن. فكما أنّ اللّون يُحَسُّ، فأيضا مدّة

---

(1) Représentations.

اللّون هي تُحَسُّ. وكما أنّ الكيف والكثافة هما جزءان حسّيان باطنيّان، كذلك فالمدّة الزّمنيّة هي جزء حسّيّ باطنيّ. إذ الإثارة الخارجيّة إنّما يلزم عنها الكيف بحسب صورة الأفعال الطّبيعيّة، والكثافة بحسب قوّتها، وتلزم عنها المدّة المحسوسة إحساسا ذاتيّا بحسب ثَبَاتِهَا. ولكن هذا التّفسير لَبَيِّنُ الخَلَلِ. إذ أن تكون الإثارة ذات مُدَّةٍ، فليس ذلك يَقْتَضِي بأنّ الإحساس قد أُحِسَّ على أنّه ذو مدّة، بل إنّه يقتضي فقط بأنّ الإحساس هو أيضا ذو مدّة. فَفَرْقٌ بين مُدَّةِ الإحساس، والإحساس بالمدّة. وفرق كذلك بين تعاقب الإحساسات و إحساس التّعاقب[1].

وهذا الاعتراض هو عينه لا محالة ما يُرَدُّ به أيضا على فريق آخر كان قد رَامَ أن يُرْجِعَ تصوّر المدّة والتّعاقب إلى نفس مدّة تعاقب الأفعال النّفسيّة. ولكن نحن سوف لن نُرَوِّيَ إلاّ في الأمر المتعلّق بالإحساسات.

إذ أنّه من الجائز أن يكون للإحساسات مدّة، أو أن تتعاقب، ولا يكون لنا بِمُدَّتِهَا أو تعاقبها معرفة البتّة. فمثلا لو فرضنا تعاقبا ما، وفرضنا أنّ كلّ إحساس فيه ينعدم إذا انعدمت الإثارة المولّدة له، فسوف يكون إذًا تَعَاقُبُ لِإِحْسَاسَاتٍ، ولن يكون هناك أبدا تَبَيُّنٌ لِسَيَلاَنٍ زَمَنِيٍّ. وذلك لأنّه حينما يَنْبَعِثُ إحساس جديد، فهو لا يكون لنا ذِكْرَى إطلاقا بالوجود الماضي للإحساس المتقدّم. بل إنّه لن يكون لنا وعي في كلّ مرّة إلاّ بالإحساس الحاصل الآن ليس غير. وليس يُفِيدُ كذلك أن نقول بأنّ ثَبَاتَ الإحساسات المتولّدة آنفا هو ما يعطينا تصوّر التَّعَاقُبِ. فمثلا لو كان التّعاقب تعاقب أصوات، وفُرِضَ أنّ الأصوات المتقدّمة تبقى لأَبِثَةً كما هي حين يُسْمَعُ لِأَصْوَاتٍ أخرى، فأَصْوَاتٍ أخرى، فالتّصوّر الحاصل سوف لن يكون تصوّرا لِتَعَاقُبٍ صوتيّ، بل تصوّرا لِجُمْلَةٍ من الأصوات تُسْمَعُ مَعًا. كما لو كانت أصوات عديدة تُسْمَعُ دفعة واحدة. ولنا أن نأخذ مثالا آخر، وهو حركة جسم ما. إذ لو كان الجسم المتحرّك يبقى بلا تغيّر

(1) Succession.

عند الوعي في كلّ وضع من أوضاعه، فسوف نرى المكان المقطوع بالحركة مَمْلُوًّا امْتِلاءً مُتَّصِلاً، ولن يكون لنا ألبتّة تَصوّر لِلْحَرَكَةِ. لِذَا فإنّ تصوّر التّعاقب لا يصير ممكنا إلاّ إذا فُرِضَ بأنّ الإحساس المتقدّم لا يبقى لأَبِثًا عند الوعي بلا تَغَيُّرٍ، بل هو تغيّر على نحو مخصوص كما كنّا قد وصفنا، ويتغيّر أبدا في كلّ آن. أي أنّ الإحساس بتَسَلُّطِ التّخيّل عليه، إنّما يَكْتَسِي معنى الزّمنيّة الّذي لا ينفكّ يتغيّر بلا انقطاع، وهو بذلك إنّما يظهر المحتوى الحسّيّ آنا بعد آن قد صار أكثر نَأْيًا. ولكن هذا التّغيّر ليس سببه لا الإحساس نفسه، ولا الإثارة. أمّا الإثارة فهي الّتي تولّد المحتوى الإحساسيّ الحاضر. وإذا انعدمت الإثارة انعدم معها الإحساس أيضا. ولكن الإحساس يصير هو نفسه مُبْدِعًا: فمن شأنه أن يبدع تصوّرا تَخَيُّلِيًّا مشابها على التَّمَامِ للمحتوى الحسيّ أو قريبا من التّمام، ويكون هذا التّصوّر مُشْرَبًا بمعنى الزّمنيّة. وأيضا هذا التّصوّر شأنه أن يُبْدِعَ تصوّرا آخر يصير موصولا به، وهلمّ جرّا. وهذا الوصل المتّصل لِتَصوّر ما متغيّر زمنيّا بتصوّر مُعْطَى، كان **برنتانو** قد سمّاه «التَّوَاصل الأصليّ». أمّا اللاّزم عن قول **برنتانو** هذا فهو مَنْعُ أنْ قد يوجد إدراك للتّعاقب أوالتّغيّر. ونحن إن ظننّا بأنّنا الآن إنّما نسمع نَغَمًا، أي ما نَنْفَكُّ نسمع هذا الّذي قد مضى من قريب[١]، فذلك وهم، سببه قوّة التّواصل الأصليّ.

الباب الرّابع: في كَسْبِ المستقبل والزّمن اللاّمتناهي

وحدس الزّمن الّذي يصنعه التّواصل الأصليّ ليس هو بَعْدُ حَدْسًا للزّمن اللاّمتناهيّ. بل إنّ صورته كما لاتنفكّ تتغيّر باعتبار معنى الماضي، فهي يَعْتُورُهَا تَفَرُّعٌ آخر مُغَايِرًا تماما للأوّل بانْضِيَافِ معنى المستقبل. إذ للتّخيّل أن يَلْتَفِتَ إلى الذّاكرة الظّاهرة ظهورآنِيًّا[٢]، فيأخذ منها ما قد يصنع به تصوّرات

---

(1) Le tout juste passé.

(2) Instantanée.

المستقبل على نمط يشبه نمط تصوّرنا لِأَنْوَاعٍ لَوْنِيَّةٍ وصوتيّة جديدة، بمجرّد نظرنا في علاقات وصور معروفة سلفا. فمثلا هو بمقدورنا أن ننقل نقلا خياليّا نَغَمًا كنّا قد سمعناه في وزنه، وفي أجزائه الصّوتيّة المتعيّنة، ونضعه في مواطن أخرى. وقد نستطيع حينئذ أن نحصل من أصوات معروفة سَلَفًا على أصوات أخرى ما سمعناها قطّ. كذلك التّخيّل في التَّرَقُّبِ(١) فهو يأخذ من الماضي ما يصنع به تصوّر المستقبل. لِذَلِكَ فالرّأي الّذي يدّعي بأنّ التّخيّل لا يأتي البتّة بجديد، وأنّ قُصَارَاه أن يُكَرِّرَ إظهار الأمور الّتي تقدّم أن أدركها، رأي باطل. أمّا فيما يتعلّق بتصوّر كُلِّ الزّمن، أي بتصوّر الزّمن اللاّمتناهيّ، فإنّما هو أَثَرٌ للتّصوّر الذّهنيّ، كتصوّرنا لِسِلْسِلَةٍ عدديّة لا متناهيّة، أو للمكان اللاّمتناهيّ، وهلمّ جرّا، سَوَاءً بِسَوَاءٍ.

الباب الخامس: في تغيير التّصوّرات بالمعاني الزّمنيّة(٢)

وعند برنتانو هو بالواجب أيضا أن ننظر في صِفَةٍ في تصوّر الزّمن مهمّة جدّا. وهي أنّ هذين المعنيين الزّمنيين، معنى الماضي، ومعنى المستقبل، إنّما يختلفان عن سائر الصّفات الّتي قد تقترن بأجزاء التّصوّر الحسّيّ، من حيث أنّ الصّفات لا تُبْطِلُ الأجزاء بل تُعَيِّنُهَا، أمّا هما فإنّهما لَيُبْطِلاَنِهَا. فمثلا صوت دُو إن كان أشدّ أو أضعف، فهو دائما صوت دُو. ولكن صوت دُو المُتَصَرِّمُ ليس هو بدُو، والأحمر المتصرّم ليس هو بأحمر. إذًا، فالمعاني الزّمنيّة ليست بالمعاني المُعَيِّنَةِ، بل إنّها لَمَعَانٍ مُبْطِلَةٌ إبطالا جوهريّا، كمعاني المتَصوَّر، والمُشْتَهَى، وهلمّ جرّا هي مُبْطِلَةٌ أيضا. فمثلا دينار مُتَصَوَّرٌ، أي دينار ممكن هو ليس بدينار. أمّا معنى الآن فغير ذينك المعنيين. إذ أنّ أ الّذي هو الآن، فهو أ بِحَقٍّ. إنّ الحاضر لا يُبْطِلُ، ولكنّه لا يُعَيِّنُ أيضا. فمثلا لو أنا خَلَعْتُ على

(1) Attente.

(2) Caractères temporels.

تَصَوُّرٍ لإنسان معنى الآن، فلن يكسب الإنسان بهذا الخلع صفة جديدة، وهذا المعنى ليس لِيَدُلَّ منه على صفة من الصّفات. ففي الإدراك لا شيء في المدْرَكِ لِكَوْنِ التّصوّر الإدراكي يعرضه على أنّه أمر حاضر، إنّما يزيد عن كيفه وكثافته، وَأَيْنِهِ. لذلك فعند **برنتانو**، كانت المحمولات الزّمنيّة[1] المُغَيِّرَةُ هي محمولات لاحقيقيّة، وليس إلاّ المعنى الزّمنيّ المعيّن للحاضر ما يصحّ وصفه بالحقيقيّ. والغريب في هذا أن نرى المعاني الزّمنيّة اللاّحقيقيّة إنّما تدخل في سلسلة مُتَّصِلَةٍ مع المعنى الحقيقيّ الوحيد، وتَقْتَرِنُ به منها فصول لا متناهية الصّغر. فالحاضر الحقيقيّ إذًا ما ينفكّ أبدا ينقلب إلى أمر لا حقيقيّ. وإذا ما سأل سائل كيف لِلْحَقِيقِيِّ، وقد اقترنت به المعاني الزّمنيّة المغيِّرة، أن ينقلب إلى لا واقعيّ، فنُجِيبُ: إنّه مع كلّ ظهور أو غُبُورٍ لِشَيء من الأشياء في الحاضر، فهو تلزم عنه بالضّرورة مَعَانٍ زمنيّة ذات ضروب: إذ من البَيِّنِ المعقول أنّ كلّ ما هو كَائِنٌ الآن، فلِمُجَرَّدِ كونه، فسيكون قد كان، وهو الآن كَائِنٌ لِأَنَّهُ قد كان سَيَكُونُ.

الباب السّادس: في الرُّدود

ولو نَمُرُّ إلى الفحص عن القول المبسوط آنفا، فلا بدّ أن نسأل أوّلا هذا السّؤال: عن أيّ شيء إنّما يجيب هذا القول؟ فهو بَيِّنٌ جدّا أنّه ليس يُرَاعِي القانون الّذي أوجبناه لِكُلِّ فحص فحص فينومينولوجيّ عن الوعي بالزّمن: إذ قد انطوى على مقدّمات متعلّقة بالأمور المُفَارِقَةِ، وبموضوعات زمنيّة موجودة، شأنها التّأثير، أو أن تولّد فينا الإحساسات، وهلمّ جرّا. لذلك فَالحَقِيقُ أن يُقَالَ فيه إنّما هذا قول في الأصل النّفسانيّ لِتَصَوُّرِ الزّمن. ولكن هو قول قد انْطَوَى مع ذلك على فصول من البحث بحثا معرفيّا في شروط الوعي بالزّمن

---

(1) Prédicats temporels.

الموضوعيّ الّذي هو نفسه، أي الوعي، لَذُو زمنيّة بيّنة الظّهور، وعلى مباحث في خصائص المحمولات الزّمنيّة ذات النّسبة إلى المحمولات النّفسانيّة، والفينومينولوجيّة. بَيْدَ أنّ هذه النّسبة ما كانت قد أُعْطِيتْ حقّها من الفحص.

فعند برنتانو إذًا هناك قانون تَوَاصُلِيّ أصليّ يقضي بأنّه بالإدراكات يَعْلِقُ دائما تصوّرات لِذَاكرة آنِيَّةٍ[1]. وبَيِّنٌ أنّ هذا القانون إنّما هو قانون نفسانيّ السِّنْخِ ذو تعلّق بِتَصْويرِ لِمَعاييش نفسيّة معطاة في صورة معاييش نفسيّة أخرى. وهي معاييش نفسيّة، واقعيّة، ذوات زمنيّة تَخُصُّهَا، وإنّما النّظر في تَكَوُّنِهَا، وكيف هي تَتَوَلَّدُ. وأنت تعلم بأنّ هذا النّظر لَيَدْخُل تحت النّظر النّفسانيّ الّذي لا يعنينا البتّة هاهنا. إلاّ أنّه قد انطوى، مع ذلك، على بَقِيَّةٍ فينومينولوجيّة، و بحثنا إنّما سيكون في هذه البقيّة فحسب. إنّ المدّة من شأنها أن تظهر، وكذلك التَّعاقب، والتّغيّر. ولكن أيّ شيء يكون في هذا الظّهور؟ في هذا الظّهور، كالتّعاقب مثلا، يكون هناك ظهور للآن والماضي وقد اقترن به اقتران وِحْدَةٍ. أي أنّ الوعي الواحد الّذي يَقْرِنُ الحاضر بالماضي إنّما هو مُعْطًى فينومينولوجيّ[2]. فإذا تقرّر ذلك، فلِسَائِلٍ أن يسأل: هل حقّا إنّ الماضي يظهر في الوعي بالتَّعاقب مثلا، في صورة تَخَيُّلِيَّةٍ، كما زعم برنتانو؟

لقد كنّا رأينا أنّ برنتانو لمّا تكلّم في كسب المستقبل، كان قد ميّز بين الحدس الأصليّ لِلزّمن الّذي هو عنده أَثَرٌ لِلتَّوَاصُلِ الأصليّ، والحدس الأوسع للزّمن، الّذي هو كذلك أثر للتّخيّل، وليس بأثر للتّواصل الأصليّ. لذلك جاز القول بأنّه لَهُنَاكَ تقابل بين حدس الزّمن، وبين تصوّره تصوّرا على غير تَحْقِيقٍ، كتصوّر الزّمن اللاّمتناهي، أو تصوّر الزّمن أو العلاقات الزّمنيّة الغير متحقّقة تحقّقا حدسيّا. لِذَلِكَ فَغَرِيبٌ جدّا أنّ برنتانو في قوله في حدس الزّمن لم يكن قد تَنَبَّهَ إطلاقا عَلَى هذه التّفرقة الضّروريّة والّتي من الممتنع ألاّ يكون قد تَبَيَّنَهَا

(1) Mémoire instantanée.

(2) Donnée phénoménologique.

هاهنا، بين كلّ إدراك للزّمن، وبين تَخَيُّلِهِ. ومهما عَانَدَ في إطلاق عبارة الإدراك للزّمن، لِيَقْصِرَهَا فقط على الآن الحاضر الّذي هو نِهَايَةٌ(١) بين الماضي والمستقبل، فلا يمكنه أن يُعَانِدَ في وجود الفرق بين العبارتين هاتين: أي عبارة إدراك التّعاقب، وعبارة تذكّر التّعاقب المدْرَكِ آنفا، أو بين إدراك التّعاقب، ومحض تخيّل التّعاقب. بل إنّه بالواجب أن تُبَيَّنَ هذه التّفرقة بنحو من الأنحاء. إذ لو صحّ أنّ الحدس الأصليّ للزمن إنّما هو من إبداع الخيال، فأنّى لنا أن نُفَرِّقَهُ إذًا من تَخَيُّلٍ زمنيّ آخر يكون الوعي فيه مُتَعَلِّقًا بزمن مضى، ولا يكون هذا الزّمن جزء من التّواصل الأصليّ، ولا يكون موصولا في وعي واحد بإدراك آنيّ، بل يكون قد كان موصولا بإدراك ماض؟ وإذ هو معلوم أنّ ثان إِحْضَارِ(٢) التّعاقب المعيش أَمْسِ لَفِي معنى ثاني إحضار الفصل الزّمنيّ المعيش أمس عيشا أصليًّا، فلو صحّ أنّ هذا الفصل الزّمنيّ كان قد عِيشَ بنحو المتّصل من التّخيّلات المتواصلة تواصلا أصليّا، لَلَزِمَ أن يكون ثاني الإحضار له إنّما عبارة عن تخيّلات لِتخَيُّلاَتٍ. وهذه الشُّبُهَاتُ في قول **برنتانو**، فلأنّها بقيت بلا بَيَانٍ، فهي حَرِيَّةٌ بأنّ تنال بحثه في الوعي الأصليّ بالزّمن بالقصور وقلّة الفائدة. وهناك أيضا مَعَايِيبٌ أخرى في قوله غير العيب المذكور.

فبرنتانو لا يُمَيِّز بين الفعل والمُحْتَوى، أي بين الفعل، ومحتوى الأخذ، والموضوع المأخوذ. وقد كان حَقَّهُ أن يُبَيِّنَ لِأَيٍّ من هذه الأمور يجب أن يُنْسَبَ المعنى الزّمنيّ؟ فلو صحّ أنّ التّواصل الأصليّ شأنه أن يَقْرِنَ إلى كلّ جزء إدراكيّ سلسلة متّصلة من التّصوّرات، ويكون بذلك إنّما يتولّد المعنى الزّمنيّ، فلنا أن نسأل حينئذ: ولكن هذا المعنى الزّمنيّ من أيّ طبيعة هو؟ أهو من طبيعة خاصّة الفعل لِيَكُونَ منه بنحو الفصل الجوهريّ، أم هو من طبيعة محتويات الأخذ، كالمحتويات الحسّيّة كالألوان والأصوات حينما يُنْظَرُ إليها في وجودها الزّمنيّ؟

(1) Limite.

(2) Représentation.

وإذ أن **برنتانو** كان قد قطع بأنّ فعل التّصوّر بما هو كذلك لا ينطوي ألبتّة على اختلاف، وبأنّ التّصوّرات لا تفترق إلاّ بمحتوياتها الأولى، فلا مندوحة له إذًا من أن يكون جوابه هذا الجواب الواحد: إنّه أبدا تَعْلِقُ بمحتويات الإدراك الأولى صور خياليّة[1]، فَصُوَرٌ خياليّة، كلّها ذوات محتوى واحد، ولكن تكون كثافتها ذَاهِبَةً في النقّصان من أولاها إلى أُخْرَاهَا، وامتلاءها أيضا يذهب في النّقصان. وهو حينئذ إنّما يخلع عليها الخيال معنى جديد، أي معنى الزّمنيّة. بيد أنّ هذا البيان لَبَيِّنُ الخلل لِأُمُورٍ كثيرة: إذ أنّ المعاني الزّمنيّة، والتّعاقب، والمدّة ليست محلّها فقط المحتويات الأولى[2]، بل هي موجود أيضا في المواضيع المأخوذة، و في الأفعال الأَخْذِيَّة. لذلك فكلّ فحص عن الزّمن يقتصر على مرتبة واحدة في الإِنْشَائِيَّةِ[3] هو فحص ناقص، بل لا بدّ أن يُنْظَرَ كذلك في سائر المَرَاتِبِ كلّها.

ثمّ لِنُسْقِطْ من الاعتبار كلّ المعاني المُفَارِقَةِ، ولِنسلّم كما قد سُلِّمَ بأنّ المحتويات الباطنيّة إنّما يعتورها التّغيّر الزّمني بانْضِيَافِ معنى[4] جديد يقال له المعنى الزّمنيّ الّذي شأنه أن يُخَالِطَ جملة المحتوى، ويخالط الكيف، والكثافة، وهلمّ جرّا. فلِنَضَعْ أنّ صوتا ما معيشا أ كان هذا الّذي قد سُمِعَ من قَرِيبٍ، ولِنَضَعْ أنّه يبعثه ثانية التّواصل الأصليّ، وأنّ محتواه باق هوهو بلا انقطاع. ولكن ذلك إنّما سيلزم عنه: أنّ صوت أ ما لم تبلغ كثافته مرتبة ما من الضَّعْفِ، لا يمكن أن يَنْقَلِبَ ماضيا إطلاقا، بل باق أمرا حاضرا. وكلّ الفرق بين هذا الوضع، والوضع الّذي وصفه **برنتانوا** أنّ **برنتانو** كان قد أثبت للتّواصل أيضا فعلا إبداعيّا أي فعل خلع معنى جديد، وهو معنى المُضِيِّ. وهذا المعنى

---

(1) Phantasmes.

(2) Contenus primaires.

(3) Constitution.

(4) Moment.

صورته صورة خُفُوتٍ[١]، ويتغيّر أبدا، وصوت أ باطّراد يكون إمّا بعيد المُضِيِّ أو قريبه. فيلزم إذًا أنّ الماضي ما كان داخلا في حدس أصليّ للزّمن، فهو أيضا حاضر. وسيلزم أيضا أن يكون المعنى الزّمنيّ الماضي، معنى مَعِيشًا حاضرا كحضور معنى الأحمر الّذي نعيشه الآن. وبَيِّنٌ أنّ ذلك لأمر خلف.

ولِمُعْتَرِضٍ أن يقول: ولكن أ نفسه قد مضى، وهو لِمَكَانِ التّواصل الأصليّ سيوجد في الوعي محتوى آخر أ مُغَلَّفًا بمعنى المُضِيِّ. ومع ذلك، فلو صحّ أنّه هناك محتوى أ أبدا هو هو في الوعي، فأ، ولو كان قد الْتَبَسَ به معنى جديد، فلن يكون ماضيا، بل حاضرا. لذلك، فهو سيكون في الآن حاضرا، وأبدا حاضرا، وسيكون حاضرا وهو موصوف بالمعنى الجديد معنى المُضِيِّ، أي إنّه سيكون ماضيا حاضرا معًا. ولكن أَنَّى لنا أن نعرف أنّ أ ما، قد كان من ذي قبل، وأنّه قد كان موجودا قبل وجود أ هذا الحاضر؟ ومن أيّ شيء هو يُحْصَلُ على معنى المضيّ. وليس ينفع في بيان ذلك قولنا: إنّه بِانْضِيَافِ معنى جديد إلى الوجود الحُضُورِيِّ لِـ أ في الوعي، يحصل هذا الوعي المُفَارِقِيِّ[٢]، أي أ قد مضى. ولن يُفِيدَ في ذلك وَسْمُنَا لِلْمَعْنَى الجديد، بالمضيّ. إذ على هذا التّأويل فسيكون من غير الممكن أن يكون تصوّرنا، بلغ ما بلغ من الضّآلة، لِهَذَا الشّيء الحاضر في الوعي على أنّه أ المُلْتَبِسُ بالمعنى الجديد، إنّما هو في عين معنى تصوّرنا لِأَمْرٍ هو غير موجود الآن في الوعي، بل كان قد مضى. ثمّ مَا حقيقة المعاني المعيش عيشا حاضرا في التّواصل الأصليّ؟ أفتكون هي نفسها أزمنة؟ فيلزم هذا الخلف: إنّ كلّ هذه المعاني موجودة، وهي موجودة في وعي واحد بالموضوع، فإذًا هي موجودة معا. ولكن بَيِّنٌ أنّ معنى التّعاقب الزّمني إنّما يَتَعَانَدُ مع معنى الاقتران الزّمنيّ. بل قد تكون هذه المعاني ليست بعين المعاني الزّمنيّة، وإنّما علامات زمنيّة. فهذا أوّلا ليس إلاّ عبارة أخرى،

---

(1) Dégradée.

(2) Conscience transcendante.

أمّا الوعي بالزّمن، فلا يكون قد فُحِصَ عنه، ولن نكون قد بَيّنّا بَعْدُ كيف أنّ الوعي بالماضي إنّما يأخذ نشأته من تِلْكُمُ العلامات، وبِأَيِّ طريقة، أو إِخَاذٍ، إنّما تدخل هذه العلامات على التّخصيص في إنشاء علاقات في الوعي تُوصَفُ بِالحَاضِرِ، واللاّ حاضر، ولا تكون إنشاءً لِمَعَانٍ أخرى، كمعنى الكيف.

ثمّ إنّه ليس من الصّواب جدّا أن نصف الّذي مضى باللاّوجود، أوالغير موجود. إذ المعنى النَّفْسِيّ[1] الزّائد لا يمكنه أن يلزم عنه اللاّوجود، أو أن يُبْطِلَ وجودا حاضرا. فهو معلوم أن كلّ حقيقة التّوصلات الأصليّة إنّما هي معيش حاضر وفعليّ. وكلّ سلسلة المعاني الأصليّة الزّمنيّة المتولّدة من التّواصل الأصليّ، والموصولة إلى سائر المعاني الموجودة في الموضوع الزّمنيّ، إنّما محلّها هذه الحقيقة نفسها.

فبان إذًا بطلان كلّ فحص عن الوعي بالزّمن يروم تعليل الانتشار الزّمنيّ الحدسيّ بمجرّد وضعه لِمَعَانٍ أخرى متّصلة الخُفُوتِ، تَنْزَادُ، أو تنبني بنحو ما، على أجزاء المحتوى المكوّنة للأمر الموضوعيّ المتعيّن تعيّنا زمنيّا. وَبِتَلْخِيصِ العبارة: فالصّورة الزّمنيّة ليست بمحتوى زمنيّ، ولا هي بمرَكَّب من محتويات أخرى تَعْلِقُ بنحو ما بالمحتوى الزّمنيّ. لكن **برنتانو**، وإن كان قد تَنَزَّهَ عن خَطَإِ رَدِّ حقيقة كلّ شيء إلى كونه مجرّد محتويات أولى، كما فعل أشياع الحسّيّة، وإن كان هو نفسه أوّل من أَقَرَّ بوجود تَفْرِقَةٍ عظيمة بين المحتويات الأولى، وخصائص الفعل، فمع ذلك، فقوله في الزّمن يُرِينَا حَقَّ الرّؤية بأنّه ما وقع على خصائص الفعل الضّروريّة لِبَيَانِ الأمر المقصود. لِذَا فليس بَعْدُ جَوَابٌ تَامٌّ في مسألة كيف يكون الوعي بالزّمن، أوكيف ينبغي بَيَانُهُ.

(1) Moment psychique.

المقالة الثّانية

في الفحص عن الوعي بالزّمن

الباب السّابع: في تأويل أوّل لِحَقِيقَةِ المعرفة بالموضوعات الزّمنيّة على أنّها معرفة في آن، وتأويل ثان على أنّها فعل[1] ذو مدّة[2]

إنَّا نَلْفَى عند **برنتانو** مبدأ هو كالسرّ لِقَوْلِهِ كان قد ابتدعه **هاربارت**، واعتنقه **لوتز**، ثمّ كان له شأن كبير عند كثير من الّذين خلفوا هؤلاء. وتحريره: إنّه لكي تَصِحَّ المعرفة بِتَعَاقُبٍ ما لِتَصَوُّرَاتٍ كتعاقب أ، و ب، مثلا «فبِالاضْطِرَارِ أن تكون هذه التّصوّرات بالتّمام مَعًا موضوعات لِعِلْمٍ شأنه أنْ يُوصِلَ بينها كلّها، و يجمعها في فعل واحد ووحيد جمعا لا يتجزّأ ألبتّة». لِذَا فكلّ تصوّر لِحَرَكَةٍ، أو عبور، أو نأي، وهلمّ جرّا، أي كلّ تصوّر انطوى على أجزاء كثيرة مَقِيسٌ بعضها إلى بعض، فلا يمكن أن يُعْقَلَ إلاّ على أنّه أَثَرٌ لِفِعْلٍ عِلْمِيٍّ يَقْرِنُ بينها قرنا زمنيّا. أمّا لو كان صحيحا أنّ فعل التّصوّر إنّما يَمِيعُ نفسه بِحَذَافِيرِهِ في تَعَاقُبِيَّةٍ زمنيّة، لامْتَنَعَ إطلاقا كلّ تصوّر من تلكم التصوّرات. من أجل ذلك كان قد بدا لِأَشْيَاعِ هذا الرّأي أنّ القول بأنّه لا يكون حدس لِأَيِّ فصل زمنيّ إلاّ في حاضر، وفي آن، إنّما هو أمر بديهيّ، وعلى غاية الظّهور. إذ، أليس من المعلوم البيّن، إجمالا، بأنّ كلّ وعي يكون مقصوده كُلاًّ أيّا كان جنسه، أو كثرة ذوات أجزاء

---

(1) Acte.

(2) Qui dure.

مختلفة، أي كلّ وعي بعلاقة، أو تركيب، إنّما يَضُمُّ موضوعه في آن لا يتجزّأ؟ فحيثما كان وعي قاصد كُلاًّ ذا أجزاء متعاقبة، فليس من سَبِيلٍ لِلْوَعْيِ بهذا الكلّ إلاّ إذا كانت أجزاءه وقد اتّخذت صورة التصوّرات، قد اجتمعت في وحدة حدس آنيّ. أمّا **الأستاذ و. سترن**، فقد عاب هذا المذهب الّذي سمّاه بمذهب آنيّة كُلِّ وَعْييٍّ. بل لَنَا أن نجد أمثلة تكون فيها وحدة المعرفة مُنْبَنِيَةً على محتوى وَعْيِيٍّ مُنْتَشِرًا في الزّمن، أي تكون فيها هذه المعرفة منتشرة في فصل زمنيّ، كان قد سمّاه **سترن** بزمن الحُضُورِ[1]. فمثلا التّعاقب المنفصل، إنّما أقسامه لا اقتران لها في الزّمن، ومع ذلك، فلِفِعْلٍ أخذيّ ذي وحدة، أو لفعل وصليّ في الوعي أن يضمّها معا. ولولا أن كان تعاقب الحُدُوثَاتِ النّفسيّة إنّما بِمُجَرَّدِهِ يجتمع في وحدة، لَمَا كانت أصوات كثيرة متعاقبة لِتُعطينا نَغَمًا واحدا إطلاقا. إذ كلّ صوت يعقب الآخر في الوعي، ولكن عَاقِبَتُهَا جميعا إنّما الدّخول في فعل جَمْعِيٍّ هو هو، وواحد. إذًا، فالنّغم لا يُسْمَعُ لِأَنَّ الأصوات كلّها هي تُسْمَعُ معا، أو لأنّه في آخر الأصوات، إنّما تَثْوِي كلّ الأصوات المتقدّمة، بل إنّ الأصوات صورتها صورة وحدة تعاقبيّة ذات أثر مُشْتَرَكٌ، ألا وهو الصّورة الأخْذِيَّة[2].

ولا خلاف في أنّ هذه الصّورة المذكورة لا تتمّ إلاّ مع وجود آخر الصّوت. وبذلك يكون هناك إدراك لِوَحَدَاتٍ تَتَعَاقَبُ زمنيّا، كما كان إدراك لِوَحَدَاتٍ توجد معا، بل إنّه لَيُوجَدُ أيضا أخذ بلا توسّط[3]، لِوحْدَةِ الحقيقة[4]، والمساواة، والاختلاف. «فما حَاجَتُنَا لأن نضع وضعا مُتَكَلِّفًا بأنّ المُقَايَسَةَ[5] لا يمكن أن تصحّ إلاّ إذا أثبتنا أنّه يقترن بالصّوت الثّاني صورة تذكّريّة من

(1) Temps de présence.

(2) Forme d'appréhension.

(3) Directe.

(4) Identité.

(5) Comparaison.

الصّوت الأوّل. بل إنّ كلّ المحتوى الوَعْيِيِّ الّذي يَنْبَسِطُ في زمن الحضور، إنّما يدخل على نحو سواء في تأصيل الأخذ اللاّزم عن ذلك المحتوى: أعني معنى المشابهة، أو معنى المخالفة».

إنّ هذا البيان، وكلّ ما تعلّق به من بحث لَقَاصِرٌ عن أن يُجِيبَ عن المسائل المذكورة، وذلك لِغَفْلَتِهِ عن تَفْصِيلِ أمور ضروريّة جدّا كنّا قد تَبَيَّنَّا غفلة **برنتانو** أيضا عنها. فالمطلوب أوّل الطّلب أن نعرف ما معنى أن تُأْخَذَ الموضوعات الزّمنيّة المفارقة المنتشرة في الزّمن، والمَالِئَةُ له إمّا على نحو أبدا هو هو، وذلك في الأشياء اللاّمتغيّرة، أو على نحو المتغيّر أبدا، كالحدوثات الطّبيعيّة، أو التّغيّر، أو الحركة، وهلمّ جرّا؟ فموضوعات من هذا الجنس إنّما تَنْتَشِئُ في كثرة من المعطيات الأخذيّة الباطنيّة هي نفسها لَتَسِيلُ خِلْفَةً[1] [أيّ الثّاني يخلف الأوّل ويحلّ محلّه. يقول زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلْمَى: **بِهَا العِينُ والأَرْآمُ يَمْشِينَ خِلْفَةً** ** **وَأَطْلاَؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ**]. فهل حقّا أنّ هذه المعطيات التصوّريّة الّتي تسيل خلفة إنّما قد تجتمع في آن واحد حاضر؟ وسؤال آخر: كيف يَنْتَشِئُ مع نشأة الموضوعات الزّمنيّة الباطنيّة أو المفارقة، الزّمن نفسه، أو مدّة الموضوعات الزّمنيّة، أو تعاقبها؟ فهذه الجهات المختلفة في الوصف الّتي تحتاج إلى فضل تفصيل، والّتي اقتصرنا هاهنا على الإشارة إليها، لا بدّ أن تُسْتَحْضَرَ في أثناء البحث، واعلم أنّ كلّ هذه المسائل إنّما هي متداخلة، غاية التّداخل، ولا يمكن الجواب عن واحدة منها إلاّ بالجواب عن سائرها. إذ من البَيِّنِ الظّاهر أنّ كلّ إدراك لِمَوْضُوعٍ زمنيّ لَيَنْطَوِي هو نفسه على زمنيّة، وأنّ كلّ إدراك لِمُدَّةٍ يقتضي أن يكون ذلك الإدراك ذا مدّة إدراكيّة، وأن كلّ إدراك لِكُلِّ صورة زمنيّة، إنّما يشتمل هو نفسه على صورة زمنيّة. وإن نحن جرّدنا من الإدراك كلّ معنى مفارق، فسوف لن تبطل عنه و لا عن أَيٍّ من الأمور الفينومينولوجيّة المُقَوِّمَةِ له، زمنيّته الفينومينولوجيّة الدّاخلة في حقيقته الأولى.

---

(1) L'un - aprés - l'autre.

وإذ هو مُتَقَرِّرٌ أنّ الزّمنيّة الموضوعيّة إنّما نشأتها أبدا هي نشأة فينومينولوجيّة، وأنّه لولا هذه النّشأة، لما تَمَثَّلَتْ لنا ظهورا، أوموضوعيّة، أو جزء موضوعيّة، فَلَزِمَ إذًا أن لا سَبِيلَ لِكُلِّ فَحْصٍ فينومينولوجيّ عن الزّمن من أن يُبَيِّنَ أمر نشأة الزّمن حتّى يُبَيِّنَ أمر نشأة الموضوعات الزّمنيّة نفسها. وأعني بالموضوعات الزّمنيّة، على نحو مخصوص، ليس فقط الوحدات الموجودة في الزّمن، بل وأيضا الوحدات الّتي في نفسها ذات انْتِشَارٍ زمنيّ. فمثلا، لو رَنَّ صوت، فأخذي المُصَيِّرُ موضوعيّا، قد يتخّذ الصّوت المنتشر في المدّة ويرنّ هناك على أنّه موضوعه، ولا يتخّذ على أنّه موضوعه مدّة الصّوت، أو الصّوت في مُدَّتِهِ. فهذا الصّوت بما هو كذلك هو موضوع زمنيّ. وكذا في النّغم، وفي كلّ تَغَيُّرٍ أيّا كان، وأيضا في كلّ ثَبَاتٍ من حيث هو ثبات. ولِنَأْخُذْ مِثَالاً نَغَمًا، أو قطعة نغميّة ذات فحوى واحد. فالأمر في الأوّل سَيَبْدُو على غاية اليُسْرِ في الفهم: إنّ سماعنا نغما إنّما معناه أن نُدْرِكَهُ، فأن نسمع هو أن نُدْرِكَ. فحين يكون الصّوت الأوّل يرنّ، يرد الثّاني، فالثّالث وهلمّ جرّا. أفليس حَرِيًّا بنا القول: إنّه حين يرنّ الصّوت الثّاني، يكون هو الّذي أسمعه، أمّا الأوّل فلا يبقى عندي مسموعا، وهلمّ جرّا؟ وحينئذ، ففي الحقيقة ليس النّغم ما يكون عندي مَسْمُوعًا، بل فقط الصّوت الفرديّ الحاضر. فيكون مقصود القول أنّ الجزء المُتَصَرِّمَ من النّغم يكون عندي موضوعيّا لِمَكَانِ التذكّر، وأنّه كلّما حدث صوت فلا يُرى أنّ ذلك غاية الشّيء، فلِمَكَانِ التّرقّب المُسْتَشْرِفِ. أمّا نحن، فلا يسعنا أن نرضى بمثل هذا التّفسير، لأنّ كلّ نظره إنّما كان في الصّوت الفرديّ. بل إنّه حين يَرِنُّ صوت، فهو يُسْمَعُ على أنّه حاضر، وهو حين يواصل الرّنين، فَسَيَتَجَدَّدُ له حاضر أبدا، والحاضر المُتَقَدِّمُ يَنْقَلِبُ أبدا إلى ماض. لِذَا فدائما لا يُسْمَعُ إلاّ الطّور الآني لِلصَّوْتِ، أمّا موضوعيّة كُلِّ الصّوت الّذي ينتشر في مدّة، فإنّما يُنْشِئُه مُتَّصِلٌ فعليّ بعضه تذكّر، وبعضه نُقَطِيّ وفي غاية الضّآلة، هو إدراك، وبعضه الآخر أعظم قَدْرًا، هو تَرَقُّبٌ. وقد يُظَنُّ أنّ هذا لَرُجوعٌ إلى قول **برنتانو**. ولذا، فقد وجب الآن أن نفحص عن الأمر فحصا أشدّ تَفْصِيلاً.

الباب الثّامن: في الموضوعات الزّمنيّة الباطنيّة وفي ضروب ظهورها

فَلْنُسْقِطْ الآن كلّ أخذ، وكلّ إثبات لِأَمْرٍ مُفَارِقٍ، ولِنَنْظُرْ في صوت ما على أنّه محض مُعْطَى هيولانيّ(١). فالصّوت يبدأ ثمّ يكفّ، وإذا كفّ فمدّته كلّها، أعني جميع الحدث الذّي فيه بدأ وفيه انقضى، سوف يغبر في ماض ما ينفكّ يزداد سُحْقًا. ومع هذا الغُبُورِ، فهو يبقى مَمْسُوكًا به، أي ممسوكا به في فعل مَسْكِيٍّ، وما ثَبَتَ المَسْكُ(٢)، فزَمَنِيَّةُ الصّوت باقية هي هي، وحقيقته باقية هي هي، ومدّته باقية هي هي. وحينئذ فلنا أن نعتبر منه كيف هو يُعْطَى. إنّ وَعْيِي بالصّوت وبالمدّة الّتي يَمْلَؤُهَا إنّما يكون في متّصل من الضُّرُوبِ، وسَيَّالٍ مُتَّصِلٍ(٣). فَحَدٌّ، أو طَوْرٌ(٤) في هذا الصّوت، يُقَالُ عليه وعي بالصّوت في مَبْدَئِهِ، وفيه أكون واعيا بالآن الأوّل من مدّة الصّوت، على أنّه الحاضر. والصّوت يكون مُعْطَى لأنّه يكون مُوعَى به على أنّه حاضر. ولكن هو يكون مُوعَى به على أنّه حاضر ما كان طور واحد من أطواره أيّا كان هو موعى به على أنّه حاضر. أمّا إذا ما كان طور ما زمنيّ من آنات مدّة الصّوت هو حاضرا فعليّا ولم يكن عين طورها المَبْدَئِيِّ، فَسَيَكُونُ وَعْيٌ بِمُتَّصِلٍ من الأطوار على أنّه قد حَصَلَ مِنْ قَرِيبٍ، و بكلّ المدّة المُنْتَشِرَةِ من أوّل الآن إلى الآن الحاضر على أنها مدّة مُتَصَرِّمَةٌ، أمّا الباقي من كلّ مدّة الصّوت، فلا يكون قد انقضى بعد. وفي آخر آن، يكون الوعي بهذا الآن نفسه وعيا بآن حاضر، والوعي بكلّ المدّة على أنّها مدّة مُنْقَضِيَةٌ، إمّا في ذلك الآن أو في الآن الأوّل لِانْتِشَارٍ زمنيّ آخر لا يكون عين الانتشار الصّوتيّ الأوّل. ففي هذا السيّال الوَعْيِيِّ كلّه، يكون الوعي وعيا بصوت واحد هو هو على أنّه صوت مُنْتَشِرٌ في مدّة، ومنتشر الآن في مدّة. أمّا من قبل أن يُسْمَعَ، أي

---

(1) Donnée hylétique.

(2) Rétention.

(3) Flux continu.

(4) Phase.

حينما لم يكن صوتا مُتَرَقَّبًا أن يُسْمَعَ، فليس هناك وعي به. وَمِنْ بَعْدِ انْقِضَائِهِ، فالوعي به يستمرّ برهة من الزّمن في المَسْكِ على أنّه أمر ماض، ويجوز ملاحظته ملاحظة تُبْقِيهِ وتُثْبِتُهُ. وحينئذ يؤُولُ أمر كلّ المدّة الصّوتيّة، أو الصّوت في انتشاره الزّمنيّ إلى أن يصير وكأنّه شيء ميّت. إذ هو قد انقطع عن حصوله حصولا حيّا. وصار صورة لم يَعُدْ ينفخ فيها الحاضر من روحه(١)، بل تَتَغَيَّرُ أبدا وتَهْوِي في الفراغ. وهذا التّغيّير(٢) الّذي يعتور المدّة بحذافيرها إنّما يُشْبِهُ أو يماثل في حقيقته التّغيّير الّذي يعتور الجزء الصّوتيّ المُتَصَرِّمِ أثناء وجود الصّوت بالفعل، وحين يكون الوعي ما ينفكّ يُجَدِّدُ إبداعاته.

وهذا الوصف المَبْسُوطُ إنّما قد كان وصفا لِشَكْلِ ظهور الموضوع الزّمنيّ الباطنيّ في سَيَّالٍ مُتَّصِلٍ، وكيف هو يُعْطَى. وبَيِّنٌ أنّه فَرْقٌ بين وصف هذا النّحو، ووصف عين المدّة الزّمنيّة الظّاهرة. إذ أنّ ذلك الصّوت الواحد، بما له من مدّة زمنيّة لم يكن هو موضوع الوصف، بل قد كان مُقْتَضَى الوصف فحسب. فمدّة زمنيّة واحدة تكون أوّلا حاضرة، تَنْبَنِي انْبِنَاءً فعليّا، ثمّ تنقلب مدّة ماضية، قد تَصَرَّمَتْ، أي مدّة ما يَنْفَكُّ الوعي يَعِيهَا، أوكأنّها قد انْبَعَثَتْ ثانية في التَّذَكُّرِ. إذ إنّما عين هذا الصّوت الواحد الّذي يَرِنُّ الآن، ما سَيُقَالُ عنه في سَيَّالٍ وَعْيِيٍّ مُتَأَخِّرٍ إنّه قد كان، وإنّ مدّته الزّمنيّة قد انقضت. وابْتِعَادُ نُقَاط المدّة الزّمنيّة عند الوعي لَيُشْبِهُ ابتعاد نُقَاط الموضوع الثّابت في المكان، عند الوعي، حينما يُنْأَى عن هذا الموضوع. فالموضوع يحفظ مكانه، والصّوت يحفظ زمانه، ولا آن واحد من آنات الصّوت قد يُغَيِّرُ وضعه في الزّمن، بل هو يَغِيبُ بعيدا عند الوعي، ومقدار الفصل الّذي بينه وبين الحاضر المُبْدِعِ ما يَفْتَأُ يزداد كِبَرًا. فالصّوت نفسه إنّما يبقى هو هو، أمّا الصّوت في ضرب ظهوره، فأبدا يظهر ظهور مُخْتَلِفًا.

---

(1) Animer.

(2) Modification.

ولو أَمْعَنَّا النّظر إمعانا أشدّ لَتَبَيَّنَّا أيضا أنّ لِلْوَصْفِ أن يتّخذ طرقا كثيرة: فأوّلا، قد نقطع بأحكام بَيِّنَةِ الصّدق في أمر الموضوع الباطنيّ في ذاته: فنقول إنّه الآن منتشر في مدّة زمنيّة، أو بأنّ جزء من المدّة الزّمنيّة قد تصرّمت، أو بأنّ مدّة الصّوت المُحَاطِ بِهَا عِلْمًا[١] في الحاضر، ومعها المحتوى الصّوتيّ نفسه ضرورة، هي تَغْبُرُ أبدا في الماضي، وأنّ نقطة أبدا مُسْتَأْنِفَةً في المدّة الزّمنيّة تحلّ في الحاضر أو تصير حاضرا، أو أنّ المدّة الزّمنيّة المتصرّمة هي تبتعد عن الآن الحاضر الفعليّ الّذي ما يفتأ يمتلأ بنحو من الأنحاء، وأنّها تغبر في مَاضٍ يزداد نَأْيًا دائما، وهلمّ جرّا. ولكن، ثانيا، فقد نتكلّم أيضا في كيف يكون الوعي بكلّ تلك الأنحاء المختلفة في ظهور[٢] الصّوت الباطنيّ، وفي ظهور محتواه الزّمنيّ. فنقول في مدّة الصّوت الزّمنيّة الّتي تمتدّ إلى الحاضر الفعليّ، بأنّها مدّة مُدْرَكَةٌ، ونجزم بأنّ الصّوت، أي الصّوت الّذي ينتشر الآن في مدّة زمنيّة إنّه أمر مُدْرَكٌ، ولكن في كلّ آنٍ من آنات مدّة الصّوت الزّمنيّة المنتشرة، فليس يُدْرَكُ تَحْقِيقًا إلاّ النّقطة الموصوفة في المدّة، بالحاضر. وقد نقول كذلك إنّا في المِسَاكِ[٣] إنّما نعي بالمدّة الزّمنيّة المتصرّمة، أو بأجزائها، أو أطوارها، وأنّ الأجزاء القَرِيبَةَ من الآن الحالي ليس من العسير تبيّنها، أمّا أطوار المُضِيِّ الّتي تكون أشدّ تقدّما منه وأعظم نَأْيًا، فَتَبَيُّنُهَا إمّا أن يكون على مَرْتَبَةٍ في الغموض، أو غامضا إطلاقا، ولا يكون فيه شيء. وكذا بعد تَصَرُّمِ كُلِّ المدّة الزّمنيّة: فما كان منها أقرب إلى الحاضر الفعليّ يكون على مرتبة من البيان، وليس يَنْقَطِعُ المسك أويبطل حتّى يَغِيضَ الكلّ في المجهول، ويفنى آخر الفناء، مع فرض جواز صحّة ذلك.

---

(1) Saisie.

(2) Apparition.

(3) Rétentions.

ولِهَذَا، فإنّا نجد في المعطى البَيِّنِ فروق وفصول في المحتويات كبيرة جدًا، وهي تزداد بيانا كلّما قرب المعطى قربا أكبر من الحاضر الفعليّ. وكلّما نُئِيَ عن الحاضر، ظهر انْفِسَاخٌ أشدّ وتراكم أعظم. وإذا ما أوغلنا بِالرَّوِيَّةِ في فِعْلٍ ما[١] ذي هيئة واحد، فسنرى بأنّ قطعة منه أو حلقة، هي تَتَقَلَّصُ مُتَقَهْقِرَةً في الماضي، على نَمَطِ الأفق الزّمنيّ، بَاطِنَ الظّهور الزّمنيّ الأصليّ، شَبِيهٍ بالأفق المكانيّ. إذ أنّ الموضوع الزّمنيّ إذ ما غبر في الماضي، تَقَلَّصَ وغَمُضَ معًا.

وإنّا نريد الآن أن نعرف أكثر ما الّذي قد نُصِيبُهُ هنالك، و يكون حَقِيقًا بأن يُوصَفَ على أنّه ظاهرة وَعْيِيَّةٍ مُنْشِئَةٌ لِلزَّمَنِ، أي ظاهرة وَعْيِيَّةٍ هي محلّ نشأة الموضوعات الزّمنيّة، ومعانيها الزّمنيّة. فنَتَبَيَّن أمرين اثنين، أعني الموضوع الباطنيّ المنتشر في مدّة، والموضوع في نحو كون الوعي واعيا به، إمّا على أنّه حاضر، أو على أنّه ماض. وكلّ وجود زمنيّ فإنّما يظهر في ضرب من السّيلان[٢] مُتَّصِلِ التّغيّر، حتّى أنّ الموضوع الموجود في ضَرْبٍ من السّيلان هو أبدا شيء آخر في هذا التّغيّر، ومع ذلك فهذا الموضوع، وكلّ نقطة من نقاطه الزّمنيّة، وعين هذا الزّمن إنّما تصحّ عندنا على أنّها لَشَيْءٌ واحد هو هو. ومن غير الجائز أن نُسَمِّيَ «الموضوع المتحقّق في ضرب من السّيلان» بالوعي، مثلما قد كان من غير الجائز أن نسمّي بالوعي، الظّاهرة المكانيّة، أوالجسم المُتَحَقِّقُ في ظهوره ظهورا بهذا الوجه، أو ذاك الوجه، أو من قريب أو بعيد. إذ أنّ الوعي أو المعيش إنّما يتعلّق بموضوعه بِتَوَسُّطِ الظُّهُورِ الّذي هو مَحَلُّ وجود الموضوع مُتَحَقِّقًا على نحو من أنحاء التّحقّق. وبَيِّنٌ أَنَّهُ لا بُدَّ أن يُتَبَيَّنَ في عبارة القصديّة[٣] معنيين اثنين، أحدهما يَدُلُّ على نِسْبَةِ الظّهور إلى الشّيء الظّاهر، وثانيهما يدلّ أوّلا على نسبة الوعي إلى الشّيء الظّاهر ظهورا مُتَحَقِّقًا في ضرب ما، وثانيا على نسبة الوعي إلى الشّيء الظّاهر بِمُجَرَّدِهِ.

---

(1) Processus.

(2) Ecoulement.

(3) Intention, intentionnalité.

الباب العاشر: في مُتَّصِلاَتِ ظَاهِرَاتِ السَّيَلاَنِ، وفي شَكْلٍ لِصُورَةِ الزَّمَنِ

أمّا في أمر الظّاهرات المقوّمة للموضوعات الزّمنيّة الباطنيّة، فسنختار مستقبلا ألاّ نستعمل في وَسْمِهَا، لفظة «الظّهورات». وذلك لأنّ هذه الظّاهرات نفسها هي أيضا موضوعات باطنيّة، وهي ظهورات بمعنى غير المعنى الأوّل إطلاقا. فهناك إذًا ظاهرات السّيلان، أعني ضروب في الأفق الزّمنيّة، وهناك خصائص السّيلان للموضوعات الباطنيّة نفسها، كالحاضر، او الماضي. والبيّن في ظاهرة[1] السّيلان أنّها اتِّصَالِيَّةٌ من الانقلابات الدّائمة ذات وحدة لا تَتَجَزَّأُ: أي ذات وحدة في الاتّصاليّة لا تنقسم إلى أجزاء، أو أطوار أو نقاط فعليّة. بل إنّ كلّ جزء جزء من الاتّصاليّة السّائلة، أو طور، أو نقطة الّتي بالتّجريد إنّما تصير مُنْحَازَةَ الحقيقة، فهي في الخارج لا يمكن أن توجد إلاّ وهي مُقَارِنَةٌ لِلْكُلِّ السَّائِلِ. ومن الأمور الّتي قد يصحّ صحّة تامّة لِأَنْ نَصِفَ بها الاتّصاليّة قولنا إنّ بها أيضا لَنَوْعًا من الثّبات، وهو أنّها ثابتة الصّورة. إذ من الممتنع إطلاقا أن يتكرّر مرّتين في اتّصاليّة الأطوار ضرب طَوْرِيٌّ واحد، أو أن يكون وجوده وجودا منتشرا في قطعة منه. فكما كان بالاضطرار ألاّ يتكرّر مرّتين أيّ آن زمنيّ واحد، أو مدّة زمنيّة واحدة، و أن يكون كلّ منها مُنْحَازَ الحقيقة مُتَفَرِّدًا عن غيره، كذلك فَبِالاضْطِرَارِ ألاّ يتكرّر مرّتين ألبتّة ولو ضرب واحد من ضروب السّيلان. ومع كلّ الوصف فالأمر يحتاج إلى فَضْلِ تَفْصِيلٍ وبَيَانٍ. ولِتَعْلَمْ أوّلا أنّ لِكُلِّ ضرب ضرب سيلانيّ لِكُلِّ موضوع زمنيّ باطنيّ، مبدأ قد نُسَمِّيهِ بلفظة مُسْتَعَارَةِ النّقطة اليَنْبُوع[2]. والمبدأ ضرب سيلانيّ به إنّما يدخل كلّ موضوع باطنيّ في الوجود دُخُولاً أوّلا. وَصِفَتُهُ الحاضر. أمّا في سائر ضروب السّيلان

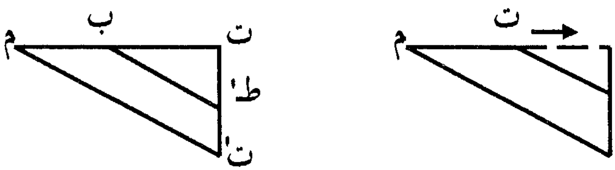
---

(1) Phénomène.

(2) Point source.

المتّصلة فقد يَبِينُ هذا الأمر الباهر، وهو أنّ كلّ طور سيلانيّ مُتَأَخِّرٌ، فهو أيضا اتّصاليّة متّصلة النّموّ، أي اتّصاليّة من المَوَاضِي. وإذا ما قَابَلْنَا اتّصاليّة ضروب سيلان مدّة الموضوع الزّمنيّ إلى اتّصاليّة ضروب سيلان كلّ نقطة في المدّة الّتي بَيَّنّ أنّما توجد في اتّصاليّة عين ضروب السّيلان الأولى، فسنرى أنّ اتّصاليّة كلّ موضوع زمنيّ السّيلانيّة إنّما هي عبارة عن متّصل أطواره هي عين متّصلات كلّ الضّروب السّيلانيّة لكلّ آن آن في مدّة الموضوع الزّمنيّة.

فكلّما أوغلنا في مُتَعَيِّنِ الاتّصاليّة، بَانَ لنا منها تَغْيِيرَاتٌ دَائِبَةٌ، وأنّ الضّرب السّيلانيّ، أعني اتّصاليّة الآنات المتحقّقة السّيلانيّة تتغيّر أبدا. إذ في عين الوقت الّذي يتجدّد فيه دائما حاضر آخر، ينقلب الحاضر إلى ماضي، وتُمْعِنُ حينئذ اتّصاليّة مواضي النّقطة المتقدّمة كلّها السّيلانيّة في السُّفُولِ سُفُولاً واحد الصّورة في عمق الماضي. إنّه في هذا الشّكل، يَرْمُزُ الخطّ المتّصل في خطوط الطّول منه إلى ضروب سيلان الموضوع المنتشر في مدّة. فهذه الضّروب هي تبدأ من نقطة م، ثمّ تواصل النّموّ حتّى تنتهي عند طُولٍ مُعَيَّنٍ ذي حاضر هو آخر آن المدّة السّائلة. وَهُنَالِكَ إنّما يدخل في الوجود سلسلة أخرى من الضّروب السّيلانيّة لا تكون مُنْطَوِيَةً البتّة على أيّ حاضر من المدّة الأولى الّتي تكون قد صارت مدّة غير فعليّة، أي ماضية، ما تَفْتَأُ تَعْبُرُ عُبُورًا مُتَّصِلاً في عمق الماضي. وإنّ هذا الشّكل إذًا، لَيُصَوِّرُ تَصْوِيرًا نِعِمَّا تَيْنِكَ الاتّصاليتين الاثنتين في الضّروب السّيلانيّة.



م ت. سلسلة الآنات الحاضرة؛
م ت'. الإنْحدَارُ في العمق؛
ت ت'. مُتَّصَلُ الأطوار، أي الآن الحاضر مُقْتَرِنٌ به أفق الماضي؛
ت ← . خُطُوطُ الحاضرين الّتي يمكن أن تملأها موضوعات أخرى.

الباب الحادي عشر: في الانطباع الأصليّ[1]، وفي التّغيير المَسْكِيّ[2]

إنّ النُّقْطَةَ اليَنْبُوعَ الّتي منها يبدأ إبداع الموضوع المنتشر في مدّة هو انْطِبَاعٌ أَصْلِيٌّ. وهذا الوعي مُتَّصِلُ التَّغْيِيرِ. إذ أبدا حاضر الصّوت الحقيقيّ هو ينقلب إلى ماض، وأبدا هناك حاضر صوتيّ مُتَجَدِّدٌ دائما يحلّ محلّ الصّوت الغابر في التّغيير. ولكن حينما الحاضر الصّوتيّ، أو الانطباع الأصليّ ينقلب إلى مَسْكٍ، فَهَذَا المَسْكُ سيكون كذلك حاضرا، أي أمرا فعليّ الحضور. وهو في عين كونه فعليّا، وليس صوتا فعليّا، إنّما يكون مسكا للصّوت المتصرّم. فشُعَاعُ الإشارة قد يُشِيرُ إلى الحاضر، أي إلى المَسْكِ، وقد يُشِيرُ إلى موضوع الوعي المَسِكِيِّ، أي إلى الصّوت الماضي. وإذ أنّ كلّ حاضر حاضر فِعْلِيٌّ في الوعي هو يجري عليه حُكْمُ التَّغْيِيرِ، فالمسك سينقلب ضرورة إلى مسك المسك، فمسك مسك المسك، وهلمّ جرّا، فيلزم متّصل مسكيّ حيث يكون كلّ نقطة متأخّرة هي مَسْكًا لكلّ نقطة متقدّمة، ويكون كلّ مسك هو أيضا مُتَّصِلاً ما. إذ الصّوت يدخل في الوجود، ويستمرّ استمرارا متّصلا. وحاضر الصّوت ينقلب إلى ماضي الصّوت، والوعي الانطباعي، سائلا سيلا متّصلا، إنّما ينقلب إلى وعي مسكيّ متجدّد أبدا. ولو سَرَّحْنَا النّظر في كلّ السَّيَّالِ، لَتَبَيَّنَّا وجود سلسلة متّصلة من المِسَاكِ ذات تعلّق بالنّقطة الأصل، وتبينّا أنّ كلّ نقطة متقدّمة من حيث هي الآن، في السّلسلة، فصورتها صورة خُفُوتٍ مَسْكِيٍّ[3]. لِذَا كان كلّ مسك من المساك المذكورة إنّما تَعْلَقُ به اتّصاليّة من التّغييرات المسكيّة الّتي هي كذلك نقطة في الفعليّة صورتها صورة خفوت مسكيّ. ولكن هذا ليس معناه أنّه

---

(1) Impression originaire.

(2) Modification rétentionnelle.

(3) En dégradé au sens de la rétention.

يوجد محض حصول قَهْقَرِيٍّ لا متناه، إذ أنّ كلّ مسك، ففي حقيقته هو تَغْيِيرٌ متّصل قد طَوَى فيه، كما قد يقال، تُرَاثَ الماضي، في صورة سلسلة من الخُفُوتَاتِ[1]. ولا يَظُنَّنَّ أحد أنّ ذلك إنّما يكون فقط على نمط أنّ كلّ مسك متقدّم فَيَحِلُّ، ولو حلولا متّصلا، مَحَلَّهُ، مَسْكٌ آخر على طول السيّال، إذ أنّ كلّ مسك متقدّم، فليس هو فحسب تغيير متّصل أصله الانطباع الأصليّ، بل إنّه تغيير متّصل لِعَيْنِ النُّقْطَةِ الأصل.

إنّا إلى الغاية قد آثرنا النّظر خاصّة في الإدراك، أي في نشأة الموضوعات الزّمنيّة نشأة أصليّة، وطلبنا أن نعرف بطريق التّحليل أيّ شيء الوعي الزّمنيّ المُعْطَى فيها. بَيْدَ أَنَّ الوعي بالزّمن ليس ذلك صورة الحصول الوحيدة فيه. إذ أنّ الموضوع الزّمنيّ إذا ما تصرّم، والمدّة الفعليّة قد انقضت، فالوعي بالموضوع المُنْقَضِي الآن لا يَفْنَى إطلاقا لانْقِضَائِهِ، وإن هو سيبطل حينئذ كونه وعيا إدراكيّا، أو، كما قد يَحْسُنُ القول، سيبطل كونه وعيا انطباعيّا ألبتّة. وَلْنَضَعْ كما وضعنا آنفا موضوعات باطنيّة نشأتها ليست نشأة إدراكيّة تَحْقِيقِيَّةٍ. فنرى أنّه يَعْلِقُ[2] أبدا بالانطباع، أَوَّلُ التَّذَكُّرِ[3]، أو كما قد سمّيناه المَسْكُ. وفي الحقيقة لقد عرفنا فِيمَا سَلَفَ هذا الضّرب من الوعي، إذ أنّ اتّصاليّة الأطوار الّتي رأيناها تَعْلَقُ بكلّ آن، ما هي إلاّ اتّصاليّة من المِسَاكِ، وعين المسك الموصوف. فأمّا إذا كان الموضوع الزّمنيّ مُتَحَقِّقًا تَحَقُّقًا إدراكيّا، وليس شرطا في صحّة التّحرير أن يكون الإدراك باطنيّا، و لايكون مُفَارِقًا، كانت نهاية اتّصاليّة الأطوار في كلّ آن إنّما هي الأخذ الآنيّ، أي الإدراك في معنى الوَضْعِ[4] على أنّه الآن. فَمَثَلاً في أثناء إدراكنا لِحَرَكَةٍ ما، إنّما نُصِيبُ كلّ آن شيئا ما على

(1) Dégradés.

(2) S'accroche.

(3) Souvenir primaire.

(4) Position.

أنّه الآن، ويكون محلّ نشأة الطّور الآني الفعليّ في الحركة. بل إنّ الأخذ الآني هو شَبِيهٌ بِنَوَاةٍ في مُذَنَّبٍ من المِسَاكِ، ويكون أبدا موصولا إلى الآنات الحاضرة المتقدّمة في الحركة. وأمّا إن بطل الإدراك، وبطلت رُؤْيَتُنَا لِلْحَرَكَةِ، أوكان قد فُرِغَ من العزف، فبطل سماعنا للنّغم، وحلّ محلّه صمت مخيّم، عُدِمَ كلّ طور إدراكيّ مُتَجَدِّدٍ شأنه أن يعلق بالطّور المتقدّم، وحلّ محلّه طور تذكّريّ أوّل، ثمّ محلّه طور تذكّريّ ثان، وهلمّ جرّا. فعلى هذا النّمط إذًا إنّما يكون الغُبُورُ في الماضي السَّحِيقِ غُبُورًا مُتَّصِلاً، ويكون لِمُرَكَّبٍ واحد متّصل أن يَعْتُورُهُ التّغيير دَأَبًا إلى حدّ الغَيْبُوبَةِ. إذ أنّ التّغيير المتّصل إنّما يقارنه نُقْصَانٌ في الوضوح يَؤُولُ بالأَخَرَةَ(1) إلى اللاتَّبَيُّنِ. فَبَيِّنٌ إذًا أنّ الفصل الزّمنيّ الأصليّ هو محدود كالفصل الإدراكيّ سَوَاءً بِسَوَاءٍ. وفي الجملة، فقد نقول أيضا إنّ الفصل الزّمنيّ هو أبدا ذو مقدار مُنْتَشِرٍ واحد، وهو يسري على الحركة المدْرَكَةِ، أو المتذَكَّرَةِ من قريب، أو على زمنها الموضوعيّ، كالفصل المرئيّ على المكان الموضوعيّ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ.

الباب الثّاني عشر: في أنّ المسك هو قصديّة مَخْصُوصَةٌ

وقد بقي الآنّ أن نُفَصِّلَ أكثر في طبيعة التّغيير الّذي كنّا قد وسمناه بالمسكيّ:

فلقد جرت العادة بالقول إنّه حين ينقلب الإدراك الحقيقيّ إلى مَسْكٍ، فالمحتويات الحسّيّة تَرِقُّ وتَحُولُ، وهلمّ جرّا. ولكن قد صار ظاهرا ممّا سلف من بيان بأنّ المحتويات المسكيّة هي غير المحتويات الحقيقيّة إطلاقا. إذ أنّ الصّوت إذا مَا رَقَّ، فقد كان أوّلا صوتا محسوسا ذا كثافة ظاهرة، ثمّ مَالَبِثَ أن صار ذَا كَثَافَةٍ رَقِيقَةٍ. إذًا فهو صوت موجود، محسوس، وهو محسوس على أنّه مجرّد رَجْعٍ صَوْتِيٍّ. لِذَا كان هذا الضّرب من الإحساس الصّوتيّ الحقيقيّ إنّما

(1) Finalement.

يختلف اختلافا بَيِّنًا عن المعنى الصّوتيّ في المسك. إذ أنّ الصّوت المسكيّ غير الصّوت الحاضر، بل إنّه صوت مُتَذَكَّرٌ أَوَّلَ التَّذَكُّرِ، في الحاضر، وهو لا يوجد وجودا حقيقيّا في الوعي المسكيّ. أمّا المعنى الصّوتيّ القائم في المسك، فليس هو ألبتّة بصوت آخر قد يُوجَدُ في المسك وجودا فعليّا، ولو فُرِضَ أنّه لَصَوْتٌ ذو كيف واحد، أي هو رجع صوتيّ، ضعيفا غَايَةَ الضّعف. صحيح إنّه قد يوجد صوت حاضر شأنه أن يُذَكِّرَ بِصَوْتٍ آخَرَ مَاضٍ، أو يَعْرِضُهُ، أو يكون صورة له. ولكن ذلك يقتضي تصوّرا للماضي تصوّرا آخر. أمّا حدس الماضي عَينِهِ، فلا يكون ألبتّة بطريق التّصوير بالصّورة. بل إنّه وَعْيٌ أَصْلِيٌّ. وليس يَنْبَغِي، بِلاَ مِرْيَةٍ، أن نُنْكِرَ وجود رجع أصوات. ولكن حيثما عرفناه، وميّزناه، تبينّا لاَ مَحَالَةَ بأنّ الرَّجْعَ إنّما نِسْبَتُهُ إلى الإدراك، وليس إلى المسك بما هو مسك إطلاقا. فمثلا رَجْعُ صَوْتٍ لِعُودٍ إنّما هو صوت عود حاضر وضعيف يختلف بَيِّنَ الاختلاف عن مَسْكِ صَوْتٍ ما قويّ كان قد مضى مِنْ قَرِيبٍ. إذًا، فكلّ رجع صوت، أو، في الجملة، كلّ صورة صورة لَزِمَتْ عن معطيات حسيّة عظيمة القوّة بعد ذهابها، فحقيقتها هي غير حقيقة المسك، ولا نسبة لها إلى أيّ مسك ألبتّة.

واعلم أنّه من الأمور الدّاخلة حقّا في طبيعة الحدس الزّمنيّ أنّه في كلّ نقطة من المدّة الزّمنيّة الّتي يمكن أن تصير موضوعا بطريق الرَّوِيَّةِ، فالحدس هو وعي ليس فقط بالآن الحاضر في الشّيء الظّاهر على أنّه موضوعيّة ذات مدّة، بل وأيضا هو وعي بهذا الّذي قد مضى من قريب[1]، أي أنّ الحدس الزّمنيّ إنّما يوجد به وعي بِهَذَا الّذي قد مضى من قريب في كلّ اتّصاليّة هي فيه، وعند كلّ طور في ضرب ظهوريّ مُعَيَّنٍ ذي محتوى مختلف، وأَخْذٍ مختلف. فمثلا لو أمعنّا النّظر في صَفِيرِ الدّخان الّذي يُسْمَعُ الآن فَسَنَتَبَيَّنُ أنّه في كلّ نقطة فيه يقوم انتشار ما، وفي الانتشار يوجد الظّهور الّذي هو في كلّ طور في الانتشار إنّما

(1) Tout juste passé.

ينطوي على معنى كيفيّ، ومعنى أخذيّ. ثمّ إنّ المعنى الكيفيّ ليس بِكَيْفٍ حقيقيّ، أي ليس هو بصوت موجود الآن وجودا حقيقيّا، أو يجوز أن نصفه بأنّه الآن هو مُحْتَوَى صَوْتِيّ، وإن كان باطنيّا. إذ أنّ المحتوى الحقيقيّ للوعي المتعلّق بالآن الحاضر قد يكون مشتملا على أصوات محسوسة، لا بدّ أن يكون وصفها في الأَخْذِ المُصَيِّرِ مَوضُوعِيًّا[1] بأنّها أمور حاضرة ومُدْرَكَةٌ، ولكن لا يجوز فيها إطلاقا أن تُوصَفَ بالأمور الماضية. أمّا الوعي المسكيّ فيشتمل اشتمالا حقيقيّا على وعي بماضي الصّوت، أي على أَوَّلِ تَذَكُّرِ الصَّوْتِ، ومن غير الجائز أن يُفْصَلَ إلى صَوْتٍ مُحَسٍّ، وأَخْذٍ تَذَكُّرِيٍّ. فكما كان الصّوت الخياليّ ليس هو بِصَوْتٍ، بل تخيّلا للصّوت، وكما كان فَرْقٌ كُلَّ الفَرْقِ بين تخيلّ الصّوت والإحساس به، وليس هما ألبتّة بشيء واحد يُعْتَبَرُ اعتبارا مختلفا، ويُؤَوَّلُ تأويلا مغايرا، كذلك فهو فرق كلّ الفرق بين الصّوت المُتَذَكَّرِ أَوَّلَ التَّذَكُّرِ تَذَكُّرًا حَدْسِيًّا، والصّوت المدْرَك، أي بين أوّل تذكّر الصّوت، أو المسك، وعَيْنِ الإحساس بالصّوت.

الباب الثّالث عشر: في أنّه بالضّرورة كلّ مَسْكٍ إنّما يَتَقَدَّمُهُ انْطِبَاعٌ، وفي بَدَاهَةِ المَسْكِ

وإذا تَقَرَّرَ ذلك، فَلِسَائِلٍ أن يسأل: تُرَى هل يوجد حكم يُوجِبُ بأنّه كلّ تذكّر أوّل فليس يكون إلاّ إذا كان مَوْصُولاً وَصْلاً مُتَّصِلاً إلى إحساس متقدّم، أو إدراك متقدّم، وهل يوجد حكم يوجب بأنّه كلّ طور مسكيّ، فلا يجوز أن يُتَصَوَّرَ إلاّ على أنّه طور، أي أنّه من الممتنع ألبتّة أن يوجد مَبْسُوطًا في انْتِشَارِيَّةٍ تكون هي هي في كلّ الأطوار جميعا؟ وجوابنا بالقطع نعم. أمّا علم النّفس التّجربيّ الّذي اعتاد أن ينظر إلى كلّ أمر نفسيّ على أنّه مجرّد سلسلة أحداث،

(1) Appréhension objectivante.

فسيكون جوابه بالقطع: لا. فقد يقول: وَمَا دَلِيلُكُمْ على مَنْعِكُمْ أن قد يوجد وَعْيٌ أَوَّلٌ هو تَذَكُّرٌ قَرِيبٌ، ولا يكون قد تقدّمه إدراك واحد؟ إذ أنّ جَوَازَ صحّة أنّه لا يوجد في الواقع تذكّر قريب إلاّ وقد تقدّمه ضرورة إدراك، ولا ذكريات في وعي إنسانيّ، ولو أُولَى، إلاّ وقد تقدّمتها إدراكات، ليس بالمانع من جواز أن يصحّ العكس. أمّا نحن فنقول: إنّه لَضَرُورَة ضرورة مَا قَبْلِيَّة أن يتقدّم كلّ مسك، إدراك ما، أي انطباع أصليّ يكون بِإِزَائِهِ. ولا بدّ أوّلا أن نُنَوِّهَ إلى هذا الأمر: إنّ كلّ طور لا يمكن أن يوجد إلاّ على أنّه طور، و لا يمكن أن يكون ذا انتشاريّة. فالطّور الحاضر لا يمكن أن يوجد إلاّ على أنّه نِهَايَةٌ في اتِّصَالِيَّةٍ من المِسَاكِ، كما أنّ كلّ طور مسكيّ، فلا يمكن أن يوجد إلاّ على أنّه نقطة في المتّصل، وذلك في كلّ آن حاضر في الوعي الزّمنيّ. ولذا كانت كلّ سلسلة تامّة من المساك، ليس يمكن أن توجد إلاّ إذا كان قد تقدّمها إدراك يكون بإزائها. فَلَزِمَ أنّ كلّ سلسلة من المِسَاكِ ذات تعلّق بكلّ حاضر، فهي بعَيْنِهَا نهاية، وتَتَغَيَّرُ اضطرارا. والأمر المَمْسُوكُ يَغْبُرُ في الماضي أكثر فأكثر، وأيضا: إنّه بالاضطرارا شيء ما كان قد غَبَرَ، وهو شيء شأنه أن يُصَحِّحَ تذكّرا بديهيّا يصله إلى آن مُتَجَدِّدٍ أبدا.

ولسائل أن يسأل: إذًا، فهل لي أن يكون لِي تَذَكُّرٌ، ولو تذكّر أوّل بأ مثلا وأ لم يوجد في الحقيقة قطّ؟ والجواب: قَطْعًا إنّه يمكن. بل إنّه قد يكون لنا إدراك لِـ أ، وأ لم يوجد في الواقع قطّ. ولذلك فالّذي نُثْبِتُ بداهته ليس بأنّه كلّ مسك لِـ أ، مع فرض كونه أمرا مُفَارِقًا، فلا بدّ أن يتقدّمه وجود أ، بل فحسب، لا بدّ أن يتقدّمه إِدْرَاكٌ لِـ أ. إذ أنّ أ في الإدراك عند الوعي إنّما هو شيء قَائِمٌ بلحمه ودمه، سواء قُدِّمَ في النّظر أم لو يُقَدَّمْ، وسواء اعْتُبِرَ اعتبارا أوّلا أم ثانيا. أمّا إذا كان الموضوع موضوعا باطنيّا، كان الأمر على هذا النّحو: إنّه إذا ظهر تَعَاقُبٌ، أو تَبَدُّلٌ، أو تَغَيُّرٌ لِمُعْطَيَاتٍ بَاطِنِيَّةٍ، فالتّعاقب، أو التّبدّل، أو التّغيّر هو أيضا حَقِيقِيٌّ بالتّمام، والتّعاقب الدّاخل في إنشاء الفعل الإدراكيّ المتعلّق بأمر

مفارق، هو كذلك حقيقيّ بالتّمام. والّذين يَتَّخِذُونَ هذا السّبيل في الحِجَاجِ إنّما يعكسون الأمور كلّ العكس بقولهم: أَنَّى لنا في الآن أن نعرف اللاآن، إن كان من غير المَقْدُورِ إطلاقا أن نَقِيسَ الآن إذ هو غير موجود، إلى الآن، أي إلى الصّورة الذّكريّة الحاصلة الآن؟ كما لوكانت حقيقة التّذكّر إنّما هي صورة تُوضَعُ في الآن مَحَلَّ شَيْءٍ ما مُشَابِهَةٍ لَهُ، ويلزم أن تُقَاسَ إليه، كما في الإِحْضَارِ[1] بطريق الصّورة. بل التّذكّر، أي المسك، إنّما هو أمر يختلف غاية الاختلاف عن كلّ وعي بالصّورة.

فالّذي يكون موضوع تَذَكُّرٍ عَلَى التَّحْقِيقِ، لا يكون موجودا الآن، وإلاّ كان حاضرا، ولم يكن ماضيا، وفي التذكّر، أي المسك، هو لا يُعْطَى على أنّه الآن، وإلاّ صار التذكّر، أي المسك، إدراكا، أي انْطِبَاعًا أَصْلِيًّا، وبَطُلَ كونه تذكّرا. لِذَا فَكُلُّ إِثْبَاتٍ لِمُقَايَسَةٍ بين أمر لم يعد مُدْرَكًا، وصار فقط مُوعَى به وَعْيًا مَسْكِيًّا، وأَمْرٍ خَارِجٍ عن الأمر الأوّل، إنّما هو عين الخلف. بل إنّه، فكما في الإدراك إنّما يُرَى الآن الموجود، أو في الإدراك المُنْبَسِطِ المُنْتَشِئِ يُرَى الوجود المُنْتَشِرَ في مدّة، كذلك الماضي إنّما يُرَى و يُعْطَى في أَوَّلِ التَّذَكُّرِ، وإِعْطَاءُ المَاضِي هو عَيْنُ التَّذَكُّرِ.

وإذا ما عُدْنَا إلى المسألة من رَأْسٍ وطلبنا الآن إن كان من الجَائِزِ وجود وعي مسكيّ لا يكون قد تقدّمه وعي انطباعيّ، فالجواب: كلاّ إنّه لا يمكن. وذلك لأنّ كلّ مسك، فهو يُشِيرُ بِالذَّاتِ إلى انْطِبَاعٍ. والماضي والآن أمران مُتَعَانِدَانِ. أمّا ما يكون هو هو[2]، فهو قد يوجد في الآن والماضي، ولكن ذلك فقط لِأَنَّ هذا الشّيء كان قد بقي بين الماضي والآن.

---

(1) Présentation.

(2) Identique, le même.

الباب الرّابع عشر: في ثاني إبداع[١] الموضوعات الزّمنيّة، أي في ثاني التّذكّر[٢]

لقد كنّا وصفنا أَوّلَ التّذَكُّرِ، أو المسك، بِذَيْلٍ مُذَنَّبٍ يعلق بإدراك الآن. ولابدّ أن نفصله فصلا تامّا عن ثاني التّذكّر. إذ أنّه إذا انقضى أوّل التّذكّر، فقد يَنْبَعِثُ انْبِعَاثًا ثانيا تذكّر ما لِعَيْنِ الحركة، أو عين النّغم. والآن فقد وجب أن نزيد بيانا ما الفرق المُشَارُ إليه آنفا بينهما. إنّه إذا علق بالإدراك الفعليّ المسك، وذلك إمّا في أثناء السيّال الإدراكي، أو في فِعْلٍ جَمْعِيٍّ مُتَّصِلٍ بعد انقضاء السيّال الإدراكيّ كلّه، فقد يُظَنُّ كظنّ **برنتانو** بأنّ الإدراك الفعليّ إنّما نشأته بالإحساسات، أمّا أوّل التّذكّر فَنَشْأَتُهُ بالخَيَالاَتِ، أي في فعل هو ثَانِي الإِحْضَارِ. بَيْدَ أَنَّهُ، وكما هو قد يعلق بإدراك ما إِحْضَارٌ مَا ثَانٍ علوقا أوّليّا، فكذلك قد يكون حُدُوثٌ لِثَانِي إِحْضَارٍ حُدُوثًا مُنْفَصِلاً عن الإدراك، ولا يكون مَوْصُولاً به، وحينئذ فيكون الحادث إنّما هو ثاني التّذكّر. ولكن على هذا القول مَآخِذُ صحيحة كنّا قد أسلفنا بَسْطَهَا في أثناء فحصنا لقول **برنتانو**. فَلِنَعْتَبِرْ هذا المثال من ثاني التّذكّر: كَتَذَكُّرِنَا لِنَغَمٍ كنّا قد سمعناه في مجلس ما. فهو سَيَبِينُ بوضوح أنّ ظاهرة تذكّر النّغم في كلّه، إلاّ في بعض الأمور، لَذَاتُ هَيْئَةٍ مُمَاثِلَةٍ لِلَّتِي في إدراكه. فمثله مثل الإدراك، هو لَذُو حدّ مخصوص، أي أنّه بإزاء الآن الحاضر في الإدراك، يوجد آن حاضر في التّذكّر. وإذا ما طلبنا اسْتِيفَاءَ النّغم في الخيال، كان لنا شِبْهُ سَمَاعٍ له، أي شبه سماع للصّوت الأوّل، فالصّوت الثّاني، فهلمّ جرّا. ومع كلّ آن حاضر يوجد أبدا صوت، أو طور صوتيّ. ولكن الأصوات المتقدّمة لا تكون قد انمحت من الوعي. إذ أنّه مع الأخذ للصّوت الظّاهر الآن، أي الّذي هو شِبْهُ مسموع الآن، إنّما يَنْبَنِي أوّل تذكّر الأصوات الّتي تقدّم من قريب سماعها شبه

---

(1) Reproduction.

(2) Souvenir secondaire.

السّماع، وأيضا تَرَقُّبٌ، أي مقبل مسك، الأصوات القريب سماعها شبه السّماع. ولِلْوَعْيِ في هذا الآن الحاضر هَالَةٌ زمنيّة أيضا يكون حصولها في اتّصاليّة من الأخذ التّذكّريّ. فكلّ تذكّر النّغم جميعا إنّما هو عبارة عن مُتَّصِلاَتٌ زمنيّة، وأخذيّة نوعها كالّذي كنّا قد أسلفنا وصفه. وبالأَخَرَةَ، فليس النّغم المُحْضَرُ ثَانِي الإِحْضَارِ يَتَصَرَّمُ، حتّى يعلق مسك بهذا السّماع شبه السّماع؛ أي أنّه المسموع شبه السّماع يبقى صوته لِآنٍ ما، وتبقى الاتّصاليّة الأخذيّة، ولكن ليس بما هي أمر مسموع. فالحال هاهنا كالحال في الإدراك وأوّل التّذكّر، سواء بسواء، ومع ذلك فليس ثاني التّذكر بِعَيْنِ الإدراك، ولا عين أوّل التّذكّر. إذ حين نَنْطَلِقُ في سَمَاعِنَا لِنَغَمٍ، صَوْتًا بعد صوت في التّذكّر أو الخيال، فليس سماعنا له بالسّماع الحقيقيّ. ففي أوّل الأمر كنّا نقول: إنّنا نسمع النّغم حقّا، والنّغم هو في شخصه موضوع إدراكنا، والموضوع الزّمني هو مُدْرَكٌ في شخصه. وأيضا الزّمن، والصّفات، والعلاقات الزّمنيّة هي مُدْرَكَةٌ في شخصها. بل إنّ النّغم أَوَّلَ ما يَنْقَضِي، فيبطل إدراكه وحضوره، ولكن لا يبطل وجوده لِلْوَعْيِ، وهو يبطل كونه حاضرا، ولكن ينقلب إلى هَا هُو ذَا قد انْقَضَى مِنْ قَرِيبٍ. وليس كونه هاهو ذا قد انقضى من قريب بالظنّ المحض، بل هو حقيقة مُعْطَاةٌ، معطاة في شخصها، أي إنّما هي حقيقة مُدْرَكَةٌ. أمّا الحاضر الزّمنيّ في ثاني التّذكّر، فهو حاضر مُحْضَرٌ ثاني الإحضار، ومُتَذَكَّرٌ ثاني التّذكّر. والماضي فهو ماضي مُحْضَرٌ ثاني الإحضار، ومُتَذَكَّرٌ ثاني التّذكّر، ولا يكون ماضيا مُدْرَكًا، أو مُعْطَى، أو مَحْدُوسًا حدسا أوّليّا.

ومع ذلك فثاني التّذكّر إنّما هو بِعَيْنِهِ لَثَانِي تَذَكُّرِ حَاضِرٍ، نشأته أوّلا نشأة أصليّة، وبعدها ينقلب إلى ها هو ذا قد انقضى من قريب. فهو أيضا لَيَنْتَشِئُ فِي مُتَّصِلٍ من المعطيات الأصليّة، والمساك، وفي عين هذه النّشأة إنّما تَنْتَشِئُ، أو تُعَاوِدُ النَّشْأَةَ كلّ موضوعيّة زمنيّة، باطنيّة، إن كان ثاني التّذكّر إنّما إِشَارَتُهُ إِلى أمر باطنيّ، أو مُفَارِقَةٍ إن كانت إشارته إلى أمر مُفَارِقٍ. أمّا المسك، فلا يُنْشِئُ البتّة أيّ موضوعيّة زمنيّة، لا على جهة الأصل، ولا على جهة ثاني الإبداع، بل

غَايَتُهُ أن يمسك في الوعي، ما كان قد حَدَثَ، ويَخْلَعَ عليه معنى هَا هُوَ ذَا قَدْ مَضَى مِنْ قَرِيبٍ.

الباب الخامس عشر: في أَنْمَاطِ حُصُولِ ثَانِي الإِبْدَاعِ

وصُوَرُ حصول ثاني التّذكّر كثيرة. فإمّا أن يكون حصوله دُفْعَةً وَاحِدَةً، كحينما تَنْبَعِثُ ذِكْرَى مَا انْبِعَاثًا واحدا، ويكون زمن ظهور الأمر المُتَذَكَّرِ كَلَمْحِ البَصَرِ: فالمُتَذَكَّرُ في هذه الذّكرى سيكون مُبْهَمًا؛ وإن هو قد يُفِيدُنَا إِفَادَةً حدسيّة بِطَوْرٍ ما مَخْصُوصٍ، فالذّكرى ليست هي بِعَيْنِ الذّكرى المُكَرَّرَةِ. وإمّا أن يكون التّذكّر مُكَرَّرًا بِحَقٍّ، ومُبْدِعًا إِبْدَاعًا ثانيا بِحَقٍّ، يُعَاوِدُ فيه الموضوع الزّمنيّ النَّشْأَةَ نَشْأَةً كَامِلَةً في متّصل من أفعال الإحضار ثاني الإحضار. وحينئذ فالفعل كلّه إنّما يكون عبارة عن تغيير تغييرا إحضاريّا إحضارا ثانيا لِفِعْلِ الإدراك، ولِكُلٍّ أطوراه ومَرَاتِبِهِ، وأيضا لِكُلٍّ مِسَاكِهِ: ولكن هذه الأمور جَمِيعُهَا إنّما تكون مَوْسُومَةً بِوَسْمِ التّغيير المُبْدِعِ ثاني الإبداع.

ومَحْضُ قَصْدِ الرُّؤْيَةِ، أو المعرفة، فقد نُصِيبُهَا أيضا إصابة أولى في المسك: كحينما يَتَصَرَّمُ نغم ما موجود في وحدة مسكيّة، فنُرَوِّي في مَقْطَعٍ منه من غير أن نعاود إحداثه. إذ فعل كهذا إنّما يَجُوزُ في كلّ أمر كانت نشأته بطريق مراتب تعاقبيّة، ولو كانت هذه المراتب مراتب فِعْلِيَّةً، كفعليّة التعقّل. وذلك لأنّ الموضوعات العقليّة إنّما نشأتها أيضا نشأة تعاقبيّة. ولِهَذَا فقد يجوز القول: إنّ الموضوعات الّتي نشأتها الأصليّة إنّما تكون في أفعال زمنيّة مُصَوِّرَةٍ لها، حدّا بعد حدّ، أو طورا بعد طور، وهذه كلّها مُتَعَلِّقَاتُ أَفْعَالٍ تتسلسل تسلسلا متّصلا، وذات صور كثيرة، وداخلة في وحدة ما، فقد يجوز إرجاع البصر إليها، كما لو كانت موضوعات قائمة كلّ القيام في موضع ما زمنيّ. ولكن هذا النّمط في الحضور إنّما يَرُدُّ، على التّخصيص، إلى نمط آخر، وهو النّمط الأصليّ.

أمّا الإشارة الرّاجعة بالبصر للمعطى المسكيّ، أو لِلْمَسْكِ بِعَيْنِهِ، فالّذي يَمْلَؤُهُ إنّما هو فعل التّصور، على التّخصيص: إذ أنّ الأمر المعطى بِوَصْفِ الّذي ها هو ذا قد مضى من قريب، فقد يظهر بوصف الّذي هُوَ عَيْنُ ذا الأمر المُتَذَكَّرِ.

وبعد أن نَقِيسَ أوّل التّذكّر، وثاني التّذكّر إلى الإدراك، فستظهر لنا فروق أخرى بينهما كثيرة.

الباب السّادس عشر: في أنّ الإدراك هو إحضار، على خلاف المسك، وثاني التّذكّر

وهو بالواجب ها هنا، أن نزيد عبارة «الإدراك» فضل بيان. ففي «إدراك النّغم»، فلنا أن نُمَيِّزَ منه الصّوت المعطى الآن، والمسمّى بالصّوت «المُدْرَكِ»، والأصوات المُنْقَضِيَةِ المسمّاة بالأصوات «اللاَّمُدْرَكَةِ». ومع ذلك فالنّغم جميعه، إنّما يُوصَفُ بالنّغم المُدْرَكِ، وليس يُدْرَكُ منه حقّا إلاّ الآن الحاضر. والسرّ في هذا أنّ الانتشار النَّغَمِيَّ لا يُعْطَى فقط حَدًّا بعد حدّ في انتشاريّة إدراكيّة، بل إنّ وحدة الوعي المسكيّ إنّما يواصل مسكه لِنَفْسِ الأصوات المنقضية في الوعي، وهو على هذا النّسق إنّما يُحْدِثُ وحدة الوعي ذات التّعلّق بالموضوع الزمنّي الواحد، أو بالنّغم. إذ ليس يمكن لِمَوْضُوعِيَّةٍ كالّتي هي من سِنْخِ الموضوعيّة النَّغَمِيَّةِ أن «تُدْرَكَ»، أو أن تُعْطَى إعطاء أصليّا إلاّ على هذه الصّورة المذكورة. والفعل الّذي نَشْأَتُهُ من تَأْلِيفِ الوَعْيَيْنِ مَعًا، أي الوعي بالآن، والوعي المسكيّ، ذلك ما يُسَمَّى بالإدراك المُطَابِقِ لِلْمَوْضُوعِ الزّمنيّ. ولكن هذا الموضوع الزّمني إنّما يقتضي فروقا زمنيّة، محلّ نشأتها إنّما هي أطوار كهذه، أي الوعي الأصليّ، والمسك، ومُقْبِلُ المَسْك[1]. فأمّا إذا كان القصد إنّما يُشِيرُ إلى النّغم، أي إلى الموضوع جميعه، فليس هناك حينئذ إلاّ

(1) Protention.

الإدراك. وأمّا إذا كانت إِشَارَتُهُ إلى الصّوت المُفْرَدِ بمُجَرَّدِهِ، أو إلى جزء منه بِمُجَرَّدِهِ، فسيكون هناك إدراك، ما كان المُشَارُ إليه هو مُدْرَكًا، وإذا ما انْقَضَى، فسيكون هناك مجرّد مسك. وعلى جهة الموضوع، فالجزء المُفْرَدُ لن يظهر حينئذ على أنّه «حاضر»، بل على أنّه «ماض». أمّا النّغم جميعه فما بَقِيَ يُسْمَعُ، وما بقيت أصوات فيه تُسْمَعُ، ويُشَارُ إليها في كُلِّ أَخْذِيٍّ واحد، فهو يكون نَغَمًا حاضرا. ولا يصير ماضيا، إلاّ بعد انقضاء آخر أصواته.

وهذه الإضافة، كما قد يلزم ممّا سلف من بيان، إنّما يجري حكمها أيضا على كلّ صوت صوت مُفْرَدٍ. فَنَشْأَةُ كلّ صوت إنّما تكون في اتّصاليّة من المُعْطَيَاتِ الصّوتيّة، وأبدا هو لا يوجد فيها إلاّ طور نُقَطِيٌّ يكون حاضرا الآن، أمّا سائر الأطوار، فإنّها تَعْلَقُ بهذا الآن كالذّيل المسكيّ. ومع ذلك فالقول مُسْتَقِيمٌ قولنا: إنّما الموضوع الزّمنيّ هو مُدْرَكٌ، أي أنّنا نعيه وعيا انطباعيّا، ما بَقِيَ حُدُوثُهُ حاصلا في انطباعات أصليّة تَتَجَدَّدُ بلا انقطاع.

ولقد كنّا أيضا قد وصفنا الماضي نفسه بأنّه أمر مُدْرَكٌ. وكيف لا يُوصَفُ كذلك، وقد بان مِمّا أخذنا من أمثلة أنّه هناك إدراك للمُضِيِّ، وأنّه هناك وعي وعيا أوّليّا بالموجود الّذي ها هو قد مضى من قريب، أي وعي بالّذي قد مضى من قريب، في حضوره حضورا شخصيّا في صورة الموجود المعطى في شخصه. فَظَاهِرٌ إذًا أنّ المعنى المفهوم هاهنا من عبارة «الإدراك» هو غير المعنى الّذي كان مفهوما آنفا. بل إنّه لابدّ أن نزيد الأمر تفصيلا. فإذ قد تقرّرت التّفرقة في كلّ إدراك لِكُلِّ موضوع زمنيّ، بين الوعي المُدْرِكِ، والوعي المُتَذَكِّرِ، أي الوعي الممسك، فقد تقرّرت أيضا بإزَاءِ المُقَابَلَةِ بين الإدراك، وأوّل التذكّر، المقابلة في الموضوع بين «الحاضر الآن»، و«الماضي». إذ الموضوعات الزّمنيّة، اضطرارا، إنّما تَنْبَسِطُ مادّتها في مدّة زمنيّة، وليس لها من نشأة إلاّ في أفعال إنّما شأنها هي أن تُنْشِئَ مثل هذه الفروق الزّمنيّة. ولكن الأفعال المُنْشِئَةُ للزّمن، فبالاضطرار، إنّما هي أفعال مُنْشِئَةٌ أيضا لِلْحَاضِرِ

والماضي، وطبيعتها هي عين طبيعة تلكم الإدراكات المتعلّقة بالموضوع الزّمنيّ الّتي كنّا قد أسلفنا تفصيلَ القول في نشأتها الأخذيّة الباهرة. فلا نشأة لِكُلِّ موضوع زمنيّ، إلاّ هذه النّشأة. على معنى أنّه كلّ فعل، فليس يمكنه أن يكون مُعْطِيًا لِمَوْضُوعٍ زمنيّ في شخصه، حتّى ينطوي على «إِخَاذٍ للآن»، و«إِخَاذٍ للماضي»، وهلمّ جرّا، وبالواجب أيضا أن تكون هذه الإخاذ إنشاءها إنّما هو إنْشَاءٌ أصليّ. أيضا أ

وإن قِسْنَا الآن معنى الإدراك إلى الأنماط المختلفة في انْعِطَاءِ الموضوعات الزّمنيّة، فسيظهر إذًا أنّ مقابل الإدراك إنّما هو أوّل التّذكّر، وأوّل التّرقّب، أي المسك، ومقبل المسك، وأنّه هناك مُضِيٌّ أبديّ من الإدراك إلى اللاّإدراك، ومن اللاّإدراك إلى الإدراك. إذ أنّ الوعي المُدْرِكَ إدراكا حدسيّا أوّليّا لِمَوْضُوعٍ ما زمنيّ، كنغم ما مثلا، فالمُدْرَكُ له إنّما هو الصّوت، أو الجزء الصّوتيّ المسموع الآن، واللاّمُدْرَكُ له، فالّذي يكون محدوسا الآن على أنّه شيء مضى. والإِخَاذُ هاهنا يَمْضِي أبدا بعضها إلى بعض، أمّا آخر حدّ فيها، فهو أخذ مُنْشِئٌ للآن، أي آن إنّما هو نهاية مُثْلَى. فهي جميعها اتّصاليّة زِيَادِيَّةٌ إلى نِهَايَةٍ مُثْلَى؛ كمتّصل من أنواع اللّون الأحمر إذ تنحو كلّها إلى الأحمر المحض. ولكن الأمر هنا يختلف عن الأجزاء الفرديّة لِلَّوْنِ الأحمر، إذ أنّه ليس من الجائز للإخاذ الفرديّة أن تُعْطَى بمجرّدها ألبتّة. بل إنّه، بالاضطرار، هو لا يوجد أبدا إلاّ مُتَّصِلاَتٌ أَخْذِيَّةٌ، أو متّصل واحد من الإخاذ ينقلب انقلابا دائما. وإن قسّمنا أيّ قسمة هذا المتّصل، قسمين مُتَلاَصِقَيْنِ، فالقسم الّذي انطوى على الآن، أي القسم الّذي شأنه أن يُنْشِئَ الآن، سيمتاز عن الآخر، ويكون موصوفا بالآن «العَرِيضِ»، وهذا الآن العريض نفسه شأنه أن يُقَسَّمَ إلى آن آخر أقلّ عرضا منه، وهذا إلى آن أقل عرضا، وهلمّ جرّا.

فقد بَانَ هاهنا إذًا بأنّ الإدراك إنّما هو وصف لِفِعْلٍ قد جمع اتّصاليّة من الخصائص الفعليّة، ويمتاز بِضَمِّهِ للنّهاية المثلى المذكورة. وكلّ اتّصاليّة أخرى

شبيهة بها على التّمام، وتكون مُجَرَّدَةً من هذه النّهاية المثلى، فهي ليست إلاّ محض تذكّر. وعلى جهة المثال، فالإدراك، أي الانطباع، إنّما هو عبارة عن طور في الوعي يكون مُؤَسِّسًا للآن المحض، أمّا التّذكّر، فهو عبارة عن كلّ طور غير ذلك الطّور الأمثل. ولكن هذا الإدراك ما هو إلاّ نهاية مثلى، وأمر مجرّد لا يمكن ألبتّة أن يقوم بذاته. ومن الضّروري أن يُعْلَمَ بأنّ هذا الآن الأمثل ليس بالشّيء المختلف اختلافا كلّيا عن اللاآن، بل إنّه لَمَوْصُولٌ به وصلا دائما. وحقيقة هذا الوصل إنّما هو نفس ذلك المُضِيِّ المتّصل من الإدراك إلى أوّل التّذكّر.

الباب السّابع عشر: في أنّ الإدراك هو فعل مُعْطٍ لِلشَّيْءِ في شخصه، على خِلاَفِ ثاني الإبداع

وهناك مقابلة أخرى بين التّذكّر، أو ثاني التّذكّر، والإدراك بهذا المعنى، أي بمعنى الفعل المعطي للحاضر في شخصه، وأيضا المعطي للماضي في شخصه. إذ أنّ ظهور الآن في ثاني التّذكّر، فَغَيْرُ ظهوره ألبتّة في الإدراك. فالآن في ثاني التّذكّر لا يكون آنا مُدْرَكًا، أي مُعْطًى في شخصه، بل يكون آنا مُحْضَرًا إحضارا ثانيا. وهو إنّما يَدُلُّ على آن لا يكون معطى. كذلك السَّيَلاَنُ النَّغَمِيُّ في ثاني التّذكّر، فإنّما يدلّ على هذا الّذي مضى من قريب، وليس يعطيه في شخصه. والأمر هو هو في محض التّخيّل، فكلّ انْتِشَارِيَّةٍ زمنيّة فيه، فذات آن، ولكن هو آن مُتَخَيَّلٌ فحسب، وذات مَا قَبْلٍ، ولكن ما قبل مُتَخَيَّلٌ فحسب، وذات ما بعد، ولكن ما بعد مُتَخَيَّلٌ فحسب، والموضوع الزّمنيّ كلّه هو موضوع زمنيّ مُتَخَيَّلٌ فحسب. فظهر إذًا معنى لِلْإِدْرَاكِ غير المعنى المعروف إلى الغاية ألبتّة. فالمقصود بالإدراك هاهنا، إنّما هو فعل شأنه أن يجعل شيئا ما بِأَعْيُنِنَا، ويُحْضِرُهُ لنا في شخصه، أي فعل شأنه أن يُنْشِئَ موضوعا ما إنشاء أصليّا. ومقابل الإدراك بهذا المعنى، كان ثاني الإحضار الّذي ليس شأنه أن

يحضر الموضوع في شَخْصِهِ، بل يُحْضِرُهُ لنا إحضارا ثانيا، إمّا على نمط الصّورة، أو ليس على نَمَطِ الوعي بالصّورة حَقِيقَةً. فحقيقة هذا الفعل، أي ثاني الإحضار، ليست إطلاقا بأن تُؤَلِّفَ تأليفا متّصلا بين الإدراك، ومقابل الإدراك. إذ أنّه إلى الغاية لم نَعُدَّ الوعي بالماضي، أي الوعي الأوّل بالماضي، إدراكا، وذلك لأنّا كنّا نَعُدُّهُ الفِعْلَ المُنْشِئَ لِلْحَاضِرِ إِنْشَاءً أَصْلِيًّا. فأمّا لو وَسَمْنَا بالإدراك، كلّ فعل قام به كلّ أصل، وكلّ فعل إنشاءه إنّما إنشاء أصليّ، فسوف يجوز حينئذ أن نسمّي أوّل التذّكر بالإدراك أيضا. إذ أنّ الماضي لا يُرَى إلاّ في أوّل التّذكّر، و لا يَنْتَشِئُ إلاّ في أوّل التّذكّر، انتشاء إحضاريّا، وليس انتشاء إحضاريّا إحضارا ثانيا. إذ أنّ هذا الّذي قد مضى من قريب، أي الماقبل، على خلاف الآن، فهو لا سبيل إلى حدسه حدسا أوّليّا إلاّ في أوّل التّذكّر. على معنى أنّ حقيقة أوّل التّذكّر إنّما أن تَدْفَعَ إلى أوّل الحدس، هذا الّذي قد مضى من قريب، كما كانت حقيقة إدراك الآن، إنّما أن تدفع به إلى أوّل الحدس. أمّا ثاني التّذكّر، وأيضا التّخيّل، فليس يدفعان إلاّ بأمور مُحْضَرَةٍ إحضارا ثانيا؛ وغايتهما أنّهما يُشْبِهَانِ الفعل المبدع للزّمن، والفعل المبدع للآن، والفعل المبدع للماضي؛ بل هما عين تلكم الأفعال، ولكن بعد أن اعْتَوَرَهَا التّغيير. فالآن المتَخَيَّلُ إنّما يدلّ على الآن، ولكن هو لا يعطي الآن في شخصه، والماقبل المتخَيَّلُ إنّما يدلّ على الماقبل، ولا يعطيه في شخصه، وكذا المابعد، وهلمّ جرّا.

الباب الثّامن عشر: في دُخُولِ ثاني التّذكّر في إِنْشَاءِ المدّة الزّمنيّة، ومعنى التَّعَاقُبِ

ولِلدُّخُولِ الإِنْشَائِيِّ لِأَوَّلِ التّذكّر، ولِثَانِي التّذكّر وجه آخر يختلف اختلافا يَسِيرًا عن الأوّل، سَنَتَبَيَّنُهُ إذا صَرَفْنَا النّظر من الموضوعات المنتشرة في مدّة زمنيّة، إلى نفس مَعْنَيَيْ المدّة الزّمنيّة، والتّعاقب.

فَلْنَفْرِضْ أنّه قد حدث أ حدوثا انطباعيّا أصليّا، وبقي وجوده لِزَمَنٍ ما، وأنّه في مرتبة من مراتب كماله، ومع المسك لِـأ، حدث ب، وانْتَشَأَ ب مُنْتَشِرًا في مدّة زمنيّة. فإذًا الوعي أثناء كلّ هذا الفعل سيكون وعيا بِعَيْنِ أ وهو يهوي في الماضي، وبعين أ وهو يُعْطَى في سيّال من صور الانْعِطَاءِ المذكورة، وبعين أ وهو منتشر في مدّته الزّمنيّة المُقَوِّمةِ لِحَقِيقَةِ وجوده، وفي كلّ آن من آناتها. وكذا في ب، وفي الفصل الّذي بين المدّتين، وأيضا في كلّ آن من آناتهما. ولكن هاهنا فَسَيَبِينُ شيء آخر: ألا وهو مُعَاقَبَةُ ب لِـأ؛ وسَيُعْطَى معنى التّعاقب لِمُعْطَيَينِ اثنين ذَوَيْ زمنيّة، وذوي صورة زمنيّة معيّنة، وذوي انتشار زمنيّ يَشْتَمِلُ على معنى المعاقبة. إذًا فالوعي بالتّعاقب إنّما هو وعي مُعْطٍ إعطاء أصليّا، أي أنّه إدراك لِنَفْسِ معنى المعاقبة. ثمّ لِنَرَ الآن هذا التّغيير المُبْدِعَ ثاني الإبداع للإدراك المذكور، أي التّذكّر. إنّي إذا كَرَّرْتُ الوعي بهذا التّعاقب، فإنّي أُحْضِرُهُ إحضارا ثانيا على جهة التّذكّر. وهذا الفعل هو في مَقْدُورِي، و في مقدوري ما رُمْتُ أبدا إتْيَانَهُ. وهو بَيِّنٌ بِالاضْطِرَارِ أنّ كلّ إحضار إحضارا ثانيا لِمَعِيشٍ ما، فهو من مَشْمُولاَتِ مَشِيئَتِي. إذ أنّ هذا المقدور المقصود إنّما هو مقدور عَمَلِيٌّ، وليس بِمَحْضِ تَصَوُّرٍ له. ولسائل أن يسأل : وكيف يكون الإحضار إحضارا ثانيا لِتَعَاقُبِ المَعَايِيشِ، وأيّ شيء مُقَوِّمٌ له؟ فقد يُجَابُ على البَدِيهَةِ: إنّا نتصوّر أوّلا أ، ثمّ نتصوّر ب؛ ومن ذي قبل كان لدينا أـ ب، أمّا الآن فلنا أ’ـ ب’، مع العلم بأنّا نَدُلُّ بِرَمْزِ ’ على التّذكّر. ولكن هذا الجواب ليس بالكافي، لأنّ مَفَادَهُ أنّه لي الآن تذكّر لِـأ’، ثمّ تذكّر لِب’، وذلك في وعي واحد بِتَعَاقُبِ تَيْنِكَ الذّكريين. ولكن هذا الفعل إنّما حقيقته أنّه إدراك بتعاقب تينك الذّكريين، وليس هو نفس الوعي المُتَذَكِّرُ لِعَيْنِ التّعاقب. لِذَلِكَ فقد وجب أن نرمز لِهَذَا الفعل بـ (أـ ب)’. إذ أنّ هذا الوعي إنّما ينطوي على أ’، وعلى ب’، وأيضا على –’. والحقّ أقول: ليس نفس التّعاقب بِقِسْمٍ ثالث زائد عن القسمين، كما قد يُوهِمُ ذلك كِتَابَتُنَا للرّموز، رمزا بعد رمز دالّين بهما على التّعاقب. ومع ذلك فيمكن كتابتنا لِهَذَا الحكم بهذه الصّورة:

(أـ ب)'= أ'ـ' ب'، لِنَدُلَّ بها على أنّه هناك وعي بذكرى أ، وذكرى ب، وأيضا وعي وعيا مُتَغَيِّرًا ب«معاقبة أ لِب».

وإن طلبنا الآن معرفة الوعي المُعْطِي على جهة الأصل لِتَعَاقُبٍ مَا لِمُعْطَيَاتٍ ذوات انتشار زمنيّ، والمعطي للمدّة الزّمنيّة نفسها، فسنرى أنّ المسك، وثاني التّذكّر، فهما من الأمور المقوِّمَةِ له تقويما ضروريّا. فالمسك هو المُنْشِئُ لِلأُفُقِ الحيّ للحاضر، وفي المسك يكون الوعي بالّذي قد مضى من قريب، أمّا الّذي يكون يَنْتَشِئُ في هذا الفعل، انتشاءا أصليّا، مثل حين المسك لِلصَّوْتِ المسموع من قريب، فليس إلاّ الطّور الحاضر، أو طور المدّة الزّمنيّة الّتي تكون قد تمّت نشأتها، ولم تعد بعد مُدْرَكَةً. ولكن، وبالمطابقة مع هذا الأثر المُتَقَهْقِرِ، فَمِنَ الجائز أن نُبْدِعَ إبداعا ثانيا هذه المدّة. فيُعْطَى لنا إذًا ماضيها، أي يعطى لنا ماضيها على التّخصيص، على أنّه محض إعطاء للمدّة المنقضية إعطاء ثانيا. ولابدّ أن نشير أيضا: إلى أنّه ليس إلاّ المُدَدُ الماضية الّتي يمكن حدسها حدسا أصليّا في أفعال مُكَرَّرَةٍ، وحدسها حدسا فعليّا، واستكناهها، وتَبَيُّنُهَا على أنّها موضوع واحد في أفعال كثيرة. فمن الجائز أنّ أُرْجِعَ النَّظَرَ إلى الحاضر، أمّا الحاضر فليس يمكنه أن يعود، أي أن يُعْطَى إعطاء ثانيا. وإن أنا أَرْجَعْتُ النَّظَرَ إلى تعاقب ما واحد، وهو هو، وتَبَيَّنْتُهُ على أنّه عين الموضوع الزّمني الواحد، كما هو مقدور لي أن أفعله في كلّ وقت، فإنّي سَأُحْدِثُ تَعَاقَبًا لِمَعَايِيشِ تَذَكُّرِيَّةٍ في وحدة وَعْيِيَّةٍ تشتمل عليها كلّها، هذه صورته: (أـ ب) - (أـ ب)'ـ (أـ ب)....

ولِسَائِلٍ أن يسأل حينئذ: وكيف عسى أن يحصل تَبَيُّنُ عَيْنِ الحقيقة الواحدة؟ فالتّعاقب أوّلا كان تعاقبا لِمَعَايِيشِ: فأوّل حدّ فيه كان الإنشاء الأصليّ لتعاقب أ ـ ب، والحدّ الثّاني تذكّرا لِهَذَا التّعاقب، ثمّ تذكّرا لِهَذَا التّذكّر، فهلمّ جرّا. وجملة ذلك التّعاقب إنّما هو مُعْطَى أصليّ وحاضر. ومن الجائز أيضا أن يكون لنا ذكرى بعين هذا التّعاقب، ثمّ ذكرى بهذه الذّكرى، إلى ما لانهاية له. إذ هناك

حكم ضروري يقضي بأنّ كلّ ذكرى فيمكن تكرارها، وذلك ليس فقط، لأنّه قد نذهب فيها إلى مراتب عالية ما رُمْنَاهَا، ولكن لِأَنَّ هذا الفعل إنّما هو مُتَعَلِّقٌ بقدرتنا نحن. إذ كلّ مرتبة فمتعلّقة اضطرارا بمشيئتنا نحن، وليس يمنع مانع أن تعرض لها بعض العوائق.

إذًا فكيف يكون حصول أوّل تذكّر لِهَذَا التّعاقب؟

[(أـ ب)ـ(أـ ب)']'

فقد أستنتج ممّا سبق من الحكم أنّه يوجد هنا (أـ ب)'و[(أـ ب)']'، أي تذكّر ذو مرتبة ثانية، وذلك في تعاقبيّة، وأنّه يوجد أيضا، بلا ريب، تذكّر لِعَيْنِ التَّعَاقُبِ (ـ)'. وإن كرّرت الفعل مرّة أخرى، فسيكون لي تغييرات تتعلّق بالتّذكّر ذات مراتب أعلى، وأكون معا، على بَيِّنَةٍ من أنّي قد أَتَيْتُ مرّات كثيرة، وبالتّتابع، فعل التّكرار المُحْضِرِ ثاني الإحضار. وهذه الصّورة لَكَثِيرَةُ الحصول. فمثلا قد أَقْرَعُ الطّاولة مرّتين، ثمّ أُحْضِرُ إحضار ثانيا هذا التّعاقب؛ ثمّ أَتَبَيَّنُ أنّي كنت قد شَهِدْتُ أوّلا التّعاقب شهودا إدراكيّا، ثمّ إنّي قد أحضرته في ذكراي. ثمّ إنّي قد أتبيّن بعدها بأنّي كنت قد تبيّنت ذلك التّبيّن، وهذا الفعل إنّما هو الحدّ الثّالث في سلسلة يمكنني أن أكرّرها كلّها، وهلمّ جرّا. واعلم أنّ كلّ هذا لَكَثِيرُ الشُّيُوعِ في المنهج الفينومينولوجي البَحْثِيِّ.

و في تعاقبيّة الموضوعات المُمَاثِلَةِ، أي ذات المحتوى الواحد، والّتي لا تُعْطَى إلاّ في تعاقبيّة، ولا تعطى معا، فهناك مُطَابَقَةٌ مَخْصُوصَةٌ في الوحدة الوَعْيِيَّةِ: أي المطابقة التّعاقبيّة. على أن تُؤْخَذَ هذه العبارة مجازا، كما هو بَيِّنٌ، إذ كلّ موضوع فيوجد خارج الآخر، ويكون لنا وعي بها على أنّها متعاقبة، ويفصل بينها مدّة زمنيّة.

أمّا إنّ كان التّعاقب إنّما هو تعاقب لِمَوْضُوعَاتٍ لا مماثلة، ولكن تكون ذوات معاني مخصوصة مماثلة، فسوف تَسْرِي بينها خيوط من المماثلة، أو خيوط من المشابهة إن تعلّق الأمر بالمشابهة. وهذه العلاقة الحاصلة هاهنا ليست نشأتها

في فعل إضافي رَوَوِيٍّ، بل إنّها تتقدّم كلّ مُقَايَسَةٍ، وكلّ تعقّل، وهي ما يقتضيها كلّ حدس للمماثلة، أو كلّ حدس للمخالفة. ولا يكون حقيقا بوصف المشابهة، إلاّ المتشابه، والاختلاف إنّما يقتضي المطابقة، أي فعلا جَمْعِيًّا مخصوصا ذا تعلّق بالمماثلة يكون موصولا في التّعاقب، أو في الوجود معا.

الباب التّاسع عشر: في الفرق بين المسك وثاني الإبداع، أي بين أوّل التّذكّر وثاني التّذكّر، أو التّخيّل

والآن فقد تَمَّ قولنا الفصل في قول **برنتانو** الزّاعم بأنّ الأصل في أخذ الزّمن إنّما محلّه التّخيّل. إذ أنّ التّخيّل إنّما هو وعي موصوف بكونه فعلا مُحْضِرًا ثاني الإحضار، أي مبدعا ثاني الإبداع. ولا أحد قد يجادل في وجود زمن محضر ثاني الإحضار، ولكن هذا الزّمن إنّما يَرُدُّ اضطرارا إلى زمن مُعْطَى إعطاء أصليّا، ولا يكون مُتَخَيَّلاً، بل مُحْضَرًا. إذ أنّ كلّ فعل حقيقته أنّه يحضر الشّيء إحضارا ثانيا، فهو ضِدٌّ لِكُلِّ فعل يُعْطِي إعطاء أصليّا، ولا يمكن لِهَذَا الفعل أن يكون أصلا لِأَيِّ فعل من الأفعال المُحْضِرَةِ ثاني الإحضار. على معنى أنّ التّخيّل ليس هو البتّة بوعي شأنه أن يَعْرِضَ موضوعا ما على أنّه مُعْطَى في شخصه، أو وجها من وجوه الممكنة أو الضّروريّة على أنّها معطاة في شخصها. فحقيقة التَّخَيُّلِ أنّها على التّخصيص فعل شأنه ألاّ يعطي الموضوع في شخصه. بل إنّ نفس معنى التّخيّل، فليس أصله التّخيّل. إذ لو رِيمَ أن يُعْطَى لنا إعطاء أصليّا مَا التَّخَيُّلُ؟ لاقْتَضَى ذلك بلا ريب أن نُنْشِئَ صُوَرًا ما؛ ولكن هذا الفعل وحده لا يكفي حتّى نُعْطَى ما التّخيّل. بل لا بدّ اضطرارا أن يكون لنا نَظَرٌ في فعل التّخيّل، وأن نَتَّخِذَهُ مَوْضُوعَ إِدْرَاكٍ: إذًا فإدراك التّخيّل هو وعي مُعْطٍ إعطاء أصليّا لِتَحْصِيلِ معنى ما التّخيّل؛ وهو في إِدْرَاكٍ كذلك الإدراك، إنّما نرى ما التّخيّل، ونُشَاهِدُهُ في وعي لِمَا يكون مُعْطًى في شخصه.

وإنّا لنا أن نَتَبَيَّنَ الفُرُوقَ الفينومينولوجيّة العظيمة بين التّذكّر المُحْضِرِ ثاني

الإحضار، وأوّل التّذكّر الّذي يجعل الوعي بالآن مُمْتَدًّا، لَوْ قَايَسْنَا مُقَايَسَةً حقيقيّة بين ذينك الضّربين من المعيش. فمثلا، قد نسمع صوتين، أو ثلاثة أصوات، ويكون لنا أثناء الانتشار الزّمنيّ للآن، وعي بالصّوت المسموع من قريب. وبَيِّنٌ نِعِمَّا أنّ هذا الوعي سيكون هو هو في حقيقته، سواء كان حَدٌّ ما من الصّورة الصّوتيّة المُكَوِّنَةِ لِوِحْدَةِ الموضوع الزّمنيّ، لم يزل مُدْرَكًا إدراكا حقيقيّا بأنّه حاضر، أو أنّه ليس يوجد وعي بالجملة إلاّ على جهة المسك. ثمّ لِنَضَعْ أنّه في أثناء وجود القصد المتّصل المُشِيرِ إلى الصّوت، أو إلى السّيلان الصّوتيّ المسموع من قريب، وجودا حيّا، قد أُبْدِعَ هذا الصّوت، ثاني الإبداع. فالفرق بين الأمرين سيظهر لَعَمْرِي، ظهورا جَلِيًّا. إذ في ثاني الإحضار هناك الآن أيضا الصّوت، أو الصّورة الصّوتيّة، وهي منتشرة انتشارها الزّمنيّ. وفِعْلُ الإحضار ثاني الإحضار هو أيضا منتشر انتشارا زمنيّا، كفعل الإدراك المتقدِّمِ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، فهو مُبْدِعٌ له إبداعا ثانيا، ويَسِيلُ طورا بعد طور، وفصلا بعد فصل، فيُبْدِعُ بذلك أيضا إبداعا ثانيا، أوّل التّذكّر الّذي كنّا اخترناه لأجل هذه المقايسة. فثاني الإبداع هاهنا ليس بمحض تكرار، والفرق بينه وبين أوّل التّذكّر، ليس يتعلّق مثلا، بأنّ الثّاني إنّما هو فعل إبداعيّ ثاني الإبداع فحسب، والأوّل إنّما هو فعل إبداعيّ ثاني الإبداع لِثَانِي الإبداع. بل الفرق الموجود بينهما فرق في المحتوى ضروريّ. وهذا الفرق من شأنه أن يَبِينَ حقّ التَّبَيُّنِ، لو طَلَبْنَا مثلا معرفة ما الفرق بين رنين الصّوت في الإحضار، والوعي به المحفوظ في الخيال؟ إنّ الصّوت المُبْدَعَ ثاني الإبداع أوّل ما يرنّ إنّما هو الإبداع إبداعا ثانيا لِأَوَّلِ رَنِينِهِ. والوعي الّذي يبقى بعد أن يكون أوّل الرّنين قد أُبْدِعَ ثاني الإبداع، ليس هو بِعَيِنِ التَّوْلِيدِ توليدا ثانيا لِأَوَّلِ الرّنين نفسه، بل لِأَوَّلِ الرّنين المنقضي من قريب، وهو رنين لم ينقطع سماعه بعد، وصورة أوّل هذا الرّنين تختلف اختلافا كاملا عن صورة أوّل الرّنين المسموع من قَرِيبٍ. أمّا الصّور الخياليّة المُحْضِرَةُ لِلصَّوْتِ فليس وجودها في الوعي كما لو كان كلّ صوت في التّصوّر، فموجود بنحو مُعْطًى ثابت هو هو. وإلاّ فإنّه ما كان يُمْكِنُ البتّة لِلْوَعْيِ

أن يكون له تصوّر حدسيّ للزّمن، أو تصوّر لِمَوْضُوعٍ ما زمنيّ. وإن بطل الصّوت المبدع ثاني الإبداع، فصورته الخياليّة لا تبقى هي هي، بل إنّها تتغيّر تغيّرا مخصوصا، وشأنها أن تبني وعيا مُحْضِرًا ثاني الإحضار للمدّة الزّمنيّة، أو التّغيّر، أو التّعاقب، وهلمّ جرّا.

إذًا فالتّغيير الوَعْيِيّ الّذي يقلب الآن الأصليّ إلى آن مبدع ثاني الإبداع إنّما يختلف كُلَّ الاختلاف عن التّغيير الّذي يقلب الآن الأصليّ، أو المُبْدَعَ ثاني الإبداع إلى ماض. فهذا التّغيير الأخير إنّما صورته صورة خُفُوتٍ مُتَّصِلٍ؛ وكما كان الآن ينتقل إلى ماض، ثم ينتقل إلى ماض أشدّ سُحُوقًا، انتقالا مُتَرَتِّبا تَرَتُّبًا متّصلا، كذلك فإنّ الوعي الحدسيّ للزّمن تنقلب صورته انقلابا مُتُرَتِّبًا ترتّبا متّصلا. أمّا في الانتقال من الإدراك إلى التّخيّل، أو من الانطباع إلى ثاني الإبداع، فليس ثَمَّ ألبتّة اتّصاليّة. بل إنّ الفرق فيهما فرق منفصل. وَلِذَلِكَ فقد وجب القول: إنّ ما يُسَمَّى بالوعي الأصليّ، أو الانطباع، أو الإدراك، فإنّما هو فعل متّصل الخُفُوتِ. وكلّ إدراك إدراك، فهو ينطوي على متّصل من تلكم الخفوتات. أمّا ثاني الإبداع، أي التّخيّل، وإن كان هو أيضا لَيَنْطَوِي على مثل تلكم الخفوتات سواء بسواء، فهذه الخفوتات إنّما تكون موجودة وجودا مُتَغَيِّرًا على جهة الإبداع ثاني الإبداع. وفي كلا الوجهين، فمن الأمور المُقَوِّمَةِ لِحَقِيقَةِ كلّ معيش معيش، أن يكون وجوده وجودا على جهة الانتشار، حتّى أنّه لا يوجد فيه ألبتّة أي طور نُقَطِيٍّ وجودا مُجَرَّدًا.

وليس من شَكٍّ أنّ ضرورة أن يكون كلّ مُعْطَى إعطاء أصليّا، أو مُبْدَعًا ثاني الإبداع، فذو خفوت، إنّما هي جَارِيَةٌ أيضا، كما قد أسلفنا الرّؤية، على المُحْتَوَيَاتِ الأَخْذِيَّةِ. وإذ أنّ مادّة الإدراك هي الإحساسات، فالإحساس الّذي يدخل في إحضار الموضوع، إنّما هو متّصل ذو محتوى واحد. وأيضا الصّورة الخياليّة هي متّصل يدخل في إحضار الموضوع المتخَيَّلِ، ثاني الإحضار. وكلّ من أثبت تفرقة حقيقيّة بين الإحساس، والصّورة الخياليّة، فلن يمكنه، بلا

ريب، أن يثبت أنّ المحتويات الأخذيّة الدّاخلة في نشأة الأطوار الزّمنيّة المنقضية من قريب، إنّما هي صور خياليّة، وذلك لأنّ هذه المحتويات الأخذيّة إنّما تُفْضِي أبدا إلى المحتويات الأخذيّة لِلْآنِ الحاضر.

الباب العشرون: في تعلّق ثاني الإبداع «بالمَشِيئَةِ»

وهناك فروق أخرى بَاهِرَةٌ بين سيلان الهُوِيِّ الأصليّ، والمُبْدَع ثاني الإبداع. إذ أنّ الظّهور الأصليّ، والسيّال الأصليّ لِأَنْمَاطِ السَّيَلاَنِ في الظّهور، إنّما هو أمر ثابت حقّ الثّبات، ويكون الوعي به بِطَرِيقِ الانْفِعَالِ[1]، وليس لنا من فعل فيه إلاّ أن ننظر فيه، وذلك كلّما اتَّخَذْنَا، إِجْمَالاً، طريق الفِعْلِيَّةِ[2] التَّنَبُّهِيَّةِ. أمّا الإحضار ثاني الإحضار، فهو فعل متعلّق بالمشيئة، وكما قد نشاء، فيمكننا أن نُحَصِّلَ الأمر المُتَصَوَّرَ فيه، إمّا تَحْصِيلاً عاجلا، أو تحصيلا بطيئا، وإمّا تحصيلا بَيِّنًا، أو تحصيلا غير بيّن، وإمّا على جهة الإجمال المطلق، أو على جهة التّفصيل، وهلمّ جرّا. ويكون التَّصَوُّرُ هاهنا هو نفسه ذا آن فِعْلِيٍّ، وذا أَنْمَاطٍ سَيَلاَنِيَّةٍ، وهلمّ جرّا. وفي الانتشاريّة الزّمنيّة الباطنيّة لِثَانِي الإبداع الواحدة، فيمكننا، أن نُقَدِّرَ أَيَّ جزء شئنا، كبيرا أم صغيرا، من الأمر المُحْضَرِ ثاني الإحضار، ومن أنماط سيلانه، وأن نَسْتَوْفِيَهُ استيفاء عاجلا أم بطيئا. أمّا الأنماط الإضافيّة السّيلانيّة لِلنُّقَاطِ المُحْضَرَةِ ثاني الإحضار لِلْانْتِشَارِ الزّمنيّ، هاهنا، فتبقى هي هي، مع الوضع بأنّ المُطَابَقَةَ الجامعة في حقيقة واحدة، إنّما تكون متّصلة الحصول. إذ أنّي قد لا ينقطع إحضاري ثاني الإحضار لِشَيْءٍ واحد، ولِمُتَّصِلٍ واحد من الأنماط السّيلانيّة لِمُنْتَشِرٍ زمنيّ، باق هو هو، وهو على صورة ما. أمّا إن كَرَرْتُ بالعودة أبدا إلى المبدأ، وإلى عين التَّعَاقُبِ من الآنات، فإنّ هذا المبدأ بِعَيْنِهِ سوف لن يَنْفَكَّ عَنِ الهُوِيِّ، والنّأي بعيدا أكثر فأكثر.

---

(1) Affection.

(2) Spontanéité.

الباب الواحد والعشرون: في مراتب الوُضُوحِ في ثاني الإبداع

ثـمّ إنّ الأمر المُحْضَرَ ثاني الإحضار إنّما يَنْعَطِي انْعِطَاءً مُتَفَاوِتَ الوضوح، ومراتب الوضوح تلك أو الغموض إنّما تكون بالإضافة إلى جملة الأمر المُحْضَرِ ثاني الإحضار، وإلى أنماط الوعي به. وكان قد بان لنا سالفا في الموضوع الزّمني المعطى على جهة الأصل، أنّ ظهوره يكون أوّلا حيّا، وبَيِّنًا، ثمّ إنّه ينقص بيانه بِهُوِيِّهِ في الفراغ. ومحلّ هذه التّغييرات هو السيّال. ونفس هذه التّغييرات هي عارضة أيضا في ثاني الإحضار للسيّال، ولكن معها، فهناك في ثاني الإحضار وجوه أخرى من الغموض: إذ ما كان بَيِّنًا في الصّورة الأولى، فقد يظهر الآن مُلْتَبِسًا، كالمحجوب، ويزداد إِبْهَامُهُ يسيرا يسيرا، وهلمّ جرّا. فَبِالوَاجِبِ إذًا ألاّ نخلط بين تينك الصّورتين في الغموض. إذ أنّ أنماط الشِدَّةِ أو الضّعف في الوضوح أو الغموض ذات التعلّق بثاني الإحضار، لا تَعَلُّقَ لَهَا ألبتّة بالأمر المُحْضَرِ ثاني الإحضار، أو أنّها لا تعلّق لها به إلاّ من جهة أنّه أمر محضر ثاني الإحضار؛ أي أنّها أنماط تعلّقها إنّما بالمعيش الفعليّ لِثَانِي الإِحْضَارِ.

الباب الثّاني والعشرون: في بداهة ثاني الإبداع

واعلم أنّه يوجد فرق آخر باهر بين أوّل التّذكّر، وثاني التّذكّر، ذو تعلّق بِبَدَاهَةِ أحدهما دون الآخر. إذ كنّا قد رأينا أنّ كلّ أمر يكون الوعي به وعيا مسكيّا، فهو يقينيّ يقينا مطلقا. فما القول إذًا في الماضي البعيد؟ إنّي إذا تذكّرت أمرا ما كنت قد أتيته البارحة، فقد أبدعت ثاني الإبداع الفعل الّذي قد أَتَيْتُهُ البارحة، وقد أُبْدِعُهُ ثاني الإبداع بكلّ ما له من أجزاء مُقَوِّمَةٍ لِتَعَاقُبِهِ. وهذا الفعل منّي إنّما هو وعي بالتّعاقب: حيث أنّ الحدّ الأوّل يكون الأوّل المُبْدَعَ ثاني الإبداع، ثمّ ثانيا، الحدّ الثّاني، وهلمّ جرّا على نَسَقِ التّعاقب. ولكن هذا التّعاقب البَيِّن لِثَانِي الإبداع بما هو سيّال من المعاييش، إنّما شأنه أن يُظْهِرَ التّعاقب الزّمني لِأَمْرٍ ما

كان قد مضى. ولذلك كان من الممكن جدّا أن تكون المخالفة ليس فحسب بين الأجزاء المُفْرَدَةِ لِلْفِعْلِ الحاضر الآن على أنّه ماض، والأجزاء المُفْرَدَةِ للفعل الماضي، على معنى أن يكون حصولها الآن حصولا على جهة الإحضار ثاني الإحضار ليس مُطَابِقًا لِحُصُولِهَا الفعليّ في الماضي، بل إنّ حقيقة التّعاقب الفعليّ في الماضي قد تكون مغايرة كلّ المغايرة للحقيقة الظّاهرة في التّعاقب المتذَكِّرِ لها الآن. فالأوهام ممكنة إذًا في هذه الصّورة، وهي أوهام إنّما أصلها ثاني الإبداع من حيث هو كذلك، وَلِذَا فلا ينبغي البتّة أن تختلط عندنا بالأوهام اللاّزمة عن الإدراك المتعلّق بالموضوعات الزّمنيّة المفارقة. ونحن كنّا قد رأينا كيف هو لزوم الوهم للإدراك المتعلّق بالموضوع الزّمني المفارق: إذ إذا كان الوعي بتعاقبيّة زمنيّة ما، وعيا أصليّا، فحصول هذه التّعاقبيّة الزّمنيّة كان ثابت الوجود بلا شكّ. ولكن ليس معنى هذا أنّه بِاللاَّزِمِ أن يكون حَدَثٌ ما موضوعيّ كان قد حصل بالفعل في الواقع كما كان قد أخذه الفعل. والإِخَاذُ المُفْرَدَةُ قد تكون واهمة حتّى أنّه لا يكون شيء ألبتّة بإِزَائِهَا في الواقع. وإن بقي القصد الموضوعيّ للأمر المأخوذ حافظا للمحتوى المُقَوِّم له ولِعَلاَقَتِهِ بسائر الأشياء، في أثناء التّقهقر الزّمنيّ، فالوهم سَيَسْرِي إلى كلّ الأخذ الزّمني للفعل الظّاهر. أمّا إن بقينا في حدود تعاقبيّة المحتويات الإحضاريّة، أي في حدود الظّهورات، فَسَتَبِينُ حقيقة ثابتة، وهي أنّ فعلا كان قد انعطى، وأنّ هذا التّعاقب للظّهورات كان قد حصل، وإن كانت تعاقبيّة الأحداث الظّاهرة لي قد يكون لم يكن حصولها حقّا.

ولسائل أن يسأل الآن: إن كانت هذه البداهة في الوعي بالزّمن، يمكن أن تَنْحَفِظَ في ثاني الإبداع. والجواب: إنّه لَشَيْء ممكن، ولكن بِشَرْطِ أن يكون السّيلان المبدع ثاني الإبداع مُطَابِقًا للسيّلان المسكيّ. فمثلا حين يَحْضُرُنِي تعاقب صوتين اثنين كـ **دو**، **ري**، فمن الممكن أن أكرّر هذا التّعاقب، والذّكرى القريبة تكون مازالت ثابتة، وأن أكرّرها على جهة المطابقة، وعلى صورة ما. فأنا قد أُكَرِّرُ في سِرِّي **دو**، **ري**، وأكون مُتَبَيِّنًا بأنّ **دو** كان قد وُجِدَ أوّلا، ثمّ

تبعه ري. وإذ هذا الأمر يكون مازال حيّا، فقد أكرّر تارة أخرى، هذا الفعل نفسه، وهلمّ جرّا. فليس من شكّ إذًا أنّه من الجائز الخروج من مَحَلِّ البداهة الأصليّ. و قد رأينا أيضا كيف يكون حصول الذّكريات. فإذا ما كرّرت دو، ري، فهذا التَّصَوُّرُ على جهة الإبداع ثاني الإبداع للتّعاقب إنّما يَمْتَلِئُ في التّعاقب المتقدّم والّذي لم يَنْقَطِعْ عن كونه حيّا.

الباب الثّالث والعشرون: في مُطَابَقَةِ الآن المُبْدَعِ ثاني الإبداع للآن الماضي، وفي التّفرقة بين التّخيّل وثاني التّذكّر

وبعد أنّ فرّقنا تفرقة جيّدة بين الوعي المُبْدَعِ ثاني الإبداع، والوعي الأصليّ بالماضي، فإنّه تَعْرِضُ هذه المسألة الأخرى. إذ من المعلوم أنّه إذا أُبْدِعَ ثاني الإبداع نَغَمٌ ما كان قد تقدّم سماعه، فالآن الفينومينولوجيّ لِثَانِي التّذكّر إنّما يُحْضِرُ ثاني الإحضار ماضيا ما: ففي التّخيّل، أو في التّذكّر هناك أيضا صوت ما يرنّ الآن. إنّه يُبْدِعُ ثاني الإبداع مثلا، أَوَّلَ صوت النّغم الّذي قد تصرّم إلى الماضي. أمّا الوعي بالماضي المُعْطَى في ثاني الصّوت، فهو يُبْدِعُ ثاني الإبداع هذا الّذي مضى من قريب الّذي كان قد تقدّم انعطاءه الانعطاء الأصليّ، أي هو يعطي هذا الّذي مضي من قريب المُتَصَرِّمَ إلى الماضي. ولكن كيف جاز، ليت شعري، للآن المُبْدَعِ ثاني الإبداع أن يُحْضِرَ ثاني الإحضار ماضيا ما؟ إذ أنّ كلّ آن مُبْدَعٍ ثاني الإبداع إنّما يدلّ دلالة أولى على الآن. وكيف جاز أن تُوجَدَ إِضَافَةٌ إلى ماض ما، هي لا يمكن أن تُعْطَى الانْعِطَاءَ الأصليّ إلاّ إن كانت في صورة هذا الّذي مضى من قريب؟

إنّه لكي يُجَابَ على هذا السّؤال، فلابدّ أوّلا أنْ نضع هذه التّفرقة الّتي لم نُسْلِفْ بالإشارة إليها إلاّ إشارة خفيفة، بين مُطْلَقِ تَخَيُّلِ الموضوع المنتشر في الزّمن، وتذكّره. إذ أنّه في مطلق التّخيّل، لايُعْطَى البتّة أيّ وضع للآن المُبْدَعِ ثاني الإبداع، ولا أيّ مطابقة لهذا الآن مع الآن المتصرّم إلى الماضي. أمّا

التّذكّر، فإنّه يضع الأمر المبْدَعَ ثاني الإبداع، وبوضعه إيّاه إنّما يُعْطِيهِ هَيْئَةً ما بِإزَاءِ الآن الفعليّ، وبإزاء الفصل الزّمني الأصليّ الّذي يوجد فيه التّذكّر نفسه. و ليس إلاّ في الوعي الأصليّ للزّمن إنّما يمكن أن تَنْشَأَ إضافة ما بين الآن المُبْدَعِ ثاني الإبداع والآن المُتَصَرِّمِ إلى الماضي. إذ أنّ كلّ سيّال من الفعل المُحْضِرِ ثاني الإحضار، إنّما هو سيّال من الأطوار المعيشيّة، ونشأته هي كنشأة كلّ سيّال مُنْشِئٍ للزّمن سواء بسواء، ولذلك فهو نفسه أيضا إنّما هو مُنْشِئٌ للزّمن. وكلّ الخُفُوتَاتِ، وكلّ التّغييرات المُنْشِئَةِ للصّورة الزّمنيّة موجودة أيضا في هذا الفعل، وكما كان الصّوت الباطنيّ إنّما نشأته في سيّال من الأطوار الصّوتيّة، كذلك فإنّ وحدة الفعل الإحضاريّ ثاني الإحضار لِلصَّوْتِ إنّما تكون نشأتها في سيّال من الأطوار المُحْضِرَةِ ثاني الإحضار للصّوت، سواء بسواء. واعلم أنّ هذا هو قاعدة مطلقة الصّدق، وهي أنّ كلّ ما من شأنه أن يظهر نوعا من الظّهور، أو يُتَصَوَّرُ، أو يُتَعَقَّلُ، وهلمّ جرّا، فالرَّوِيَّةُ الفينومونولوجيّة، تُرِينَاهُ إنّما يَرُدُّ إلى سيّال من الأطوار المُنْشِئَةِ الّتي يَعْتَوِرُهَا فعل التّصيير مَوْضُوعًا تصييرا باطنيّا: وهو فعل شأنه أن يجعل من هذه الأطوار السيّلانيّة، إمّا ظهورات إدراكيّة، أي إدراكات خارجيّة، أو ذكريات، أو تَرَقُّبَاتٍ، أو تَمَنِّيَاتٍ، وهلمّ جرّا، كَائِنَةً في صورة وَحَدَاتٍ وَعْيِيَّةٍ بَاطِنِيَّةٍ. لذلك كان كلّ ضرب ضرب من فعل الإحضار ثاني الإحضار، من حيث هو سيّال معيشيّ موجود في الفعل الكلّي المُنْشِئِ للوحدة الزّمنيّة، إنّما هو فعل مُنْشِئٌ أيضا للموضوع الباطنيّ: «أي هو فعل إحضاريّ ثاني الإحضار، مُنْتَشِرٌ في الزّمن، ويَسِيلُ بنحو من الأنحاء».

بَيْدَ أَنَّهُ لِلْفِعْلِ المُحْضِرِ ثاني الإحضار، ولِكُلِّ طور طور مَعِيشِيٍّ فيه، صفة مخصوصة في كونها إحضارا ثاني الإحضار لِشَيْءٍ ما على صورة لا توجد في معاييش أخرى، وهي ذات قصديّة ثانية لا توجد في معاييش أخرى. إذ أنّ هذه القصديّة الثّانية إنّما تَخْتَصُّ بكونها ذات صورة هي بإزاء القصديّة المُنْشِئَةِ للزّمن: إذ كما أنّها في كلّ جزء جزء منها إنّما تبدع ثاني الإبداع آنا ما من السّيال

الإحضاري، أو إذا نُظِرَ إليها في جملتها، إنّما تبدع ثاني الإبداع جملة السيّال الإحضاري، فكذلك إنّما هي تُبْدِعُ الوعي المُبْدِعَ ثاني الإبداع لِمَوْضُوعٍ ما باطنيّ مُحْضَرٍ ثاني الإحضار. فهذه القصديّة إذًا إنّما تُنْشِئُ بوجهين: أوّلا تُنْشِئُ بِصُورَتِهَا السيّلانيّة المعيشيّة ثاني الإحضار من حيث هو وحدة باطنيّة، وثانيا، فهو لِمَكَانِ أجزائها المعيشيّة السّيلانيّة المغيِّرَة على جهة الإبداع ثاني الإبداع لِأَجْزَاءِ السَّيَّالِ الّذي بِإِزَائِهَا، ذي الأجزاء المَوْصُوفَةِ بكونها ليست مُبْدَعَةً على جهة الإبداع الثّاني، ولِمَكَانِ أنّ هذه التّغييرات على جهة الإبداع ثاني الإبداع إنّما ذات معنى قصديّ، فالسيّال شأنه أن يَنْتَظِمَ في سلسلة مُنْشِئَةٍ يتحصّل فيها الوعي بوحدة قصديّة، ألا وهي وحدة الأمر المُتَذَكَّرِ.

الباب الرّابع والعشرون: في مُقْبِلِ المَسْكِ في التَّذَكُّرِ

إنّه حتّى نفهم الآن معنى دخول هذه الوحدة المُنْشَأَةِ من المعاييش، أي التّذكّر، في وحدة السّيّال المعيشيّ، فلابدّ أن نعتبر أوّلا هذا الأمر: وهو أنّ كلّ تذكّر تذكّر، فهو يَنْطَوِي على قصديّات تَرَقُّبِيَّةٍ، نِهَايَةُ الحصول فيها إنّما يُفْضِي إلى هذا الحاضر. وأنت تعلم أنّ كلّ فعل مُنْشَئٍ نشأة أصليّة، فَتَسْرِي به رُوحٌ من قصديّات مُقْبِلِ المسك شأنها أن تُنْشِئَ الأمر المقبل على جهة الخَوَاءِ من حيث هو أمر مُقْبِلٌ، وتدعوه إلى الحصول. أمّا الفعل المُتَذَكِّرِ، فليس شأنه فقط أن يُكَرِّرَ، على جهة التّذكّر، تلكم القصديّات بمجرّدها. بل إنّ وعينا بها في فعل التّذكّر، ليس فقط على أنّها تُوشِكُ أن تحصل، بل أنّها قد حصلت. والحصول في الوعي المُتَذَكِّرِ، إنّما هو ثاني الحصول، أي هو تغيير للوضع تغييرا تَذَكُّرِيًّا. وإذا كان مقبل المسك الأصليّ في إدراك حدث ما يكون لاَ مُتَعَيِّنًا، وينطوي على إمكان كون الشّيء مغايرا، أو لا موجودا، فهو في التّذكّر غير ذلك، بل إنّ التّرقّب في التّذكّر يكون معلوم الجهة، ولاتكون صورته البتّة صورة ذكرى ناقصة، وحقيقته إنّما هي غير حقيقة مقبل المسك اللاَّمُتَعَيِّنِ

الأصليّ. ومع هذا، فإنّ مقبل المسك الأصليّ إنّما ينطوي عليه أيضا التّذكّر. والفحص القصديّ قد يُلاَقِي هاهنا صعوبات، أوّلها ذات تعلّق بأمر الحدث إذا أُخِذَ بمجرّده، وثانيها ذات تعلّق بالتّرقّبات المتعلّقة بالأحداث المتعاقبة إلى الآن الحاضر: إذ أنّ الذّكرى ليست بالترقّب، بل إنّها تكون ذات أفق تكون جهته إلى المستقبل، وهو مستقبل الأمر المُتَذَكَّرِ، ويكون مستقبلا موضوعا. وما اطّرد فعل التّذكّر، ازداد ذلك الأفق انْفِسَاحًا، وغنى وحياة، وامتلأ أكثر فأكثر من الأحداث الأخرى المُتَذَكَّرَةِ. أي أنّه من الأحداث الّتي كانت أوّلا مَخْمُونَةً، مَا صار الآن حاضرا شِبْهَ الحضور، وحاصلا في الحاضر شِبْهَ الحُصُولِ.

الباب الخامس والعشرون: في أنّ ثاني التّذكّر ذُو قَصْدِيَّتَيْنِ

وإذا ما تَبَيَّنَّا في الموضوع الزّمنيّ شيئين اثنين، وهما محتواه ذو الزّمنيّة الّذي قد يكون مَحَلُّهُ في التَّسَلْسُلِ الزّمنيّ محلاّ مختلفا، وكونه ذا محلّ ما في الزّمن، فسيلزم اضطرارا أن نتبيّن شيئين اثنين أيضا في ثاني الإبداع للموجود المنتشر في مدّة زمنيّة، وهما ثاني إبداع المدّة الزّمنيّة المَمْلُوَّةِ، والقصديّات المتعلّقة بما محلّه في الزّمن. إذ ليس من الممكن ألبتّة أن تُتَصَوَّرَ مدّة زمنيّة ما، أو تُوضَعَ، إلاّ إذا اقترن ذلك بِوَضْعٍ لَهَا في تَسَلْسُلٍ ما زمنيّ، أو اقْتَرَنَتْ بها قصديّات مُشِيرَةٌ إلى التّسلسل الزّمنيّ. ومن المُضْطَرِّ أن تكون هذه القصديّات صورتها إمّا صورة الماضي، أو صورة المستقبل. ويتعلّق بهذين الضّربين من القصديّة، أي القصديّة المشيرة إلى الزّمنيّة المملوّة، والقصديّة المشيرة إلى مَا مَحَلُّ الزّمنيّة في الزّمن، ضربان اثنان من الحصول. إذ أنّ جملة المُرَكَّبِ القصديّ المُنْشِئِ لِظُهُورِ الموضوع الماضي المنتشر في الزّمنيّة، إنّما يكون حصوله في جملة الظّهورات المتعلّقة بهذا الموضوع الواحد. أمّا القصديّات المتعلّقة بالتّسلسل في الزّمن، فيكون حصولها بتكرار التّسلسلات المُمْتَدَّةِ الامتلاء إلى الآن الحاضر. ولذلك فقد وجب أن نتبيّن في كلّ ثاني إحضار ثاني إحضار شيئين اثنين، وهما: أوّلا

ثاني إبداع الوعي الّذي فيه كان قد أُعْطِيَ الموضوع الماضي المنتشر في الزّمن، أي الوعي الّذي كان فيه الموضوع المذكور مُدْرَكًا، أو مُنْشَأً إنشاء أصليّا، وثانيا: ما يَنُوطُ بثاني الإبداع على جهة الإنشاء في الوعي، معاني الماضي، والحاضر، أي المقارن في الزّمن للآن الحاضر، والمستقبل.

ولسائل أن يسأل: وهذا الأمر الثّاني المتبيّن في ثاني الإحضار، أَ وَيكون أيضا مُبْدَعًا ثاني الإبداع ؟ ومن يجيب عن هذا السّؤال، فمن اليسير جدّا أن يكون من الخاطئين. ولكن هو ضروريّ أن يُعْلَمَ أنّه ليس فقط حاضر ما كان الوعي واعيا به في سيّاله، ما يكون مُبْدَعًا ثاني الإبداع الآن، بل كُلُّ السَّيَّالِ الوَعْيِيِّ المُمْتَدِّ إلى الآن الحيّ، إنّما هو يُبْدَعُ ثاني الإبداع على جهة التَّضْمِينِ. فَيَلْزَمُ هذا الأمر الضّروريّ في الفينومينولوجيا التَّكْوِينِيَّةِ: وهو أنّ التّذكّر إنّما صحّ أنّه في سيّال متّصل، فَلأِنَّمَا حياة الوعي إنّما هي في سيّال متّصل، ولا تجتمع في كلّ السّلسلة على جهة انضمام حدودها، حدّا بعد حدّ. بل إنّ كلّ جزء مُسْتَأْنَفٍ، فذو أَثَرٍ على الجزء المتقدّم، وكلّ قصديّة مُسْتَشْرِفَةٍ، فلها حصول، وتعيّن، فتَخْلَعَ على فعل الإبداع ثاني الإبداع صفة ما متعيّنة. إذًا فَيَبِينُ أنّه هناك هاهنا ضرورة أثر فِعْلِيٍّ مُتَقَهْقِرٌ؛ إذ أنّه كلّ جزء مستأنف فهو يدعو جزء آخر مستأنف، إذا ما ظهر، تَعَيَّنَ، وإذا مَا تَعَيَّنَ، نال بالتّغيير كلّ المُمْكَنَاتِ المُبْدَعَةِ ثاني الإبداع للجزء المتقدّم، وهلمّ جرّا. ولِذَلِكَ كانت قوّة الأثر الفعليّ المتقهقر، إنّما تَرْتَدُّ إلى الوراء، وتَشُقُّ كلّ السّلسلة، إذ أنّ الماضي المُبْدَعَ ثاني الإبداع إنّما يكون مَحْفُوفًا بصفة المُضِيِّ، وبقصديّة لا مُتَعَيِّنَةٍ تكون مُشِيرَةً إلى وَضْعٍ زمنيّ ما بالقياس إلى الآن الحاضر. إذًا، فالسّلسلة هاهنا ليست عبارة عن مجرّد قصديّات موصول بعضها إلى بعض، كلّ قصديّة تَتَذَكَّرُ القريبة منها في السيّال، بل السّلسلة إنّما هي عبارة عن قصديّة واحدة شَأْنُهَا أن تُشِيرَ بِذَاتِهَا إلى سلسلة الحُصُولاَتِ الممكنة.

ولكن هذه القصديّة إنّما هي قصديّة لا حدسيّة، أي «خاوية»، ومقصودها إنّما

هو السّلسلة الموضوعيّة للأحداث في الزّمن؛ وهذه السّلسلة إنّما هي المحيط المبهَم لِمَا يكون الآن متذكَّرا بالفعل. وإنّ شأن كلّ محيط هذا الشّأن، أي أن يكون قصديّة ذات وحدة مخصوصة تشير إلى كثرة من الموضوعات الموصولة بعضها إلى بعض، والّتي تتعيّن كلّما أُعْطِيَتْ تلكم الموضوعات شيئا فشيئا، وفُرَادَى، وفي صور شَتَّى. كالحال في الظّهر المكاني. إذ كلّ موضوع موضوع، فذو ظهر أيضا إذا ما أُدْرِكَ، وليس المقصود هنا بالظّهر المتعلّق بالفعل التَّنَبُّهِيِّ، بل بالظّهر المتعلّق بالفعل الأخذيّ. واعلم أنّ الجزء المُسَمَّى بـ «الإدراك لا على التَّخْصِيصِ»، والمقوِّم لِحَقِيقَةِ كلّ إدراك إدراك مفارق، إنّما هو قصديّة مُرَكَّبَةٌ شأنها أن يكون حصولها في تسلسلات مخصوصة، أي في تسلسلات من أمور معطاة. وإذا كان البطن ممتنع الوجود بلا ظهر، كذلك ففي وحدة الوعي بالزّمن، كانت المدّة الزّمنيّة المُبْدَعَةُ ثاني الإبداع هي البطن، وقصديّات الانْسِلاَكِ في الزّمن إنّما تُوقِفُ الوعي على الظّهر الزّمانيّ. وَمَابَقِيَ فعل الإنشاء لِزَمنيّة عَيْنِ الموضوع، ولِحَاضِرِهِ، وماقبله، وما بعده، بقي أيضا الوعي واعيا بهذا الظّهر الزّمانيّ. ولِتَرَ هذه المماثلة بين الشّيء المكانيّ، والشّيء الزّماني، ففي الأوّل إنّما نتبيّن شيئين اثنين: أوّلا الانسلاك في المكان المحيط، والعَالَمِ المكاني، وثانيا الشّيء المكاني نفسه، وما له من بطن، وظهر، وفي الثّاني نتبيّن شيئين اثنين أيضا: فأوّلا الانسلاك في الصّورة الزّمنيّة والعالم الزّماني، وثانيا الشّيء الزّماني نفسه، وَوِجْهَتُهُ المتغيّرة بالقياس إلى الآن الحيّ.

الباب السّادس والعشرون: في الفروق بين التّذكّر والتَّرَقُّبِ

ومن الواجب أيضا أن ننظر فيما الفرق بين التّذكّر والتّرقّب. أمّا التّذكّر الحدسيّ فيعطينا على جهة الإبداع ثاني الإبداع الحيّ زمنيّة حدث ما السّيّالة، وهنالك فليس إلاّ القصديّات الّتي تُشِيرُ إلى ما كان قد تقدّم الحدث، أو تَسْتَشْرِفُ ما تأخّر عنه إلى الآن الحيّ، ما يكون لا حدسيّا.

وأمّا في التّصوّر الحدسيّ لِحَدَثٍ ما مستقبليّ، فيكون هناك في الآن، صورة حدسيّة مُبْدَعَةٌ لِفِعْلٍ ما يكون سيلانه على جهة الأمر المبدَع ثاني الإبداع. ومن شأن هذا الحدث أن تعلق به قصديّات لامتعيّنة تتعلّق بالمستقبل والماضي، أي قصديّات، شأنها أن تَطِيفَ بالمحيط الزّمني للفعل أوّل ما يحصل، والّذي نهايته إنّما تكون عند الحاضر الحيّ. ولذلك فإنّ الحدس التَّرَقُّبِيَّ إنّما هو حدس تذكّريّ معكوس، إذ أنّه في التّذكّر، القصديّات المشيرة إلى الآن لا تكون متقدّمة عن الفعل، بل تكون مُتَأَخِّرَةً عنه. أي أنّه في التّرقّب، توجد القصديّات الخاوية المُطِيفَةُ بالمحيط الزّمني للفعل على عكس جهة وجودها في التّذكّر. وإذ تقرّر هذا، فلسائل أن يسأل: والفعل نفسه، فكيف عسى أن يكون انْعِطَاءُهُ في التَّرَقُّبِ؟ وهل أنّ الفرق الكبير بينه وبين التّذكّر، هو أنّ المحتوى المُعْطَى في الفعل المُتَذَكَّرِ إنّما يكون معروفا؟ ولكن الذّكرى أيضا قد تكون حدسيّة، ولا تكون معروفة غاية المعرفة متى كانت أجزاء حدسيّة منها كثيرة لا يَلِيقُ بها وصف الذّكرى حقّ الوصف. ولا نِزَاعَ في أنّه في التّذكّر التّام، كلّ أمر مُتَذَكَّرٍ إنّما يكون بَيِّنًا جَمِيعِهِ، وموصوفا حقّ الوصف بمعنى الذّكرى. ولكن هذا الأمر هو ممكن أن يوجد أيضا على جهة المثال في التّرقّب. وفي الجملة، إنّ كثيرا من الأشياء إنّما تكون مُعَلَّقَةَ الحصول في التّرقّب، وتعليق حصول الأمر لَهْوَ من الصّفات الجوهريّة لهذا الفعل، أي لِفِعْلِ التّرقّب. ولكن ليس لِمَانِعٍ أن يمنع وضعنا لِوَعْيٍ نَبَوِيٍّ، أي وعي يصف نفسه بالنّبويّة، ترى عيناه كلّ شيء من الأمر المترقَّب، والمُزْمَعِ الوجود؛ كالسّطح المُدْرَكِ، فإنّا إذا ما تصوّرنا منه على جهة الحدس، ما نَنْوِي تحصيله حقيقة، فإنّا نكون قد أخذناه في شخصه على أنّه حقيقة مستقبليّة. ومع ذلك فهناك أشياء كثيرة هَيِّنَةٌ في الاسْتِشْرَافِ الحدسيّ للمستقبل، شأنها أن تُتَمِّمَ الصّورة المتعيّنة، ولكنّها تكون في أمور كثيرة على غير حقيقة ما تُرِينَاهُ الصّورة: إذ أنّ الوصف بأنّها مُعَلَّقَةُ الحصول إنّما لاَحِقُهَا من أوّل أمرها.

وهناك فروق أخرى كبيرة بين التّذكّر والتّرقّب تتعلّق بكيف يكون حصول كلّ

منهما. إذ أنّ القصديّات المشيرة إلى الماضي، إنّما حصولها حصول ضروريّ إذا ما كُرِّرَتْ التّسلسلات المُبْدَعَةِ ثاني الإبداع الحدسيّة. فالإبداع ثاني الإبداع لِأَمْرٍ ما مضى، لا يقتضي حتّى يَصِحَّ في الوعي الباطنيّ، إلاّ أن تُصَدِّقَهُ الأمور اللاّمتعيّنة أوّلا في الذّكرى، وتُكَمِّلَهُ بطريق الإبداع لَهَا ثاني الإبداع ذي الأجزاء الموصوفة بأنّها مُبْدَعَةٌ ثاني الإبداع. والحَيْرَةُ هاهنا تكون بأن يُسْأَلَ: أَكُنْتُ قد شاهدت ذلك الأمر حقّا، وحقّا أدركته. أكان ذلك قد ظهر لي حقّا، وظهر كما يظهر لي الآن؟ وهذه الحيرة إنّما تَسْرِي إلى كلّ سلسلة الحدوسات التّذكّريّة حتّى الآن الحاضر. والحيرة المتعلّقة بإن كان الّذي قد ظهر لي كان موجودا حقّا، فهي سؤال آخر لا نسبة له بمسألتنا هذه. أمّا التّرقّب فحصوله إنّما يكون في الإدراك. إذ أنّ حقيقة الشّيء المُتَرَقَّبِ إنّما أن يكون أمرا مُزْمَعًا إدراكه. ومعلوم جدّا أيضا بأنّه إذا ما حضر الأمر المُتَرَقَّبُ، وصار حاضرا، فإنّ الحاضر ينقلب إلى الماضي، ويكون ماضيا بالقياس للحاضر المُسْتَأْنَفِ. وكذا الأمر في القصديّات المُطِيفَةِ بالأمر المُتَرَقَّبِ، فحصولها إنّما يكون أيضا بطريق فعليّة معيش انطباعيّ.

ومع كلّ هذه الفروق بين التّذكّر، والتّرقّب، فإنّ الحدس التَّرَقُّبِيَّ هو فعل أصليّ ومخصوص، كحدس الماضي، سواء بسواء.

الباب السّابع والعشرون: في أنّ التّذكّر هو وعي بموجود كان قد تقدّم إدراكه

وإذا ما أردنا أن نَخُصَّ أفعال ثاني الإبداع الإِثْبَاتِيَةِ(١) المتقدّم الفحص عنها، وهو عمل ضروريّ جدّا، قلنا: إنّ الأمر المُقَوِّمَ لِحَقِيقَةِ هذه الأفعال، ليس فقط كونها ذات معنى إثباتيّ مُبْدِعٍ ثاني الإبداع لِمَوْجُودٍ ما زمنيّ، بل هناك أمر آخر

---

(1) Thétique Thèse نِسْبَةً إلى.

مُقَوِّمٌ لِحَقِيقَتِهَا، وهو كونها لَذَاتَ نِسْبَةٍ ما إلى الوعي الباطنيّ. واعلم بأنّ حقيقة كلّ تذكّر تذكّر الأولى، إنّما كونه وعيا بموجود كان قد تقدّم إدراكه. فإذا ما أنا تذكّرت حدسيّا فعلا ما خارجيّا، كان لي به حدس مُبْدِعٌ ثاني الإبداع. وهو ثاني إبداع إِثْبَاتِيٌّ. ولكن ما كان لِيَصِحَّ الوعي بثاني الإبداع الخارجيّ هذا ضرورة إلاّ لِمَكَانِ فعل مُبْدِعٍ ثاني الإبداع باطنيّ. إذ من الواجب أن يُبْدِعَ ثاني الإبداع ظهورا ما خارجيّا كان الفعل الخارجيّ قد انْعَطَى فيه على صُورَةٍ ظُهُورِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ. إذ كلّ ظهور ظهور خارجيّ، فمن حيث هو معيش، فهو وحدة وَعْيِيَّةٍ باطنيّة، وكلّ وعي وعي باطنيّ، فمتعلِّقٌ به ثاني إبداع باطنيّ. وأنت تعلم أنّه لِكُلِّ ثاني إبداع ثاني إبداع لِفِعْلٍ ما، جهتان اثنتان: فإمّا أن يكون ثاني الإبداع الباطنيّ إِثْبَاتِيًّا، فيكون إذًا لِظُهُورِ الفعل وَضْعٌ في الوحدة الزّمنيّة الباطنيّة؛ وقد يكون ثاني الإبداع الخارجيّ إثباتيّا أيضا، فيكون شأنه أن يضع الفعل الزّمنيّ في الزّمن الموضوعيّ، ولكنّه لا يضع الظّهور نفسه في الفعل الزّمنيّ الباطنيّ، و لا أيضا السيّال المُنْشِئَ للزّمن في وحدة السيّال المعيشيّ المجموع.

فبان إذًا أنّ التّذكّر ليس هو بمجرّد تذكّر لِإِدْرَاكٍ ما متقدّم. ولكن لمّا كان كلّ تذكّر لِفعل ما متقدّم إنّما ينطوي على الإبداع ثاني الإبداع للظّهورات الّتي كان قد انْعَطَى فيها الفعل، جَازَ في كلّ آن أن يكون هناك تذكّر للإدراك المتقدّم للفعل، أي جاز الرّجوع بالرّويّة في التّذكّر المُعْطِي لنا للإدراك المتقدّم. وذلك ما يكون الإبداع ثاني الإبداع لجملة الوعي المتقدِّم، وما يخلع على هذا المُبْدَعِ ثاني الإبداع معنى الأمر المُبْدَعِ ثاني الإبداع، ومعنى المُضِيِّ.

ولِنَزِدْ أمر هذه العلاقات بيانا بهذا المثال: «إنّي لَأَتذكّر الآن المسرح المُضَاءَ»، فهذه العبارة لا ينبغي أن تُفْهَمَ بهذا المعنى: إنّي لَأَتَذَكَّرُ الآن أنّي كنت قد أدركت المسرح. إذ لو أُخِذَتْ بهذا المعنى، لَكَانَتِ الجملة في قوّة قولنا: إنّي أتذكّر الآن أنّي كنت قد أدركت أنّي كنت أُدْرِكُ المسرح، وهلمّ جرّا. بل قولي: إنّي أتذكّر الآن المسرح المضاء، إنّما معناه: إنّي في سِرِّي

الآن لأَرى المسرح المضاء على أنّه أمر ماض. أي إنّي في الآن، أرى اللاآن. إذ الإدراك إنّما يُنْشِئُ الحاضر. ولا يمكن ألبتّة لِآنٍ ما أن يَتَجَلّى لِأَعْيُنِنَا آنا حاضرا إلاّ في الإدراك. أمّا إن طلبت التّصوّر حدسيّا لِآنٍ ما، فلا بدّ أن أُدْرِكَهُ في صورة، أي في إدراك مُحْضَرٍ ثاني الإحضار. ولكن هو لا يكون من اللاّزم حينئذ أن أتصوّر الإدراك، بل الأمر المُتَصَوَّرُ لُزُومًا، إنّما هو الأمر المُدْرَكُ، أي الأمر الظّاهر في الإدراك على جهة الحضور. إذًا فالتّذكّر إنّما يقتضي بحقٍّ الإبداع ثاني الإبداع للإدراك المتقدّم، ولكن ليس معنى هذا أنّ التّذكّر، على التّخصيص، هو تصوّر للإدراك؛ إذ في التّذكّر، لاتكون هناك إشارة ألبتّة للإدراك أو أيّ وضع له، بل ما يُشَارُ إليه و يُوضَعُ فيه إنّما هو موضوع الإدراك، وآنه، وهذا الموضوع إنّما يُعْتَبَرُ في وضعه نسبته إلى الآن الفعليّ. فمعنى قولي: إنّي أتذكّر الآن المسرح المضاء أمْسِ: إنّي الآن أُبْدِعُ ثاني الإبداع إدراكي للمسرح، وها هو الآن يَتَرَاءَى لي كأنّه حاضر، وما إِشَارَتِي إلاّ إليه، ولكن إشارتي لِهَذَا الحاضر إنّما تأخذه على أنّه ذو وجود متقدّم عن الحاضر الفعلي، أي حاضر الإدراكات الفعليّة. ولا سبيل لِأَحَدٍ أن يشكّ في أنّ إدراكي للمسرح كان قد وُجِدَ حقّا، وأنيّ كنت قد أدركت المسرح حقّا. فالأمر المُتَذَكَّرُ إنّما يظهر ظهورا حدسيّا أوّليّا على أنّه موجود ما كان قد تقدّم حضوره؛ وقد أمكن هذا الظّهور لأنّه قد يمكن لِحَاضِرٍ ما أن يظهر ظهورا حدسيّا على أنّه لَذُو بُعْدٍ ما عن الحاضر الفعليّ. إذًا فالحاضر الثّاني إنّما نشأته في إدراك فعليّ، أمّا الحاضر الأوّل، أي الحاضر الظّاهر ظهورا حدسيّا، أي التّصوّر الحدسيّ لِلاآن، فنشأته في أمر هو نَظِيرُ الإدراك، أي في فعل مُحْضِرٍ ثاني الإحضار للإدراك المتقدّم، الّذي كان قد أُعْطِيَ فيه المسرح على أنّه آن شِبْهُ الآن. فإِيَّانَا إذًا وأن نفهم عبارة ثاني الإحضار لِإِدْرَاكِ المسرح على أنّ هذا الفعل المعيش هو الفعل الّذي أطلب فيه الفعل الإدراكيّ، بل لا بدّ أن تُفْهَمَ هذه العبارة على معنى أنّ ذلك الفعل هو الفعل المعيش الّذي أطلب فيه الوجود الحاضر لِلْمَوْضُوعِ المُدْرَكِ.

الباب الثّامن والعشرون: في التّذكّر، وفي الوعي بالصّورة. وفي أنّ التّذكّر هو ثاني إبداع إثباتيّ

ولا بدّ أن ننظر أيضا في نوع التّصوّر المَبْحُوثِ عنه هاهنا. فالتّصوّر التّذكّريّ ليس بفعل مُحْضِرٍ ثاني الإحضار لِلشَّيْءِ بِوَاسِطَةِ شَيْءٍ آخر مُشَابِهٍ له، كالوعي بالصّور، مثل اللّوحة، والتّمثال، وهلمّ جرّا. بل إنّ الفعل المُحْضِرَ ثاني الإحضار على جهة التّذكّر إنّما يَخْتَصُّ عن الوعي بطريق الصّورة، بكونه فعلا مُحْضِرًا ثاني الإحضار للشّيء في شخصه. لذلك كانت أفعال الإبداع ثاني الإبداع تنقسم إلى ضربين: الأفعال الإِثْبَاتِيَّةِ، والأفعال اللاَّإثباتيّة، أي أفعال الخيال المحض. ويُزَادُ إلى الأولى وَصْفُهَا بالزّمنيّة. إذًا فالتّذكّر هو فعل مُحْضِرٌ ثاني الإحضار للشّيء في شَخْصِهِ على أنّه أمر مضى. لِذَا فهو شَبِيهٌ جدّا بالإدراك من حيث أنّ كليهما إنّما مُتَعَلِّقُهُ ظهور الموضوع، مع فرق وحيد وهو أنّ ظهور الشّيء في التّذكّر موصوف بوصف التّغيّر الخَالِعِ على الموضوع معنى اللاّحضور، ومعنى الموجود الّذي كان قد تقدّم حضوره.

فالأمر المُقَوِّمُ للأفعال المُبْدِعَةِ ثاني الإبداع المسمّاة بالتّذكّر، أو التّرقّب إنّما كون الظّهورات المُبْدَعَةِ ثاني الإبداع فيها، إنّما شأنها أن تنسلك في تسلسل الوجود الزّمنيّ الباطنيّ، وفي سلسلة المعاييش السّيّالة. وحكم هذا الوضع هو سَارٍ أيضا، بلا ريب، في الموجود الموضوعيّ في الظّهور الخارجيّ، ولكن عَيْنُ هذا الوضع وإن بطل، وإن وُجِدَ ما يُعَانِدُهُ، فإنّ مَعْنَيَيْ التّذكّر، أو التّرقّب لا يبطلان أبدا. على معنى أنّه، وإن قد تَبَيَّنَّا بأنّ الإدراك الّذي مضى إنّما كان محض وهم، فهذا ليس بِرَافِعٍ ألبتّة عنه وسم الذّكرى، وإن هو سَيَبِينُ بأنّ المُتَرَقَّبَ هو محض وهم أيضا، فهذا ليس برافع عنه ألبتّة وسم التّرقّب. فأمّا إن تعلّق الأمر أَوَّلَ تَعَلُّقِهِ، بالإبداع ثاني الإبداع لِمَوْضُوعَاتٍ باطنيّة، وليست مفارقة، فإنّ الحدوس المُبْدِعَةَ لَهَا ثاني الإبداع، لن تكون على جهة التَّرَتُّبِ، كالّتي كنّا قد وصفناها، وحينئذ، فإنّ المطابقة ستكون تامّة بين الفعل الواضع

للأمر المُبْدَعِ ثاني الإبداع، وبين انْسِلاَكِهِ في سلسلة المعاييش، وفي الزّمن الباطنيّ.

الباب التّاسع والعشرون: في تَذَكُّرِ الحَاضِرِ

وفي أمر الحدس الزّماني الخارجيّ، والموضوعيّة الخارجيّة، فلابدّ أيضا من أن ننظر في صنف آخر من الحدوس المُبْدِعَةِ ثاني الإبداع على جهة الأوّليّة للموضوعات الزّمنيّة، إذ أنّا في هذا التّحرير إنّما نريد أن نَقْتَصِرَ على الحدس الأوّليّ للموضوعات الزّمنيّة، ولا نروم أن ننظر في التّرقّبات، والتّذكّرات الّتي بِتَوَسُّطِ، أي التّرقّبات والتّذكّرات اللاّحدسيّة.

اعلم أنّه من الجائز جدّا أن يكون لي تَصَوُّرٌ لِأَمْرٍ ما حاضر في الآن، ولا يكون موجودا بين يَدَيَّ الآن في شخصه، إمّا بالاستناد إلى إدراكات متقدّمة أو بوصف ما له أُعْطِيَ لي، وهلمّ جرّا. وفي الوجه الأوّل فهو كائن لي بلا شكّ ذكرى ما، والأمر المُتَذَكَّرُ إنّما أَخْلَعُ عليه مدّة زمنيّة تَصِلُهُ إلى الآن الفِعْلِيِّ، ولَكِنِّي لن يكون لي ظهورات تتعلّق بهذه المدّة الزّمنيّة شأنها أن أتذكّرها تذكّرا باطنيّا. فوسيلتي هاهنا إذًا هي الصّورة الخيال، ولكنّي لا أضع الأمر المُتَذَكَّرَ على أنّه أمر مُتَذَكَّرٌ، ولا الموضوع التّذكّري الباطنيّ في الزّمنيّة الموجودة له. بل الموضوع إنّما هو الأمر الموجود زمانيّا في هذا الظّهور، وإنّا لَنَضَعُ الآن الظّاهر، والآن المُتَجَدِّدَ أبدا، وهلمّ جرّا، ولكن لا نضعه في صورة الأمر الّذي قد مضى.

وأنت تعلم أنّه في التّذكّر، ليس معنى المُضِيِّ فيه أنّه في فعل التّذكّر الحاضر، هناك إبداع لِصُورَةِ ما كان قد تقدّم وجوده. بل أنت تعلم أنّ هذا المعنى ما حقيقته، وما عَيْبُهُ. لذلك فالتّذكّر إنّما هو محض وضع لِمَا يظهر فيه، وما يُحْدَسُ فيه، ولأنّ هذا الموضوع موضوع زمنيّ، فليس يمكن أن يوجد إلاّ الوجودَ الزّمنيّ. والأمر الظّاهر في التّذكّر إنّما شأنه أن يُخْلَعَ عليه لِمَكَانِ

القصديّات المُشِيرَةِ إلى ما يَطِيفُ بالظُّهُورِ، وَضْعٌ ما بالقياس إلى الآن الفعليّ. فَلَزِمَ إذًا أنّه في الفعل المُحْضِرِ ثاني الإحضار لِوُجُودٍ حَاصِلِ الآن، وَلَكِنَّهُ غائب عنّا، أن يُخْلَعَ صورة ما على القصديّات المُطِيفَةِ بالحدس، ولا نزاع في أنّ هذه القصديّات هاهنا ستكون من طبيعة غير طبيعة القصديّات الأولى: إذ هي ليست ألبتّة بموصولة إلى الآن الفعليّ، لكونها ليست بموصولة إلى سلسلة من الظّهورات الباطنيّة الّتي من شأنها أن تُوضَعَ كُلَّهَا معا. ولا نُعَانِدُ في أنّ الظّهور المُبْدَعَ ثاني الإبداع المذكور لا وجود له من غير وجوده في سلسلة ما. إذ أنّ هذا الظّاهر لا بدّ أن يكون شيئا ما يوجد الآن، وكان موجودا فيما مضى، وسيوجد مستقبلا. لذلك كان من الجائز جدّا أن أَسْلُكَ أيّ سبيل حتّى أرى الموضوع المطلوب، وأجده، وبعدها أَنْكُصُ على عَقَبِيَّ، ثمّ آخذ في استرجاع الحدس المتعلّق به في سلسلات ظهوريّة ما متجدّدة. وأنا لو كنت قد غادرت مكاني إلى الموضوع المذكور، آنفا، وَوُجِدْتُ عنده، وهذا أمر كان ممكنا، ويتعلّق به سلسلة ممكنة من الظّهورات، لَكَانَ حدسي له الآن حدسا إدراكيّا، وهلمّ جرّا. لذلك كان الظّهور العَارِضُ لِي على جهة الإبداع ثاني الإبداع، لا يمكن أن يوصوف، حتما، بالأمر الّذي كان قد تقدّم وجوده وجودا باطنيّا انطباعيّا، ولا جاز أن يوصف الأمر الظّاهر بأنّه كان قد تقدّم إدراكه في مدّته الزّمنيّة: ومع ذلك فهناك هاهنا أيضا علاقة بالمُتَعَيِّنِ، والظّهور أيضا موصوف بالإِثْبَاتِيَّةِ؛ إذ الظّهور من شأنه أن يَنْسَلِكَ في تَسَلْسُلٍ مُتَعَيِّنٍ من الظّهورات، وهي ظهورات، بالضّرورة، إثباتيّة وَوَاضِعَةٌ، وهو إذا ما وُجِدَ في هذا التّسلسل، صار له وصف الدَّاعِي: إذ أنّ القصد المُطِيفَ بالمحيط إنّما تلزم عنه هَالَةٌ من القصديّات ذات تعلّق بالظّهورات الممكنة نفسها. وكذا في أمر الحدس لِمَوجُودٍ زمنيّ شأنه أن يُدْرَكَ الآن، ويُوضَعَ على أنّه كان قد تقدّم وجوده ولا يكون قد تقدّم إدراكه أو تُوجَدُ له ذكرى الآن، وهو يُوضَعُ على أنّه واجب الوجود في المستقبل.

الباب الثّلاثون: في انْحِفَاظِ القصد الموضوعيّ في التّغيير المسكيّ

إنّه كثيرا ما يحصل أن يكون المسك لِلَّذِي مضي من قريب ما زال حيّا، وتَنْبَعِثُ صورة مُبْدِعَةٌ له ثاني الإبداع: وبَيِّنٌ أنّ هذه الصّورة إنّما ستكون صورة بذلك الماضي كما كان قد أُعْطِيَ من قريب. وهذا الفعل الإحضاريّ ثاني الإحضار شأنه أن يجعل لِلآنِ المُبْدَعِ ثاني الإبداع نسبة إلى الآن الّذي لم يَنْقَطِعْ وجوده بَعْدُ في الذّكرى القريبة، وهو بذلك إنّما يكون حصول الوعي بالحقيقة الواحدة، أي وعي مُظْهِرٌ لِعَيْنِيَّةِ الآن الأوّل للآن الثّاني. وهو بذلك يظهر أيضا أنّه في أوّل التّذكّر، هناك جزء حدسيّ، وجزء خَاوٍ أوسع جدّا من الأوّل. إذ في عين الوقت الّذي قد يكون فيه ماض ما لم يزل موجودا في ذكرى ما قريبة، ولو كانت خاوية، فهو من الممكن جدّا أن تَنْبَعِثَ صورة بهذا الماضي. لذلك فقد صَحَّ هذا الحكم العامّ والضّروريّ، وهو أنّ كلّ آن آن، وإن غَبَرَ في الماضي أبدا، فحقيقته تبقى هي هي ألبتّة. أو بعبارة فينومينولوجيّة: إنّ الوعي بالآن المُنْشَئِ من مادّة ما أ، إنّما ينقلب أبدا إلى وعي بالماضي، وهو في عين انقلابه إلى ماض، إنّما يتجدّد أيضا وعي آنيّ آخر تجّددا متّصلا. ومع هذا الانقلاب الدّائم، فالوعي المتغيّر لا يُضَيِّعُ أبدا قصديّته الموضوعيّة. واعلم أنّ كلّ هذا الوصف لَمِنِ الأمور المُقَوِّمَةِ ضروريّ التَّقْوِيمِ كلّ وعي وعي زمنيّ.

ولِذَلِكَ كان قد وجب علينا ألاّ نفهم التّغيير المتّصل المتعلّق بالخصائص الفِعْلِيَّةِ المُنْشِئَةِ لِكُلِّ فصل فصل زمنيّ أصليّ، على معنى أنّه أوّل ما تظهر سلسلة ما من الإخاذ ذات تعلّق بطور موضوعيّ ما، فَتَضَع الآن، وتَتَقَهْقَر إلى آخر ماض ظاهريّ يمكن الوقوف عليه، كان في هذه السّلسلة أيضا حصول لِتَغْيِيرِ متّصل في القصديّة الموضوعيّة. بل إنّ القصديّة الموضوعيّة إنّما تبقى هي هي ألبتّة. ومع ذلك فنحن نُسَلِّمُ هاهنا بوجود خُفُوتِ ظَاهِرِيٍّ لا يتعلّق فقط بالمحتويات الأخذيّة وحدها، من حيث هي محتويات قد يَعْتُورُهَا أيضا التّبدُّدُ، وتذهب في الضَّعْفِ من الكثافات الحسّيّة القويّة جدّا الموجودة في الآن إلى

الكثافات الّتي تَشِذُّ عن الحسّ. وأوّل ما ينبغي علمه أنّ كلّ آن حاضر، فالوصف المطابق له أنّه محض الجِدَّةِ. أمّا الآن الذّي قد غَبَرَ من قريب في الماضي فليس بالأمر الجديد، بل إنّه الأمر الّذي جعله بَائِنًا جِدَّةٌ أخرى. وبَيِّنٌ أنّ هذه البَيْنُونَةَ إنّما تقتضي تغييرا. ولكن الآن المُبَانُ، وإن هو قد كفّ عن كونه آنا حاضرا، فإنّ قصديّته الموضوعيّة إنّما تبقى هي هي ألبتّة، إذ إنّما هو قصديّة ذات تعلّق بموضوعيّة ما شخصيّة، أي قصديّة حدسيّة. فإذا هو أُخِذَ بهذا المعنى، كان هذا الآن إذًا آنًا لم ينله أي قدر من التّغيير. بَيْدَ أنّه لمِنَ الواجب هاهنا أن نفحص نِعِمَّا فيما معنى قولنا «انْحِفَاظُ القصديّة الموضوعيّة». فاعلم أنّ فعل الأخذ لِجُمْلَةِ الموضوع إنّما ينطوي على قطعتين: قطعة أولى شأنها أن تُنْشِئَ الموضوع فيما له من صفات مجرّدة عن الزّمن، والثّانية فهي المُنْشِئَةُ لِلْوَضْعِ الزّمنيّ، ولِلْحُضُورِ، ولِلْمُضِيِّ، وهلمّ جرّا. بل إنّ الموضوع الّذي هو مادّة زمنيّة، وذو وضع زمنيّ، ومنتشر في الزّمن، ويلبث، ويتغيّر، ويوجد الآن، ثمّ ينقلب قد كان فيما مضى، فمَحْضُ نَشْأَتِهِ إنّما هي من التَّصْيِيرِ تَصْيِيرًا موضوعيّا للمحتويات الأخذيّة، أو من المحتويات الحسيّة، لو كانت المواضيع المُنْشَأَةُ مواضيع حسيّة. وفي كلّ ذلك فنحن لا نُسْقِطُ من نظرنا أنّ هذه المحتويات الأخذيّة إنّما هي أيضا لَموضوعات زمنيّة، وأنّها تظهر خِلْفَةً في صورة متّصل من الانطباعات الأصليّة والمساك، وأنّ هذه الخُفُوتَاتِ الزّمنيّة لِلْمُعْطَيَاتِ الحسّيّة لَذَاتُ دخول حقيقيّ في إِنْشَائِهَا لِلْخَصَائِصِ الزّمنيّة للموضوعات المُنْشِئَةِ لها. سِوَى أنّه إذا نُظِرَ إليها من حيث دخولها فقط دُخُولَ الدّلِيلِ على كَيْفِيَّاتِ الموضوعات في مَحْضِ كُنْهِهَا، لم يكن لِزَمنيّة المحتويات أثر إطلاقا في هذا الدّخول. إذ أنّ المعطيات الأخذيّة مع تجريد النّظر فيها عن الزّمنيّة إنّما هي المُنْشِئَةُ للموضوع في طبيعته المخصوصة، وحيثما انحفظت هذه الطّبيعة، وُجِدَتْ وحدة الحقيقة. ولكنّنا فيما مضى، لمّا قد تكلّمنا في انْحِفَاظِ العلاقة الموضوعيّة، فلم يكن المقصود بذلك بأنّ الموضوع قد انحفظ في طبيعته المخصوصة فقط، بل قد كان المقصود أيضا أنّ الموضوع قد انحفظ في

فَرْدِيَّتِهِ، أي قد تعيّن في الزّمن، وأنّه يهوي في الزّمن حافظا لِتَعَيُّنِهِ الزّمنيّ. وهذا الهُوِيّ في الزّمن إنّما هو تغيير فينومينولوجيّ في الوعي مخصوص، شأنه أن يُنْشِئَ بُعْدًا متّصل الزّيادة بالإضافة للآن الفعلي المتجدّد أبدا، والمُفْضِيَةِ إليه ضرورة سلسلة التّغييرات المتّصلة.

الباب الواحد والثّلاثون: في الانطباع الأصليّ وفي الآن الفرديّ الموضوعيّ

قد يظهر أنّ في كلامنا هاهنا تناقضا: إذ قد جمعنا فيه بين القول بأنّ الموضوع في هُوِيِّهِ الزّمني إنّما يتغيّر وَضْعُهُ الزّمني أبدا، وبين القول بأنّ الموضوع في هويّه إنّما يبقى حافظا لِعَيْنِ وضعه الزّمنيّ ضرورة. والحقّ أنّ موضوع أوّل التّذكّر الّذي يتقهقر أبدا، لا يتغيّر وضعه الزّمنيّ إطلاقا. وليس يتغيّر منه إلاّ بُعْدُهُ عن الآن الفعليّ، وذلك لأنّ الآن الفعليّ هو آن موضوعيّ متجدّد أبدا، أمّا الزّمن الماضي فَبَاقٍ هو هو. ولسائل أن يسأل: كيف جاز الجمع، ليت شعري، بين القطع بأنّ الوعي الزّمنيّ إنّما هو ظاهرة متّصلة التّغيّر، والحكم بأنّه هناك وعي بزمن موضوعيّ، ولا سيّما وعي بوَضْعٍ زمنيّ واحد هو هو. إذ لولا هذا الوعي بالوضع الزّمنيّ الواحد والموضوعيّ، لَتَعَذَّرَ إطلاقا أن يكون هناك نشأة لِمَوْضُوعِيَّةِ الموضوعات، أو لِفِعْلٍ زمنيّ فرديّ: إذ كلّ فعل مُصَيِّرٍ لِلشَّيْءِ موضوعيّا، فحصوله إنّما يكون في الوعي الزّمنيّ. لِذَلِكَ فَمَا لم يَبِنْ لنا كيف جاز أن يبقى الوضع الزّمنيّ هوهو، تَعَذَّرَ علينا بَتَاتًا أن نعرف كيف يبقى الموضوع الواحد في الزّمن هو هو.

وإن أَمْعَنَّا النّظر أكثر في المسألة بَانَ هذا: إنّ الأطوار الحاضرة في الإدراك إنّما يَعْتُورُهَا أبدا التّغيير، ولا تبقى كما هي: بل هي تسيل. وهو بذلك إنّما يَنْتَشِئُ ما لنا أن نُسَمِّيَهُ بالهُوِيِّ في الزّمن. فمثلا الصّوت يرنّ الآن، وعمّا قليل هذا الصّوت الواحد سَيَغِيبُ في الماضي. وكذا حال كلّ طور طور من

الصّوت، وحال الصّوت بِأَسْرِهِ. ولاَ جَرَمَ أنّ معنى هذا الهويّ الصّوتيّ في الزّمن هو معقول لنا ممّا أسلفنا من بيان. ولكن الحيرة هي : وكيف جاز الجمع بين القطع بهويّ الصّوت في الزّمن، وحُكْمِنَا بأنّ لِلصَّوت وضعا زمنيّا ثَابِتًا، وأنّ الآنات والمُدَدَ الزّمنيّة شَأْنُنَا أن نَنَالَهَا بِعَيْنِهَا في أفعال مُتَكَرِّرَةٍ، كما قد يُرِينَاهُ كلّ فحص فحص عن الوعي المُبْدِعِ ثاني الإبداع ؟ إذ لا نزاع في أنّ كلّ صوت صوت، وكلّ آن في كلّ صوت منتشر في الزّمن، فذو وضع زمنيّ ثابت في الزّمن الموضوعيّ، أو في الزّمن الباطنيّ. فالزّمن صُلْبٌ، ولكن هو أيضا زمن سيّال. فالحيرة إذًا أن نرى أنّه في عين السّيّال الزّمنيّ، وفي الهُوِيِّ المتّصل في الماضي إنّما يَنْتَشِئُ زمن لا يسيل ألبتّة، وثابت إطلاقا، وباق هوهو، وموضوعيّ.

ولِنُمْعِنْ أوّلا النّظر فِي مَا معنى أنّ الصّوت الواحد هو يَغِيضُ. وكيف جاز لنا القول بأنّه هو عين الصّوت الواحد الّذي يغيض؟ لقد عَلِمْتَ بأنّ الصّوت إنّما يَنْتَشِئُ في السّيّال الزّمنيّ بطريق أطوراه. ولقد علمت أيضا بأنّ كلّ طور في الصّوت، أوكلّ آن فعليّ وإن هو يجري عليه حكم التّغيّر المتّصل ضرورة، ففي ظهوره الموضوعيّ إنّما يظهر على أنّه لَشَيْءٌ واحد، أي عين الحدّ الصّوتيّ، وذلك لأنّه يوجد هاهنا اتّصاليّة أخذيّة مُلْتَبِسَةٌ بِوِحْدَةِ معنى الهو هو، ويكون حصولها في فعل متّصل من المُطَابَقَةِ. وفعل المطابقة إنّما يتعلّق بالمادّة المجرّدة عن الزّمن، الّتي إنّما تَثْبُتُ في السيّال الزّمنيّ ثَبَاتَ المعنى الموضوعيّ الواحد. وكذا الحال في كلّ طور طور آني. ولكن كلّ آن متجدّد ففي وصفه الفينومينولوجيّ إنّما هو آن جديد. فمهما بقي الصّوت بلا تغيّر البتّة، ومهما امْتَنَعَ علينا أن نرى فيه ولو مقدارا ضَئِيلاً جدّا من التّغيّر، ومهما انْطَوَى كلّ آن جديد على محتوى أخذيّ مُمَاثِلاً تمام المماثلة في كيفه، وكثافته، وهلمّ جرّا، لِكُلِّ آن آخر، وتعلّق به فعل أخذيّ مماثل على التّمام، فَبَيْنَ كُلِّ آن، وآن آخر هناك كذلك تفرقة أصليّة ضروريّة أخرى، وهذه التّفرقة هي تفرقة متّصلة. ومدلول ذلك الفينومينولوجيّ هو : ليس إلاّ الآن الحاضر الحَقِيقَ بأن يُوصَفَ

بالآن الفعليّ، لِكَوْنِهِ آنا جديدا، أمّا الآن المتقدّم فقد اعْتَرَاهُ التّغيير، والمتقدّم على الآن المتقدّم، فقد اعتراه تغيير أشدّ، وهلمّ جرّا. إذًا، فهذا المتّصل من التّغيير الّذي يَسْرِي على المحتويات الأخذيّة، وعلى أفعال الإخاذ المتعلّقة بها، إنّما هو الّذي يُحْدِثُ الوعي بالانتشار الصّوتيّ، ويحدث الغَوْصَ المتّصل في الماضي لِمَا كان قد تقدّم انتشاره.

وإذ تقرّر ذلك، فكيف جاز إذًا أن يكون هناك مع التّغيّر المتّصل في الوعي الزّمنيّ، وعي بالزّمن الموضوعيّ، وخاصّة وعي بوضع زمنيّ هو هو، وبانتشار زمنيّ هو هو؟ وهَاؤُمُ الجواب: إن هذا قد جاز فَلِمَكَانِ أنّه مع سيّال الدَّفْعِ الزّمنيّ، أي سيّال التّغييرات الوَعْيِيَّةِ، فالموضوع الظّاهر في صورة المدفوع به، إنّما يُبْقِيهِ فِعْلٌ تَبَيُّنِيٌّ في الآن الحاضر، على أنّه أمر مُثْبَتٌ وهو هو إطلاقا، أي فعل يضعه على أنّه هذا المُشَارُ إليه. فالتّغيّر المتّصل الأخذيّ في السّيّال المتّصل لا يَنَالُ إذًا حقيقة الأخذ ومعناه، ولا يُشِيرُ ألبتّة إلى موضوع جديد، أو طور جديد في الموضوع، ولا يُعْطِي آنات جديدة، بل إنّما يعطي أبدا عين الموضوع الواحد، وعين آنات هذا الموضوع. وكلّ حاضر حاضر فعليّ إنّما يُحْدِثُ آنا جديدا لأنّه إنّما هو يُحْدِثُ موضوعا جديدا، أو حدّا جديدا في الموضوع، شأنه أن يَبْقَى في سيّال التّغيّير على أنّه عين الحدّ الموضوعيّ الفرديّ. أمّا الاتّصاليّة المُنْتَشِئُ فيها الآن المتجدّد أبدا فقد نَتَبَيَّنُ منها أنّ التَّجَدُّدَ هاهنا ليس بِتَجَدُّدٍ عامّ، بل إنّه حدّ متّصل من التَّفَرُّدِ فيه إنّما يكون أصل كلّ وضع وضع زمنيّ. وهذا الأمر أمر مُقَوِّمٌ لِحَقِيقَةِ كلّ سيّال تغييري، أن يكون الوضع الزّمنيّ حينئذ وضعا واحدا هو هو، وبالاضطرار أن يكون كذلك. فالآن الفعليّ هو الوضع الزّمني مُعْطًى في الحاضر، وإذا مَا هَوَتْ الظّاهرة في الماضي اتّصف الآن بوصف الآن الماضي، ولكن هو يبقى عين الآن الواحد، مع هذا الفرق الصّغير، وهو أنّه إنّما يقوم في صورة الماضي بِالقِيَاسِ إلى الآن المُتَجَدِّدِ الفعليّة والمتجدّد الزّمنيّة.

إذًا فَقِوَامُ كلّ موضوعيّة زمنيّة هما هذان الشّيئان: المحتوى الإحساسيّ الّذي يدخل في طبيعة الآنات الحاضرة المختلفة، قد يبقى هو هو على التّمام في كيفه، ولكن مع ذلك لا يكونْ موصوفا بالّذي هو هو وصفا حقيقيّا. إذ بين كلّ حسّ الآن، وكلّ حسّ آخر يكون عين الحسّ الأوّل في آن آخر، هناك فرق حقيقيّ، أي فرق فينومينولوجيّ متعلّق بالوضع الزّمني المطلق لكلّ حسّ حسّ. وهذا الفرق الفينومينولوجيّ هو اليَنْبُوعُ الأصليّ لِتَشَخُّصِ كُلِّ مُشَارٍ إليه مشار إليه، وَلِكُلِّ وَضْعٍ وضع زمنيّ مطلق. وكلّ طور في التّغيير، وإن هو قد اعْتَوَرَهُ التّغيّر، فيدخل في قِوَامِهِ محتوى كيفيّ واحد هو هو، وآن زمنيّ واحد هو هو، وهذا الدّخول لهذا الضّرب من المُقَوِّمِ في كلّ طور، هو مِمَّا يجعل أخذ الشّيء على أنّه هو هو فعلا ممكنا في الأطوار المُتَأَخِّرَةِ. هذا فيما يتعلّق بالإحساس الّذي هو مَبْدَأُ الأَخْذِ. أمّا الأجزاء المختلفة فذات وجوه مختلفة في الأخذ أي في تصيير الشّيء موضوعيّا على التّخصيص. فَوَجْهٌ في فعل تَصْيِيرِ الشّيء موضوعيّا يكون أصله الوحيد إنّما المحتوى الكيفيّ المادّي الحسّيّ: وهذا المحتوى هو الّذي يُعْطِي الفعل مادّة الزّمن، كالصّوت. ووجه ثاني في فعل تصيير الشّيء موضوعيّا، يكون أصله أفعال الأخذ لِلأَدِلَّةِ المتعلّقة بالأوضاع الزّمنيّة. وهذا الأخذ إنّما يبقى أيضا هوهو أبدا في السّيّال التّغييري.

وَتَلْخِيصُ الكلام: إنّ الحدّ الصّوتيّ الفرديّ تَفَرُّدًا مطلقا، إنّما يبقى ثابتا في مادّته ووضعه الزّمنيّ، وليس إلاّ الوضع الزّمني ممّا يخلع على الحدّ معنى التّفرّد. ويُزَادُ إلى ذلك، الأَخْذُ المُقَوِّمُ لِحَقِيقَةِ التّغيير، والّذي شأنه أن يُظْهِرَ التَّقَهْقُرَ المتّصل في الماضي لِلْمَوْضُوعِيَّةِ المُنْتَشِرَةِ، ولِزَمَنِهَا الباطنيّ، مع إبقائه عليها هي هي في حقيقتها. فالصّوت الذّي سمعناه صَادِرًا من العود، ها هو الآن هو هو كما كنّا قد سمعناه. وإذا ما اعتبرنا المادّة الحسّيّة وحدها مُجَرَّدَةً عن الأخذ المُصَيِّرِ لِلشَّيْءِ موضوعيّا، فسنرى أنّ مادّة الصّوت هي أبدا عين الصّوت دو، وكيفها الصّوتيّ عين الكيف، مع جواز أن تكون كثافة المادّة كثافة ذَاهِبَةٍ في الضّعف، وهلمّ جرّا. إنّه هذا لمحتوى، أي المحتوى الحسّي بِمُجَرَّدِهِ

بما هو مادّة التَّبَيُّنِ المُصَيِّرِ موضوعيّا: وكلّ آن آن فَذُو محتوى حسّيّ يَخْتَصُّ به، وكلّ آن آن آخر، فذو محتوى حسّي يختلف عن الآخر اختلافا شخصيّا، وإن كان في مادّتة هو مثل الآخر على التَّمَامِ. فقد يكون الـ دّو الآن، والـ دّو عمّا قريب هما مِثْلاَنِ على التّمام، في طبيعتهما الحسّيّة، ولكن الأوّل في شخصه هو غير الثّاني في شخصه إطلاقا.

والمقصود بعبارة في «شخصه» هاهنا إنّما هو الصّورة الزّمنيّة الأصليّة للحسّ، أو، كما قد يجوز القول، الصّورة الزّمنيّة لِلْحِسِّ الأصليّ. بل إنّ هذه العبارة إنّما تدلّ أبدا في مثل هذا الموضع على الإحساس بالآن الحاضر، وليس على شيء آخر ألبتّة. أمّا لو رُمْنَا دَقِيقَ المعنى، فالأصحّ أن نقول بأنّ الآن الحاضر نفسه إنّما تابع في صِحَّتِهِ لِصِحَّةِ الإحساس الأصليّ، ولِذَلِكَ فإنّا لم نَصُغْ العبارة كما صُغْنَاهَا أوّلا إلاّ لِأَجْلِ تَقْرِيبِ المعنى المقصود لِلأَذْهَانِ. والانطباع هو غير الصّورة الحسّيّة من حيث أنّ الأوّل هو أصليّ، والثّانية ليست بأصليّة. ومع ذلك فَفِي عين الانطباع، هناك الانطباع الأصليّ، وهناك ما يعارضه، أي متّصل التّغييرات التّذكّريّة أَوَّلَ التّذكّر. إذًا فالانطباع الأصليّ إنّما هو الموصوف بكونه اللاّمتغيّر إطلاقا، وبكونه اليَنْبُوعَ الأصليّ لِكُلِّ وعي وعي مُتَأَخِّرٍ، ولكلّ وجود وجود متأخّر. والانطباع الأصليّ إنّما محتواه عين ما تَدُلُّ عليه عبارة الآن، بِقَيْدِ أن تُفْهَمَ هذه العبارة في معناها الدّقيق. فكلّ آن آن جديد فهو محتوى لاِنْطباع أصليّ جديد. إذًا فأبدا هو يَشِعُّ نُورُ انطباع متجدّد دائما، يكون ذا مادّة متجدّدة أبدا، وإمّا مماثلة على التّمام، أو متغيّرة حقّ التّغيّر. فكلّ انطباع أصليّ إنّما يمتاز عن كلّ انطباع أصليّ آخر بالمعنى المُشَخِّصِ للانطباع الأصليّ لِلْوَضْعِ الزّمنيّ، وهذا المعنى إنّما يختلف غاية الاختلاف عن كيف المحتوى الحسّيّ وعن سائر معانيه المادّيّة كلّها. وليس من شَكٍّ أنّ المعنى المتعلّق بالوضع الزّمنيّ الأصليّ لا حقيقة له إذا كان مُجَرَّدًا، وأن لا حقيقة ألبتّة لِلتَّشَخُّصِ إلاّ إذا كان مُلْتَبِسًا بما هو موضوع التَّشَخُّصِ. ومع ذلك، فقد بان أنّ الآن النُّقَطِيِّ إجمالا، والانطباع الأصليّ إجمالا، هو يَعْتُورُهُ التّغيّر المُصَيِّرُ إيّاه ماضيا، وهو

حينئذ فقط يكون اسْتِيفَاءُ المعنى الآنيّ، بِشَرْطِ أن يُنْظَرَ إليه على أنّه ذو إضافة، وهو يَرُدُّ إلى الماضي، كما الماضي يردّ إلى الآن. وفعل التّغيير المذكور إنّما يَنَالُ أيضا وأوّلا الإحساس، ولكن هو لا يُبْطِلُ منه صِفَةَ الانطباعيّة العامّة. إنّه يغيّر المحتوى المجمل للانطباع الأصليّ، أي المادّة الانطباعيّة ووضعها الزّمني، ولكنّ هو يناله بالتّغيير، كما كان قد يناله فعل التّخيّل مثلا، سواء بسواء، أي بأن يناله بالتّغيير بِحَذَافِيرِهِ، ولكن من غير أن يُغَيِّرَ فيه حقيقته القصديّة، أي المحتوى المُجْمَلَ.

إذًا فالمادّة هي عين المادّة، والوضع الزّمنيّ هو عين الوضع الزّمنيّ، والمختلف فقط هو شكل الانْعِطَاءِ: أي شكل الانعطاء في الماضي. وحينئذ فهذه المادّة الإحساسيّة تكون مبدأ انْتِشَاءِ الفعل الأخذيّ المصيّر للشيّء موضوعيّا. وإن لو لم ننظر نحن إلاّ إلى المحتويات الإحساسيّة، وأسقطنا من النّظر أفعال التّبَيُّنِ المُفَرِّقَةِ[1]، المُنْتَشِئَةِ بالمحتويات، فسنأتي فعلا تَبَيُّنِيًّا، وسَيَتَجَلَّى بأعيننا السّيّال الزّمنيّ أو المدّة الزّمنيّة في صورة الأمر الموضوعيّ. ولكن الموضوعيّة إنّما تقتضي الوعي بالوحدة، والوعي بالهُوَهُوِيَّةِ. وأخذنا هاهنا لِمُحتوى كلّ إحساس إحساس أصليّ هو أخذ له على أنّه عين المحتوى الإحساسيّ الواحد الّذي شأنه أن يعطينا فرديّة نُقَطِيَّةً صوتيّة تكون هي هي في سيّال التّغيير إلى الماضي. والأخذ المتعلّق بهذه النّقطة الفرديّة إنّما يبقى في فعل التّغيير إلى الماضي على جهة المطابقة الدّائمة، فيَبِينُ على جهة اللّزوم أنّ هُوَهُوِيَّةَ النّقطة الفرديّة إنّما هي هوهويّة الوضع الزّمنيّ. والتّسلسل المتّصل للانطباعات الأصليّة المتجدّدة أبدا هي الّتي تُعْطِينَا في أفعال الأخذ لَهَا على أنّها نقاط فرديّة، أوضاعا زمنيّة مُتَجَدِّدَةً أبدا وذات اختلاف، والمتّصل هو الّذي يعطينا متّصلا من الأوضاع الزّمنيّة؛ فيلزم من ذلك أنّه في سيّال التّغيير إلى الماضي، إنّما يقوم الجزء الزّمنيّ المتّصل المَمْلُوُّ صوتا، ولكن قيامه يكون

(1) Aperceptions transcendantes أي الجاعلة للأمر مُفَارِقًا.

ضرورة على هذه الصّورة، وهي أن تكون نقطة واحدة منه هي المُعْطَاةُ إعطاء انطباعيّا أصليّا، وبَعْدَهَا فإنّ كلّ الأوضاع الزّمنيّة إنّما تظهر ظهورا متّصلا في خُفُوتٍ تَغْييرِيّ مُتَقَهْقِرٍ في الماضي.

كلّ زمن يُدْرَكُ فهو يُدْرَكُ على أنّه ماض حَدُّهُ الحاضر. والحاضر هو الحدّ النِّهَايَةُ. وهذا الحكم يَسْرِي ضرورة على كلّ أخذ أخذ بَلَغَ ما بلغ من المُفَارَقَةِ. فمثلا لو شاهدنا طيران عصفور، أو حركة عَدْوٍ لِكَتِيبَةٍ من الفرسان، وهلمّ جرّا، فسنجد في المَبْدَإِ الحسّيّ لِهَذِهِ الأفعال كلّ الفروق المذكورة، أي إحساسات أصليّة متجدّدة أبدا مُلْتَبِسَةً بالوصف الزّمني الخَالِعِ عليه تَفَرُّدَهَا، وسنجد عين هذه الضّروب في فعل الأخذ أيضا. وهو بذلك إنّما قد أمكن أن يكون هناك ظهور لِعَيْنِ الموضوعيّة، أولِطَيَرَانِ العصفور، على أنّه معطى أصليّ موجود في آن نُقَطِيٍّ، ويُتَمِّمُهُ مُتَّصِلٌ من الماضي حدّه الحاضر، وهو حاضر متجدّد أبدا، أمّا ما يتقدّم أبدا فهو يُدْفَعُ به دائما إلى متّصل من الماضي أشدّ نَأْيًا. فمعاني الفعل الظّاهر الزّمنيّة إنّما تكون أبدا معاني هي هي، ومطلقة. وهو إذا ما تَقَهْقَرَ منه جزء تقهقرا أشدّ في الماضي، فليس يُبْطِلُ منه ألبتّة لا عين أوضاعه الزّمنيّة المطلقة، ولا انتشاره الزّمنيّ المخصوص. على معنى أنّ الفعل الواحد المنتشر في كلّ مدّته الزّمنيّة، إنّما يظهر أبدا، وفي كلّ ظهور كان له، على أنّه عين الفعل الواحد، إلاّ أنّ صورة انْعِطَائِهِ فقط ما قد يختلف. وفي عين الوقت، فهو يكون أبدا هناك خروج لِمَوْجُودٍ أصليّ متجدّد أبدا من الينبوع الحيّ لكلّ وجود، أي من الآن، فيجعل البُعْدَ بين آنات الفعل، والآن الفعليّ في زيادة مُطَّرِدَةٍ؛ وهو بذلك إنّما تكون نشأة ظهور الهُوِيّ والنَّأْيِ.

الباب الثّاني والثّلاثون: في دخول ثاني الإبداع في إنشائه لِزَمَنٍ واحد وموضوعيّ

ولكن ليس انْحِفَاظُ فَرْدِيَّةِ الآنات الهاوية في الماضي بالأمر المُجْزِي لِحُصُولِ

وعي زمنيّ واحد، وبَسِيطِ الطّبيعة، وموضوعيّ. بل إنّ التّذكّر المُبْدِعَ ثاني الإبداع، سواء كان حدسيّا، أو قصديّا خَاوِيًا، لَيَدْخُلُ دخولا ضروريّا في نشأة الوعي الزّمنيّ المذكور. إذ أنّه لِلتَّذَكُّرِ المُبْدِعِ ثاني الإبداع أن يَتَّخِذَ، على جهة التَّكْرَارِ، أيّ آن مَدْفُوعٍ في الماضي، على أنّه المبدأ لِحَدْسٍ زمنيّ ما. فيلزم أنّ الفصل الزّمنيّ المتقدّم الذّي كان فيه الآن المُبْدَعُ ثاني الإبداع الآن، حاضرا، هو مُبْدَعُ ثاني الإبداع أيضا، وأنّ الآن المُبْدَعَ ثاني الإبداع هو هو و الآن الموجود في الذّكرى القريبة، أي أنّ القصد الفرديّ هو قصد واحد هو هو.
واعلم أنّ الفصل الزّمني المُبْدَعَ ثاني الإبداع إنّما هو أرحب بكثير من الفصل الزّمنيّ الحاضر بالفعل. ولو أُخِذَ منه نقطة ما ماضية، فإنّ ثاني الإبداع بِوَصْلِهِ لَهَا إلى الفصل الزّمنيّ الّذي كانت موجودة فيه على جهة الحضور، لَسَوْفَ يُحْدِثُ تقهقرا في الماضي أشدّ نَأْيًا، وهلمّ جرّا. وهذا الفعل، بلا ريب، هو ممكن الإِتْيَانِ به إتيانا لامتناهيا، وإنّ كان سَيَتَعَذَّرُ علينا في مرتبة ما أن تكون لنا ذكرى ما فعليّة. وبَيِّنٌ أنّ كلّ آن آن، فَلَهُ ما قبل وما بعد، وأنّ الآنات، والفصول الزّمنيّة، الموجودة قبلها لا يمكن أن تجتمع اجتماع النّهاية الرّياضيّة، أو اجتماع الكثافة. إذ لو كانت لَهَا نهاية، لكانت النّهاية هي آن لم يتقدّمه أيّ شيء، وهو ما كان قد بانت إحالته. بل كلّ آن آن فبالضّرورة هو حدّ في انتشاريّة زمنيّة. وبَيِّنٌ أنّ هذه الانتشاريّة بأسرها إنّما تَهْوِي في الماضي، وهي في هُوِيَّهَا إنّما تَحْفَظُ مقدراها، وفرديّتها معا. والحقّ أقول أنّ التّخيّل، والفعل المبدِعَ ثاني الإبداع ليس تحصيلهما لانتشاريّة الحدس الزّمنيّ كتحصيل الوعي بِالاقْتِرَانِ الزّمنيّ الّذي شأنه أن يزيد امتداد الخُفُوتَاتِ الزّمنيّة المعطاة بالفعل. ولِسَائِلٍ أن يسأل بعد ذلك: ولكن كيف يكون حصولنا على زمن واحد وموضوعيّ، وذي انتظام واحد وثابت، بهذا الرَّصْفِ المتعاقب للفصول الزّمنيّة؟ والجواب: إنّه بالوصل المتّصل للفصول الزّمنيّة الذّي ليس معناه في الحقيقة أنّه محض رصف زمنيّ للفصول الزّمنيّة. بل إنّ الأجزاء الموصولة، إنّما تُعْرَفُ على أنّها هي هي في شخصها، في تقهقرها في الماضي تقهقرا متّصل الحدسيّة. أمّا السّؤال الآخر:

فهو كيف أنّه حينما نبدأ من كلّ آن آن يكون مَعِيشًا بالفعل، أي معطى إعطاء أصليّا في الفصل الزّمنيّ الإدراكي، أو من كلّ آن آن مُبْدِع ثاني الإبداع لِمَاضٍ ما بعيد، ثمّ نذهب في التّقهقر إلى الماضي، شَاقِّينَ لِسِلْسِلَةٍ ثابتة من الأمور الموضوعيّة الموصولة بعضها إلى بعض، فهو يَنْشَأُ عن ذلك انْتِظَامٌ خَطِّيٌّ، لا يمكن لأيّ فصل زمنيّ، ولو كان مُبْدَعًا ثاني الإبداع مُنْفَصِلاً عن الفصل الزّمنيّ الفعليّ، إلاّ أن يكون جزء من سلسلة واحدة تَمْتَدُّ إلى الآن الفعليّ؟ بل إنّ الزّمن المتخَيَّلَ تخيّلا جِزَافًا، أو، أيّا كان أمره، فهو يسري عليه هذا الحكم اضطرارا: إذ متى طُلِبَ أن يُنْظَرَ إليه على أنّه زمن حقيقيّ، أي زمن موضوع زمنيّ ما، فلابدّ أن يكون مُنْسَلِكًا انْسِلاَكَ الفصل الزّمني، في الزّمن الموضوعيّ والواحد.

الباب الثّالث والثّلاثون: في بعض الأحكام المَاقَبْلِيَّةِ في الزّمن

فهذا الحكم الماقبليّ إنّما ينبني انبناء ظاهرا على حقائق بَيِّنَةٍ أُولَى ذات تعلّق بالزّمن، بالواجب أن يكون إدراكنا لها بلا توسّط، وتصير بيّنة عندنا بطريق الحدس لِمُعْطَى الأوضاع الزّمنيّة.

ولو بدأنا أوّلا بالمُقَايَسَةِ بين إحساسين أصليين، أو، بين مُعْطَيَيْنِ أصليين ظاهرين مَعًا ظهورا حقّا في الوعي في صورة المعطيات الأصليّة، أي في صورة الآن، لاخْتَلَفَا في المادّة، واتَّفَقَا في كَوْنِهِمَا مَعًا في الزّمن، وكَوْنِهِمَا ذا وضع زمنيّ واحد، وكونِهما مَعًا الآن. فَلَزِمَ بالاضطرار أنّ مَعْنَيَيْهِمَا الزّمنيّ معنى واحد. فالإحساسان ذوا صورة مُشَخِّصَةٍ واحدة، ونشأة كلّ منهما إنّما في انطباعات ذات مَرْتَبَةٍ واحدة. وإذا ما نَالَهُمَا التّغيّر إلى الماضي، فهما يحفظان ضرورة هذه الهوهويّة في الوضع الزّمنيّ. أمّا إن كان المعطى أصليّا، والمعطى الثّاني متغيّرا، وإن اتّفق بالتّمام أو اختلف محتواه مع محتوى المعطى الأصليّ، كان الاثنان ضرورة ذا وضعيين زمنيين مختلفين؛ وأمّا إن كان المعطيان الاثنان متغيّرين، فمن الجائز أن يكونا ذوي وضع زمنيّ واحد، أو ذوي وضع زمنيّ

مختلف. فوضعهما الزّمنيّ واحد متى كان انْبِجَاسُهُمَا من عَيْنِ آنِيَّةٍ واحدة[1]، ووضعهما الزّمنيّ مختلف متى كان انبجاسهما من عين آنيّة مختلفة. إذًا فالآن الفعليّ هو آن واحد، ويُنْشِئُ وضعا زمنيّا واحدا، وإن كَثُرَتْ عَدَدًا الموضوعات المُنْتَشِئَةُ فيه انتشاء منفصلا: إذ كلّها جميعا إنّما تكون ذات حاضر زمنيّ واحد، و لا يبطل اقْتِرَانُهَا الزّمني هذا ألبتّة إذا سالت مع السّيّال. ومن اليَسِيرِ جِدًّا أن نَتَبَيَّنَ هاهنا أن الأوضاع الزّمنيّة إنّما يفصل بينها مقادير ما، وأنّه يسري عليها هذه الأحكام الظّاهرة، كحكم التَّعَدِّي[2]، أو الحكم بأنّه إذا كانت أ متقدّمة عن ب، فـ ب متأخّرة ضرورة عن أ، وهلمّ جرّا. فبالضّرورة إذًا أنّ كلّ زمن زمن، فهو مُتَّصِلٌ من الأوضاع الزّمنيّة ذات موضوعات إمّا مختلفة أو متماثلة تملأها، وأنّ وحدة طبيعة الزّمن المطلقة إنّما تَنْتَشِئُ انتشاء غير محسوس في سيّال التّغيير إلى الماضي، وفي الانْبِجَاسِ المتّصل للآن، أي الآن المُبْدِعِ، وهو النّقطة الينبوع للأوضاع الزّمنيّة إجمالا.

وبالاضطرار أيضا في هذا الأمر أن يكون الإحساس، والأخذ، والوضع كلّها أجزاء لِسَيَّالٍ زمنيّ واحد، وأن يكون الزّمن المطلق الصّائر موضوعيّا هو هو والزّمن المتعلّق بالإحساس والأخذ. إذ أنّ الزّمن المتقدّم كونه عن كونه موضوعيّا المتعلّق بالإحساس إنّما يُؤَسِّسُ تأسيسا ضروريّا الإمكان الوحيد لِصَيْرُورَةِ الأوضاع الزّمنيّة موضوعيّة، وهذه الصّيرورة إنّما تلزم عن تغيير الإحساس وعن مرتبة هذا التّغيير. لذلك كان الآن المُصَيَّرُ موضوعيّا الّذي يأخذ فيه الجرس في الرّنين، إنّما يتعلّق به آن الإحساس لِأَوَّلِ ذلك الرّنين. فزمن الإحساس هو عين زمن أوّل طور في الرّنين، أي أنّ عين الإحساس إذا ما انقلب إلى موضوع بالآخَرَةِ، فهو حَافِظٌ اضطرارا لِعَيْنِ وضعه الزّمنيّ المُقْتَرِنِ زمنيّا بالوضع الزّمني لِصوت الجرس. وأيضا فإنّ زمن الإدراك هو عين زمن

---

(1) Leur source dans le même maintenant.

(2) Loi de transitivité.

الأمر المُدْرَكِ. والفعل الإدراكيّ إنّما يهوي في الزّمن كهُوِيِّ الأمر المدْرَكِ في الظّهور، وأنّ كلّ طور طور إدراكيّ في الرَّوِيَّةِ فَبِالْوَاجِبِ أن يُخْلَعَ عليه عين الوضع الزّمنيّ المَخْلُوعِ على الأمر المدْرَكِ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ.

المقالة الثّالثة

في مَرَاتِبِ انْتِشَاءِ الزّمن وفي الموضوعات الزّمنيّة

الباب الرّابع والثّلاثون: في الفَصْلِ في مَرَاتِبِ الانْتِشَاءِ

وإذ قد فحصنا عن الوعي بالزّمن، بعد أن نظرنا في أَظْهَرِ صوره، وبعض جهاته الأولى، ومراتبه المختلفة، فقد وجب الآن أن ننظر آخر النّظر في مراتب الانتشاء المختلفة، كما قد يَبِينُ من صورتها الحقيقيّة.

فنجد:

أوّلا: الموضوعات التّجربيّة في الزّمن الموضوعيّ، حيث قد نتبيّن أيضا مراتب كثيرة في الوجود التّجربيّ ما صَرَفْنَا إليها النّظر إلى الغاية، أي الموضوع المتعلّق بتجربة الذّات المُنْفَرِدَةِ، والموضوع الواحد بين ذوات كثيرة، والموضوع الطّبيعيّ.

وثانيا: الكَثَرَاتِ الظُّهُورِيَّةِ المُنْشِئَةَ، ذات المرتبة الأخرى، أي الوحدات الباطنيّة في الزّمن المتقدّم عن التّجربة[1].

وثالثا: السّيال الوَعْيِيِّ المطلق المُنْشِئَ للزّمَنِ.

---

(1) Préempirique.

الباب الخامس والثّلاثون: في الفروق بين الوحدات المُنْشَأَةِ والسّيال المُنْشِئِ

وإنّه الآن لا بدّ من أن نزيد أوّلا فَضْلَ بَيَانٍ أمر هذا الوعي المطلق المقارن لكلّ انتشائيّة. وإن لو قِسْنَاهُ على جهة المُقَابَلَةِ إلى الوحدات المُنْشَأَةِ ذات المرتبة المغايرة جدّا لِمَرْتَبَتِهِ، فستبين حقيقته حقّ البيان:

فأوّلا: كلّ موضوع موضوع فرديّ، أي كلّ وحدة مُنْشَأَةٍ في السيّال، سواء كانت باطنيّة أو مفارقة، فذات مدّة زمنيّة ضرورة؛ على معنى أنّ وجوده في الزّمن وجود متّصل، وهذا الوجود المتّصل قد يُعَدُّ على أنّه فعل ما، يكون فيه الموضوع بنحو الأمر الواحد الّذي هو هو. وبالعكس: فكلّ ما يكون في الزّمن، فوجوده في الزّمن وجود متّصل، ويكون هو وحدة الفعل الّذي يأخذ معه في سيلانه، أخذا لازما وحدة الأمر ذي المدّة الزّمنيّة. فمثلا في الفعل الصّوتيّ إنّما يوجد وحدة الصّوت الّذي ينتشر في مدّة زمنيّة أثناء الفعل، وبالعكس، فالوحدة الصّوتيّة إنّما هي وحدة في المدّة المَمْلُوَّةِ، أي في الفعل. وعلى هذا فمتى وُصِفَ أمر من الأمور على أنّه في آن، فلم يَجُزْ وصفه إلاّ على أنّه طور في فعل ما، تكون أيضا المدّة الزّمنيّة لِمَوْجُودٍ فرديّ ما، حَدُّهَا فيه.

وثانيا، فأنت تعلم أنّ كلّ موجود موجود فرديّ أو متعيّن، فلا يخرج عن أن يكون إمّا لا مُتَغَيِّرًا أو متغيّرا؛ والفعل لا يخرج عن أن يكون إمّا فعلا لِتغيّر، أو لِسُكُونٍ. وعين الموضوع ذي المدّة الزّمنيّة لا يخرج عن أن يكون إمّا موضوع تغيّر أو سكون. و تعلم كذلك أن كلّ تغيّر فذو سرعة، أو تغيّر في سرعة التّغيّر، إذا قِيسَ إلى المدّة الواحدة. ومن المُضْطَرّ أن يكون انتشار كلّ طور طور تغيّريّ في سكون ما، وكلّ طور سكونيّ في تغيّر ما.

والآن إذا قِسْنَا هذه الوحدات المُنْشَأَةَ إلى الظّاهرات المُنْشِئَةِ، فَسَنَلْفَى سيّالا، كلّ طور طور فيه، هو عبارة عن متّصل من الخُفُوتَاتِ. ولكن هو من المحال

إطلاقا أن يكون انْتِشَارٌ لِطَوْرٍ واحد سيّاليّ، في فعل ما متّصل، أو أن يُنْظَرَ إليه بالذّهن على أنّه حقيقة ما هي هي مُنْتَشِرَةٌ في السيّال. بل ما قد نَتَبَيَّنُهُ اضطرارا إنّما هو سيّال تغيّريّ متّصل موصوفا بهذا الوصف العجيب بأنّه يسيل، لكن لا يصحّ أن يوصف سيلانه بكونه أسرع أو أبطأ. كذلك السّيال فليس بِمَوْضُوعٍ يَتَغَيَّرُ ألبتّة، ولَمَّا كان كلّ فعل إنّما يقتضي أن يكون فيه موضوع ما ينتقل، فالسيّال إذًا ليس هو أيضا بفعل. فلا شيء في السّيّال يتغيّر، ومن المحال أن يُقَالَ فيه أنّه أمر ما ذو مدّة زمنيّة. وكذا من الخلف أن نطلب فيه أمرا ما يلبث هو هو في مدّة ما زمنيّة.

الباب السّادس والثّلاثون: في أنّ السّيّال المُنْشِئَ هو ذاتية مطلقة

فقد بان إذًا بأنّ الظّاهرات الُمنْشِئَةَ للزّمن إنّما هي بالاضطرار غير الموضوعات المُنْشَأَةِ في الزّمن. إذ ليست هي بموضوعات أو أفعال فرديّة، ومن الخلف أن تُحْمَلَ عليها أوصافها. ولذلك فقد قد امْتَنَعَ إطلاقا أن يُقَالَ فيها إنّها موجودة في الآن، أو قد كانت من ذي قبل، أو أنّها إذا قِيسَ بعضها إلى بعض، كانت متعاقبة أو مقترنة في الزّمن، وهلمّ جرّا. ولكن من الجائز والواجب أن نقول: إنّه هناك اتّصاليّة ما ظُهُورِيَّةٌ، وهي المتعلّقة بطور سيّاليّ ما مُنْشِئٍ للزّمن، نِسْبَتُهَا إنّما إلى الآن، أي الآن المُنْشِئَةِ إيّاه، أو نسبتها إلى الماقبل، من حيث هي، و ليس يجوز أن نقول من حيث كانت، مُنْشِئَةٌ لِلْمَاقَبْلِ. ولِسَائِلٍ أن يسأل: والسيّال أفلا يوجد على جهة الخِلْفَةِ؟ أ وليس هو ذا آن، أي ذا طور فعلي، وذا اتّصاليّة من المَوَاضِي، يكون الوعي الفعليّ بها إنّما في أفعال المسك؟ بل ليس يَسَعُنَا هاهنا إلاّ هذا القول: إنّما هذا السيّال هو أمر نُسَمِّيهِ سيّال بالأمر المُنْشَئِ، ولكن هو ليس ألبتّة بالأمر الزّمنيّ الموضوعيّ. إنّما هو الذّاتيّة المطلقة، وأوصافه المطلقة هي أوصاف شيء ما ينبغي أن نَدُلَّ عليه على جهة الاسْتِعَارَةِ بالسيّال، أي إنّه شيء ما شأنه أن يَنْبَجِسَ في الآن، أي في نقطة ما فعليّة، أي في نقطة ما ينبوع

أصليّة، وهلمّ جرّا. ففي معيش الفعليّة هناك نقطة ينبوع أصليّة، واتّصاليّة من الآنات. والعبارة إنّما تبقى قاصرة عن وَسْمِ ذلك كلّه.

الباب السّابع والثّلاثون: في أنّ ظهورات الموضوعات المُفَارِقَةِ هي وحدات مُنْشَأَةٌ

واعلم أيضا أنّا إذا وصفنا الفعل الإدراكيّ على أنّه حدّ إدراكيّ مخصوص يعلق به سلسلة متّصلة من «المِسَاكِ»، فلسنا نصف بذلك ألبتّة وحدات زمنيّة باطنيّة، بل مَعَانِيًا في السيّال. على معنى أنّ الظّهور، كظهور هذا البيت مثلا، إنّما هو موجود زمنيّ ينتشر في الزّمن، ويتغيّر، وهلمّ جرّا، كالصّوت الباطنيّ الّذي هو ليس بِظُهُورٍ، سواء بسواء. ولكن الظّهور البَيْتِيِّ ليس هو بالوعي الإدراكي المُقْتَرِنِ به الوعي المسكيّ. بل هذا الوعي الإدراكيّ لا يجوز أن يوصف إلاّ على أنّه وعي مُنْشِئٌ للزّمن، أي على أنّه معنى في السيّال. كذلك، فلا بدّ أن نفرّق بين الظّهور التّذكّريّ، أي الأمر الباطنيّ المتَذَكَّرِ، الّذي قد يكون أوّل المحتوى الباطنيّ المتذكَّر، والوعي التّذكّريّ المقترن به المِسَاك التّذكّريّة. فوجب أن نتبيّن أبدا هذه الأشياء الثّلاثة: أوّلا الوعي، أي السيّال، وثانيا الظّهور، أي الموضوع الباطنيّ، وثالثا: الموضوع المفارق، متى لم يكن الموضوع الباطنيّ مُحْتَوًى أَوَّلِيًّا. إذ ليس كلّ وعي فذو نِسْبَةٍ إلى موضوع زمنيّ موضوعيّ، أي مفارق، وفرديّ، كما في الوعي الإدراكيّ الخارجيّ. ولكن هو يوجد في كلّ وعي محتوى ما باطنيّ، إذا ما كان هذا المحتوى هو الموصوف بالظّهور، فهو إمّا أن يكون ظهورا لِمَوْجُودٍ ما فرديّ، أي لِمَوْضُوعٍ زمنيّ خارجيّ، أو ظهورا لِمَوْضُوعٍ ما غير زمنيّ. فمثلا، هناك في فعل الحكم، الظّهور الحكميّ، الّذي هو وحدة زمنيّة باطنيّة، والّتي فيها إنّما يظهر الحكم بما هو معنى منطقيّ. أمّا الفعل الحكميّ فسِنْخُهُ أَبَدًا سنخ السيّال. لذلك فكلّ ما كنّا

قد وَسَمْنَاهُ في كتابنا **الأبحاث المنطقيّة** بـ «الفعل»[1]، أو «المعيش القصديّ»، فذلك هو السيّال الّذي فيه إنّما تَنْتَشِئُ الوحدة الزّمنيّة الباطنيّة، كوحدة الحكم، أو المُنَى، وهلمّ جرّا، ذوات الزّمن الباطنيّ والّتي يجوز وصفها بالسّرعة والبطىء. وهذه الوحدات المُنْشَأَةُ في السيّال المطلق كلّها توجد في الزّمن الباطنيّ الّذي هو واحد، وهو في هذا الزّمن الباطنيّ إنّما توجد معاني الاقتران في الزّمن، أو المساواة في الزّمن متى كان موضوعان باطنيّان وجودهما مُقْتَرِنًا في الزّمن، أو معنى الوجود على التّعاقب.

الباب الثّامن والثّلاثون: في وحدة السيّال الوَعْيِيّ، وفي نشأة مَعْنَيَيْ الاقْتِرَانِ الزّمنيّ، والتّعاقب

لقد كنّا قد أسلفنا النّظر في نشأة هذه الموضوعات الباطنيّة، ورأينا كيف هي تَتَزَيَّدُ من الإحساسات الأصليّة، والتّغييرات المتجدّدة أبدا. أمّا الآن فلنا أن نَتَبَيَّنَ بطريق الرَّوِيَّةِ بأنّه هناك لَسَيَّالٌ واحد شأنه أن يَنْحَلَّ إلى سيّالات كثيرة؛ ولكن هذه السيّالات الكثيرة هي لَذَاتُ وحدة توجب أن تُوصَفَ كُلُّهَا على أنّها لَسَيَّالٌ واحد. وكثرة هذه السيّالات إنّما لَزِمَتْ لِأَجْلِ كثرة السّلسلات الإحساسيّة الأصليّة الآخذة في الوجود، والفَانِيَةِ عنه. ومع ذلك فهو هناك صورة واصلة بينها كلّها، لا على جهة أنّ حكم تغيّر الآن إلى المُنْقَضِي، والمُنْتَفِي الآن إلى الآن، إنّما يجري عليها كلّها على انْفِرَادٍ، بل على جهة وجودٍ لِصُورَةٍ مشتركة آنيّة ثابتة، ومشابهة عامّة تامّة في الشّكل السّيلانيّ. إذ أنّ الإحساسات الأصليّة الكثيرة إنّما تُعْطَى مَرَّةً وَاحِدَةً، وحين يأخذ كلّ منها في سيلانه، سَالَتْ أيضا الكثرة، وذلك في صورة هي هي على التَّمَامِ، وفي خُفُوتَاتٍ هي هي على التّمام، وفي مقدار هو هو على التّمام: ولكن قد يكون

---

(1) Acte.

بَعْضٌ من هذه الإحساسات قد فَنِيَتْ عن الوجود، والبعض آخر مُتَرَقَّبًا لِلَّذِي منه لم يوجد بَعْدُ، ولِإِحْسَاسَاتِهِ الأصليّة الأخرى المُمِدَّةِ لِزَمَنِيَّةِ الموضوع الموجود فيها على أنّه موضوع وَعْيِيٌّ. ولِنَزِدْ ذلك بيانا، فنقول: إنّ الإحساسات الأصليّة الكثيرة إنّما تسيل، وهي كلّها إنّما تشتمل من أوّل وجودها، على عين الضّروب السّيلانيّة، مع فرق واحد وهو أنّ السّلسلات الإحساسيّة الأصليّة المُنْشِئَةِ للموضوعات الباطنيّة الموجودة في الزّمن، إنّما تتفاوت في المقدار بحسب تفاوت زمنيّة الموضوعات الباطنيّة. إذ أنّ الإمكانيّات الصّوريّة لا تسري عليها كلّها على نحو سَوَاءٍ. والزّمن الباطنيّ إنّما يَنْتَشِئُ على أنّه زمن واحد لِكُلٍّ الموضوعات والأفعال الباطنيّة. ولاَزِمُ ذلك أنّ الوعي الزّمنيّ المتعلّق بالأمور الباطنيّة فهو وحدة لِكُلٍّ. لذا كان معنى هذه الجملة، ومعنى الوجود معًا(1) للإحساسات الأصليّة الفعليّة، كُلِّيَّ الشُّمُولِ، ومعنى الآن القريب، والتقدّم لكلّ الإحساسات الأصليّة المتقدّمة من قريب، هو كلّيّ الشّمول أيضا، وكذا أمر الانقلاب المتّصل لكلّ جملة جملة من الإحساسات الأصليّة إلى آن قريب؛ وهذا الماضي القريب(2) إنّما هو اتّصاليّة، وكلّ حدّ فيه فهو صورة تَصَرُّمِيَّةٌ ذات طبيعة واحدة، وهي هي في كُلٍّ الجملة. وكلّ جملة الإحساسات الأصليّة جميعا، فيجري عليها هذا الحكم: إنّها جملة مُنْقَلِبَةٌ إلى متّصل واحد من ضروب الوعي، وضروب التَّصَرُّم، وفي عين وحدة هذا المتّصل، إنّما تَنْبَجِسُ جُمْلَةٌ أخرى من الإحساسات الأصليّة المتجدّدة أبدا، والّتي ما تَلْبَثُ أبدا أن تَصِيرَ إلى التَصَرُّمِ. إذ أنّ كلّ جملة كانت جملة من الإحساسات الأصليّة، فهو لا يبطل عنها هذه الصّفة إذا انقلبت إلى التّصرّم.

فمن الإحساسات الأصليّة ما تكون موجودة على جهة التّعاقب المتّصل، أي التصرّم المتّصل، ومنها ما توجد جملة، أي «معًا». أمّا الإحساسات الأصليّة

---

(1) A—lafois.

(2) Passé Immédiat.

الّتي توجد معًا، فهي الإحساسات الأصليّة الفعليّة، وأمّا في التّعاقب، فليس إلاّ إحساس واحد، أو مجموعة من جملة الإحساسات الأصليّة، ما يكون إحساسا أصليّا فعليّا، أمّا سَائِرُ الجملة فيكون قد تَصَرَّمَ. ولسائل أن يسأل: وما معنى هذا؟ وجوابنا: ألا انْظُرْ: إنّ كلّ إحساس أصليّ، أو مجموعة من الإحساسات الأصليّة المُوعَى بها في آن باطنيّ، كالآن الصّوتيّ، أو الآن اللَّوْنِيِّ عَيْنِ الآن، وهلمّ جرّا، إنّما تَنْقَلِبُ أبدا إلى ضروب من الوعي بالماضي القريب، الّذي فيه إنّما يكون الوعي بالموضوع الباطنيّ على أنّه أمر ماض، وفي عين هذا الانقلاب، إنّما يَنْبَعِثُ إحساس أصليّ متجدّد أبدا، وآن آخر متجدّد أبدا، وبذلك إنّما يكون هناك وعي بآن صوتيّ، أو بآن صوريّ، أوبغيرهما، دائم التّجدّد. وأيضا فإنّ كلّ مجموعة مجموعة من الإحساسات الأصليّة، فهي تمتاز عن أختها بالمحتوى الّذي لها، وليست تشترك إلاّ في الآن الواحد. إذا أنّ الوعي من حيث هو وعي بكلّ إحساس أصليّ، فهو واحد الصّورة لاَ مَحَالَةَ.

بيد أنّه مع كلّ وعي وعي بكلّ إحساس إحساس أصليّ، فَيُوجَدُ جملة من السّلسلات المتّصلة من ضروب التَّصَرُّمِ للإحساسات الأصليّة المتقدّمة، ومن سلسلات الوعي بالآن المتقدّمة. وهذه الجملة إنّما هي جملة من الضّروب الوَعْيِيَّةِ المُتَغَيِّرَةِ صورتها دَأَبًا، أمّا جملة الإحساسات الأصليّة فهي جملة ذات حقيقة هي هي إطلاقا. وإن لو جَرَّدْنَا بِالذِّهْنِ حَدًّا واحدا في اتّصاليّة ما لِضُرُوبِ التَّصَرُّمِ، فلَسَوْفَ نَتَبَيَّنُ أنّه يَنْطَوِي هو أيضا على جملة من ضروب التصرّم ذات صورة هي هي على التَّمَامِ، أو ذات ضرب تَصَرُّمِيٍّ هو هو إطلاقا. لذلك فقد وجب أن نَتَنَبَّهَ على الفرق الحقيقيّ بين ذَيْنِكَ المَعْنَيَيْنِ لِلْوُجُودِ في جُمْلَةٍ، أو معًا. فأحدهما إنّما يدخل دخولا ضروريّا في إِنْشَائِهِ لِمَعْنَى الاقْتِرَانِ الزّمنيّ، والثّاني إنّما يدخل دخولا ضروريّا في إنشائه لِمَعْنَى التّعاقب الزّمني، وإن كان لا يوجد اقْتِرَانٌ زمنيّ بلا تعاقب زمنيّ، ولا تعاقب زمنيّ بلا اقتران زمنيّ، إذ كلا المعنيين هما مُتَضَايِفَا النّشأة. أمّا على جهة العبارة، فقد نقول بأنه فَرْقٌ بين

المُتَقَدِّم الموجود مَعًا[1] السيّالي، وبين الوجود مَعًا الانطباعي السيّاليّ. ومن غير الجائز إطلاقا أن نَخْلَعَ على أحد ذينك الضّربين من الوجود معًا المذكورين، اسم الاقتران الزّمنيّ. ولا هو من الجائز أيضا أن نُثْبِتَ مَعْنًى زمنيّا واحدا لِلْوَعْيِ الأوّلي المُنْشِئِ. إذ أنّ الاقتران الزّمنيّ، كالاقتران الزّمني بين لون، وصوت، ووجودهما معًا في الآن الفعليّ، إنّما تكون نشأته نشأة أصليّة، بوجود الإحساسات الأصليّة المُحْدِثَةِ للفعل المسكيّ، لكن الإحساسات الأصليّة نفسها لا يُقَالُ عنها أنّها موجودة مَعًا على جهة الاقتران في الزّمن، وهو حَقِيقٌ بنا أن نَمْنَعَ تَمَامَ المَنْعِ كُلَّ وَسْمٍ للأطوار الوَعْيِيَّةِ المَوْصُوفَةِ بكونها متقدّمة الوجود مَعًا على جهة السيّاليّة، بالأطوار الوَعْيِيَّةِ المقترنة الوجود في الزّمن؛ وهو أيضا ممنوع أن نَسِمَ معنى التّعاقب الوَعْيِيِّ بالتّعاقب الزّمنيّ.

فمِمّا سبق من بيان، عرفنا الآن ما حقيقة ذلك الضّرب الوجوديّ، أي التّقدّم الوجود مَعًا: إنّه لَعَمْرِي مُتَّصِلٌ من الأطوار شأنها أن تعلق بإحساس ما أصليّ، وكلّ طور طور فيها، فإنّما هو وعي وَعْيًا مسكيّا بالآن المتقدّم، أي هو تذكّر أصليّ بذلك الآن. واعلم أنّه كلّما أَفَلَ الإحساس الأصليّ، وتغيّر أبدا، فاللاّزم من ذلك، ليس فقط في الجملة، المعيش الّذي هو المعيش المتقدّم المتغيّر، بل قد يُنْظَرُ إلى المعيش المتغَيِّرِ نَظَرًا ما، فَيُرَى منه المعيش قبل أن يتغيّر. فمثلا إذا ما سالت سلسلة من الأصوات سَيَلاَنًا غير سريع، فمن الجائز جدّا، بعد تصرّم أوّل صوت، ليس فقط أن يُنْظَرَ إليه على أنّه صوت مازال حاضرا، وإن كان قد انقطع عن كونه محسوسا، بل وأن يُتَبَيَّنَ أيضا بأنّ هذا الصّوت إنّما يشتمل على ضرب وَعْيِيٍّ هو تذكّر لِضَرْبِ الوعي بالإحساس الأصليّ الّذي كان فيه هذا الصّوت موجودا على أنّه الآن. وحينئذ، فلابدّ أن نفرّق تفرقة بَيِّنَةً بين الوعي بالماضي، أي الوعي المسكيّ، أو الوعي المُحْضِرِ ثاني الإحضار، الّذي فيه يوجد الموضوع الزّمني الباطنيّ على أنّه موضوع وَعْيٍ متقدّم الحصول،

---

(1) L'antéro-à-lafois.

والمسك، أو الإبداع ثاني الإبداع على جهة التّذكّر للإحساس الأصليّ المتقدّم الحصول؛ ويكون مَسْكًا، إذا تعلّق الأمر بالسّيّال الأصليّ الإحساسي؛ و يكون ثانيَ الإبداع، إذا تعلّق الأمر بالإحضار ثاني الإحضار لِعَيْنِ هذ السيَّال. والحكم هو هو في كلّ سَيَّالِيَّةٍ سيّاليّة أخرى.

فَمَتَى صَحَّ أنّ طورا ما ذا تعلّق بزمنيّة موضوع ما باطنيّ، كان طورا فعليّا، والوعي به وعيا بطريق إحساس أصليّ، فَبِالاضْطِرَارِ إنّما يكون عَالِقًا بهذا الطّور على جهة المتقدّم الوجود مَعًا، مِسَاكٌ عَالِقٌ بعضها ببعض، وتكون نفسها، موصوفة بأنّها تَغْيِيرَاتٌ لِإِحْسَاسَاتٍ أصليّة ذات تعلّق بكلّ سائر النّقاط الزّمنيّة المتصرّمة للمدّة الزّمنيّة المُنْشَأَةِ. وكلّ مسك من هذه المساك هي ذات هيئة مخصوصة، تكون مُنَسِابَةً لِلْبُعْدِ الزّمني بالقياس للآن الحاضر. إذ كلّ مسك مسك إنّما هو وعي بماضي الآن المتقدّم الحضور المتعلّق به، وهو يُعْطِيهِ في صورة المتقدِّمِ، المناسبة لِوَضْعِهِ في المدّة الزّمنيّة المُتَصَرِّمَةِ.

الباب التّاسع والثّلاثون: في أنّ المسك ذو قصديّتين، وفي انْتِشَائِيَّةِ السَيَّالِ الوَعْيِيِّ

وعِلْمُنَا بأنّ المسك هو ذو قصديّتين من شأنه أن يَدُلَّنَا على الجواب عن هذه المسألة: وهي كيف يكون من الممكن أن نَتَبَيَّنَ أنّ السيّال الوَعْيِيَّ الأَوَّلِيَّ المُنْشِئَ إِنَّمَا هو لَذُو وحدة؟ وهذه المسألة هي مُحَيِّرَةٌ بِحَقٍّ. إذ لو أنّ سيّالا واحدا، أي سيّال فعل من الأفعال، أو موضوعا ما موجودا في مدّة زمنيّة، كان قد تَصَرَّمَ، فمن الجائز جدّا أن نشير إليه بالنّظر، لأنّه من المُرَجَّحِ أنّه يكون في التّذكّر حينئذ ذا وحدة. فَبَيِّنٌ إذًا أنّ السيّال الوعييّ إنّما يَنْتَشِئُ هو أيضا في الوعي على أنّه وحدة. وهو في السيّال الوعييّ إنّما تَنْتَشِئُ مثلا الوحدة الزّمنيّة لِصَوْتٍ ما، ولكن هو نفسه فهو يَنْتَشِئُ أيضا، على أنّه وحدة الوعي الزّمنيّ للصّوت. بل، أتُرَاهُ جائزا قولنا كذلك بأنّ هذه الوحدة السيّاليّة إنّما ذات نَشْأَةٌ

مشابهة على التَّمَامِ لِوِحْدَةِ الصّوت المُنْشَئِ، وأنّها لَسِلْسِلَةٌ زمنيّة مُنْشَأَةٌ، فيها الآن الزّمنيّ، والماقبل الزّمنيّ، والمابعد الزّمنيّ؟

إنّه ممّا سبق من بيان فقد نجيب على هذه الحيرة: أي أنّ الوحدة الزّمنيّة الباطنيّة للصّوت، ونفس وحدة السيّال الوعيّ، إنّما نَشْأَتُهُمَا معًا، إنّما تكون في عين السيّال الوعيّ الواحد والوحيد. وإن قد يظهر عند بَادِئِ الرَّأْيِ أنّ القول بأنّ السيّال الوَعْيِيَّ هو يُنْشِئُ وحدته نفسها، بِنَفْسِهِ، قولا خلفا، فالأمر في نفسه لَهْوَ على تلك الحال ضرورة. ولنا أن نتبيّن ذلك لو نظرنا إلى كيف يَنْتَشِئُ السيّال الوعيّ في عين حقيقته. إذ أنّ النّظر قد يُشِيرُ أوّلا إلى الأطوار المُتَطَابِقَةِ في الفعل المتّصل السيّالي من حيث هي قصديّات صَوْتِيَّةٌ، ويَنْسَلِكُ فيها. وقد يُشِيرُ ثانيا إلى عين السيّال، أو إلى قطعة منه، أو إلى انتقال الوعي السيّالي من أوّل الصّوت إلى انقضائه. فكلّ خُفُوتٍ خفوت وَعْيِيٍّ من جنس المسك فهو مُنْطَوٍ إذًا على قصديّتين: قصديّة أولى وهي الدّاخلة في إنشائيّة الموضوع الباطنيّ، كالصّوت؛ وهذه عين الّتي كنّا قد وسمناها «أوّل تذكّر الصّوت المحسوس من قريب»، أو الّتي قد نَسِمُهَا على التّخصيص، بمسك الصّوت. أمّا القصديّة الثّانية، فالدّاخلة في إِنْشَائِيَّةِ وحدة أوّل التّذكّر المذكور في السيّال؛ على معنى أنّ المسك، فلِكَوْنِهِ وعيا لِشَيْءٍ ما يزال، ولكونه وعيا ماسكا، فَبِنَفْسِ ذلك الأمر فهو مَسْكٌ لِلْمَسْكِ المتصرّم للصّوت: أي أنّ المسك، فبما أنّه خفوت متّصل في السيّال، فهو مسك متّصل لكلّ الأطوار المتقدّمة عليه أبدا. ولو نُمْعِنُ النَّظَرَ في طَوْرٍ مَا في السيّال الوعيّ، إذ أنّه في الطّور إنّما يظهر الآن الصّوتيّ مُقْتَرِنًا بفصل زمنيّ للصّوت كائنا في هَيْئَةِ المتصرّم من قريب، فسنرى أنّ الطّور إنّما يشتمل على اتّصاليّة من المِسَاكِ ذات وحدة في المُتَقَدِّمِ الوجود معًا. وهذه الاتّصاليّة هي مسك، في كلّ آن، لِجُمْلَةِ اتّصاليّة الأطوار السيّاليّة المتقدّمة أبدا، إذ في أوّل حَدٍّ لَهَا، هي إحساس أصليّ جديد؛ وعند أوّل حدّ يخلف هذا الحدّ الأوّل أبدا، أي عند أوّل طور من الخُفُوتَاتِ، فهي مسك قريب للإحساس الأصليّ المتقدّم؛ ومع الطّور القريب

اللاَّحِقِ لِهَذَا الطّور، فهي مسك لِمَسْكِ الإحساس الأصليّ المتقدِّم، وهلمّ جرّا. وإذا لم نَعْتَبِرْ في السيّال إلاّ سيلانه، فسنرى إذًا المتّصل السيّالي ذاهبا في سيلانه، وينقلب أبدا انقلابا مَسْكِيًّا على جهة الاتّصاليّة الّتي كنّا قد سبقنا بوصفها، وسنرى أنّ كلّ اتّصاليّة متجدّدة من الأطوار الموجودة معًا، إنّما هي أيضا مسك بالقياس إلى اتّصاليّة جملة الموجود معًا في الطّور المتقدّم. فظهر إذًا أنّ السيّال إنّما تَشُقُّهُ قصديّة طُولِيَّةٌ شأنها أن تُطَابِقَ نَفْسُهَا نَفْسَهَا، تطابقا متّصلا في أثناء الفعل السيّاليّ. إذ أنّ الإحساس الأصليّ الأوّل إذا ما انتقل انتقالا مطلقا، وسال، فهو ينقلب إلى مَسْكٍ لِهَذَا الإحساس، وهذا المسك ينقلب إلى مسك لِهَذَا المسك، وهلمّ جرّا. ولكن مع أوّل المسك إنّما يوجد معًا آن متجدّد، أي إحساس أصليّ جديد مُقْتَرِنًا بهذا المسك اقترانا متّصلا، لذلك فإنّ ثاني الطّور السيّالي سيكون إحساسا أصليّا للآن المتجدّد، مُقْتَرِنًا بمسك الإحساس المتقدّم، والطّور الثّالث السيّالي سيكون إحساسا أصليّا مقترنا بمسك مسك الإحساس الأوّل، وهلمّ جرّا. ولا بدّ هنا أن نَتَنَبَّهَ جدّا على هذا الأمر، أي إلى أنّ كلّ مسك لِمَسْكٍ ما، إنّما ينطوي على قصديّة ذات تعلّق ليس فقط بما يكون ممسوكا قريبا، بل هي لَذَاتُ تعلّق أيضا بالممسوك ذي الرّتبة الثّانية في المسك، وبعد كلّ هذا، فهي ذات تعلّق أيضا بالمُعْطَى الأصليّ الّذي يصير موضوعيّا حين انتقاله. فهذه الحال تُشْبِهُ حال ثاني الإحضار لِظُهُورِ شَيْءٍ ما، حيث تَبَيَّنَّا أنّ هذا الفعل هو ذو قصديّة ذات تعلّق ليس فقط بظهور الشّيء، بل بِعَيْنِ الشّيء الظّاهر أيضا؛ أي أنّها تشبه مثلا تذكّرنا لـأ، الّتي إذا تذكّرناها، كان لنا وعي ليس فقط بفعل التّذكّر، بل بعين أ من حيث هي عين الأمر المتذَكَّرِ في التَّذَكُّرِ.

لِذَلِكَ كان الرّأي عندنا أنّ نشأة وحدة السيّال نفسه من حيث هي انتظام ذو بعد واحد، وأمر مُشَابِهٌ للزّمن، في السيّال الوعيّ، إنّما لأجل اتّصاليّة التّغييرات المسكيّة، ولأجل أنّ هذه التّغييرات المسكيّة هي أبدا مِسَاكٌ لِلتَّغْيِيرَاتِ المسكيّة المتقدّمة عليها أبدا. وإذا ما انصرفنا إلى الصّوت، واسْتَكْنَنَّا على جهة التَّنَبُّهِ،

في القصديّة العَرْضِيَّةِ، أي في الإحساس الأصليّ من حيث هو إحساس متعلّق بالحاضر الفعليّ للصّوت، وفي التّغييرات المسكيّة من حيث هي تذكّرات أولى ذات تعلّق بالنّقاط الصّوتيّة المتصرّمة، وعِشْنَا أبدا في التّجربة بالوحدة في سيّال التّغييرات المسكيّة للإحساسات الأصليّة، ولِلْمِسَاكِ المتقدّمة الحصول، تَجَلَّى لنا الصّوت مُنْتَشِرًا بلا انقطاع في مدّته الزّمنيّة. أمّا إذا اسْتَكْنَنَّا في القصديّة الطُّولِيَّةِ، وفي ما يَنْتَشِئُ فيها، انصرفنا عن الصّوت الّذي تقدّم وجوده في مدّة زمنيّة على صورة ما، وفي آن ما، وأَشَرْنَا بالرّويّة إلى نقطة التّجدّد في المتقدّم الوجود معًا، وإلى الإحساس الأصليّ، وإلى ما يكون مَمْسُوكًا إلى هذا الإحساس الأصليّ معًا في سلسلة ذات اتّصال. فما يكون ممسوكا حينئذ إنّما الوعي المتقدّم في سلسلة من الأطوار، وأوّلا في طوره المتقدّم، ومع استمرار هذه الحال في الوعي، فقد نتبيّن السّلسلة الممسوكة في الوعي المتصرّم، وأيضا الحدّ النّهاية الّذي هو الإحساس الأصليّ الفعليّ، والدَّفْعَ المتّصل لِعَيْنِ السّلسلة، ويكون هناك آنَئِذٍ مِسَاكٌ أخرى، وإحساسات أصليّة متجدّدة أبدا.

ولسائل أن يسأل إذًا: هل من الممكن أن يُوقَفَ بلَمْحَةٍ واحدة على الوعي المسكيّ جميعه ذي التعلّق بالفعل المتقدّم للوعي المتعيّن في المتقدّم الوجود معًا؟ وبَيِّنٌ أنّ الفعل الضّروري يقضي بأن يُوقَفَ أوّلا على المتقدّم الوجود معًا نفسه، الّذي يكون متغيّرا أبدا؛ إذ هو لا يكون كما هو إلاّ في السيّال؛ ولكن السيّال مَا دَامَ تغييره للمتقدّم الوجود معًا المذكور، إنّما يطابق نفسه بنفسه على جهة القصديّة، ويُنْشِئُ وحدة في السيّال، وما يكون ذا وحدة وحقيقة هي هي، فإنّه يكون على صورة واحدة متّصلة في التّقهقر؛ إذ المتجدّد يَنْضَافُ أبدا، وما يَلْبَثُ أن يَتَصَرَّمَ كذلك في الجملة الآنِيَّةِ الموجود فيها. ومع ذلك الفعل، فمن الجائز أن يُصْرَفَ النّظر إلى ما يكون معًا وهو يَأْفِلُ؛ ولكن إنشائيّة الوحدة المسكيّة إنّما تَفْضُلُ عنه، وأبدا تزيد إليه بالجديد. إذًا فالإشارة النّظريّة قد تنصرف إلى تلك الصّورة في أثناء الفعل، فيَبِينُ لنا أبدا بأنّ هناك وعيا في السيّال يكون بنحو الوحدة المُنْشَأَةِ.

فظهر من كلّ ذلك بأنّه في السيّال الوعييّ الواحد إنّما هناك قصديّتان اثنتان موجودتان في وحدة تامّة، ومتلازمتان، ومُتَشَابِكَتَانِ، كأنّهما وجهان لِشَيْءٍ واحد. وهو بالقصديّة الأولى إنّما يَنْتَشِئُ الزّمن الباطنيّ، والزّمن الموضوعيّ، والزّمن الحقّ، الّذي فيه تكون زمنيّة الشّيء الزّمنيّ، وتغيّره؛ وبالقصديّة الثّانية إنّما يكون الانْسِلاَكُ المُشَابِهُ لِلانْسِلاَكِ الزّمنيّ للأطوار المسكيّة المشتملة أبدا اضطرارا على الآن السيّالي، وعلى طور الفعليّة، وعلى سلسلات الأطوار المتقدّمة عن كونها فعليّة، والمتأخرّة عن كونها فعليّة، أي الّتي ليست بَعْدُ بِفِعْلِيَّةٍ. وهذه الزّمنيّة المتقدّمة عن كونها ظاهريّة[1]، والمتقدّمة عن كونها باطنيّة[2]، إنّما تَنْتَشِئُ انتشاء قصديّا في نفس الوعي المُنْشِئِ للزّمن بنحو الصّورة له. فالسيّال الوَعْيِيُّ الباطنيّ المُنْشِئُ لِلزَّمَنِ ليس فقط هو موجودا، بل إنّه له هذا الوجود البَاهِرُ والمعقول الّذي من شأنه أن يجعل السيّال في شخصه، يكون ذا ظهور فيه اضطرارا، وأنّه من ثَمَّ يصير من الممكن لنا اضطرارا أنّ نَتَبَيَّنَ السيّال نفسه وهو يسيل. ولكن لأجل ظهور السيّال في شخصه، فليس بالواجب أن يكون هناك سيّال ثان، بل إنّ السيّال من حيث هو ظاهرة فهو يُنْشِئُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ. أي أنّ المُنْشَأَ والمُنْشِئَ مُتَطَابِقَانِ، ومع ذلك فليس تطابقهما، غَيْرَ شَكٍّ، بالتّطابق التّامّ. إذ أنّ الأطوار السيّاليّة الوعييّة الّتي فيها إنّما تَنْتَشِئُ أطوار عين هذا السيّال الوعييّ على جهة الظّاهريّة، لا يمكن ألبتّة أن تكون حقيقتها على التّمام هي عين حقيقة تلكم الأطورا المُنْشَأَةِ. إذ أنّه ما يَرِدُ إلى الظّهور في الفِعْلِيَّةِ الآنِيَّةِ للسيّال الوعييّ، إنّما هو طور مُنْقَضٍ في هذا السيّال نفسه من سلسلة نُقَاطِهِ المَسْكِيَّةِ.

الباب الأربعون: في المحتويات الباطنيّة المُنْشَأَةِ

ولِنَمُرَّ الآن إلى مرتبة المحتويات الباطنيّة الّتي نشأتها إنّما هي من أَثَرِ السيّال

---

(1) Pré-phénoménale.

(2) Préimmanente.

الوعييّ المطلق، ونُمْعِنَ فيها النّظر. فهذه المحتويات الباطنيّة إنّما هي المعيش في معناه المعلوم: أي المُعْطَيَاتُ الحسيّة، وليس يَضُرُّ فيها ألاّ تكون مُتَبَيَّنَةً، كأحمريّة ما، أو أزرقيّة ما، وهلمّ جرّا؛ وثانيا الظّهورات، كالظّهور البَيْتِيِّ، أو المحيط، وهلمّ جرّا، ويستوي أمرها أن تكون هي وموضوعاتها مُتَبَيَّنَةً أو غير مُتَبَيَّنَةٍ. وثالثا أفعال الحكم، والتّمنّي، والمشيئة، وهلمّ جرّا، والتّغييرات المبدِعَة ثاني الإبداع ذات التعلّق بها، أي التّخيّل، والتّذكّر. فكلّ هذه الأشياء هي محتويات وَعْيِيَّةٍ، أي محتويات لِلْوَعْيِ الأصليّ المُنْشِئِ للموضوعات الزّمنيّة، ولكنّ هذا الوعي الأصليّ لا يجوز أن يُوصَفَ هو نفسه بالمحتوى، أي بكونه موضوعا في الزّمن الفينومينولوجيّ.

فالمحتويات الباطنيّة المذكورة إنّما تُوصَفُ كذلك فلأنّها في أَثْنَاءِ وجودها في الزّمن الفعليّ، فهي تُشِيرُ إلى المستقبل، وتَرُدُّ إلى الماضي. ولابدّ أن نتبيّن هذا الأمر أيضا في فِعْلَيِّ الإشارة إلى المستقبل والردّ إلى الماضي، وهي أنّه في كلّ طور طور أصليّ يُنْشِئُ إنْشَاءً أصليّا المحتوى الباطنيّ، إنّما يكون هناك مِسَاكٌ للأطوار المتقدّمة لِهَذَا المحتوى المخصوص، ومُقْبِلاَتُ المِسَاكِ للأطوار المُزْمَعَةِ الحصول لِعَيْنِ هذا المحتوى، ومقبلات المساك تلك إنّما تواصل الدّخول في الوجود ما استمرّ وجود ذلك المحتوى المخصوص. وكلا الصِّنْفَيْنِ، أي المِساك المُتَعِيَّنَةِ، ومقبلات المساك المتعيّنة، فهي ذات أفق مُبْهَمٍ؛ إذ هي حين تسيل فإنّما تَنْتَقِلُ إلى أطوار لاَمُتَعِيِّنَةٍ، ذات تعلّق بالحصول الماضي والمستقبليّ للسيّال، وهو لأجل ذلك إنّما جاز للمحتوى الفعليّ أن يَنْسَلِكَ في وحدة السيّال. ولَكِنَّا ينبغي أيضا أن نفرّق من المساك، ومقبلات المساك، الذّكريات، والتّرقّبات الّتي لا نسبة لها إلى الأطوار المُنْشِئَةِ للمحتوى الباطنيّ، بل إنّها تُحْضِرُ ثاني الإحضار المحتويات الباطنيّة الماضية أو المستقبليّة. إذ أنّ المحتويات هي ذات وجود في الزّمن، وهي موضوعات فرديّة، أي وحدات في تَغَيُّرٍ ما أو لا تَغَيُّرٍ ما.

الباب الواحد والأربعون: في بداهة المحتويات الباطنيّة، وفي التّغير واللاّتغيّر

إنّا إذا قلنا بأنّ المحتوى الباطنيّ هو معطى بديهيّ، فليس من شكّ أنّه لسنا نريد بذلك البداهة المتعلّقة بالوجود الزّمنيّ النُّقَطِيِّ للصّوت مثلا؛ ولا نُجَانِبُ الصّواب لو قَضَيْنَا بأنّ هذا المعنى في البداهة، كالّذي نجده، مثلا، عند **برنتانو**، هو وَهْمٌ. إذ لمّا كان قد صَحَّ بأنّ كلّ محتوى محتوى، لايُعْطَى في الإدراك، إلاّ على جهة المُنْتَشِرِ في الزّمن ضرورة، لَزِمَ إذًا أنّ بداهة الإدراك إنّما يُرَادُ بها لا محالة، البداهة المتعلّقة بالوجود المنتشر على جهة الزّمنيّة. وعلى هذا فاعلم: أنّ أيّما سؤال ينظر في الوجود الفرديّ، فلا يمكن أن يُجَابَ عليه إلاّ إذا رُجِعَ إلى الإدراك المُعْطِي للوجود الفرديّ على التّحقيق. ولأنّه قد يُخَالِطُهُ شيء ما من اللاّإدراك، كان الإدراك أيضا ليس بتامّ اليقين. أمّا إن تعلّق الأمر بمعطيات باطنيّة، وليس بموجودات تجريبيّة، فمن الجائز جدّا أن تصحّ كلّ هذه المعاني، في الإدراك، على التّمام، أعني معاني المدّة الزّمنيّة، والتّغيّر، والوجود مَعًا، والتّعاقب، بل إنّها غالبا ما تصحّ بِحَقٍّ. ويكون ذلك على التَّعْيِينِ في الإدراكات الحدسيّة المطلقة، أي في الإدراكات المُنْشِئَةِ، على التّخصيص، للمحتويات المنتشرة في الزّمن من حيث هي كذلك، أو المتغيّرة من حيث هي كذلك؛ أي في الإدراكات الّتي هي لا تنطوي البتّة على أيّ شيء يكون مَحَلاًّ لِلشَّكِّ: لأجل ذلك كان لِكُلِّ بَحْثٍ في الأصل، إنّما يُرْجَعُ إلى هذا الضّرب من الإدراكات، ولم تكن، هي نفسها، لِيُطْلَبَ وراءها أصل ألبتّة. فَبَيِّنٌ إذًا أنّ بداهة الإدراك الباطنيّ الّتي كان قد بُحِثَ فيها كثيرا، أي بداهة المعنى الذِّهْنِيِّ[1]، فَمَا رُمْنَا أن نرفع منها الانتشار الزّمنيّ، ولم نرض وجوده في مُعْطَى الصّدق، فسوف يَخْتَلُّ معناها، وتبطل حقيقتها.

---

(1) Cogitatio.

فَلْنَنْظُرْ الآن في هذا الوعي بالبداهة الزّمنيّة، ولِنَفْحَصْ عنه في ذاته. إنّ صوتا ما، كصوت **دو**، ولا أريد به كيف **دو** فقط، بل المحتوى الصّوتيّ كلّه الّذي وجوده بالاضطرار يكون لا متغيّرا على التّمام، إذا ما أُدْرِكَ، وأُعْطِيَ على أنّه صوت ذو مدّة زمنيّة، فإنّه سيوجد منتشرا في فصل زمنيّ قريب؛ على معنى أنّه في كلّ آن آن، فلا يكون المُنْبَعِثُ صوت ما آخر، بل أبدا عين الصّوت الواحد. وكون المنبعث أبدا هو عين الصّوت الواحد، أو هذه الاتّصاليّة في الحقيقة الواحدة، إنّما هي معنى باطنيّ في الوعي. واعلم أنّ المواضع الزّمنيّة لا يوجد بعضها مُنْفَصِلاً عن غيره، لِتَفَرُّقِ أَفْعَالٍ ما مخصوصة، بل إنّ وحدة الإدراك هنالك، إنّما هي وحدة بلا انقطاع، ومُتَبَرِّئَةٌ من كلّ اختلاف باطنيّ شأنه أن يَنْشَقَّ عنها. ومع ذلك، فهو يوجد اختلاف ما، على جهة أنّ كلّ آن آن، فذو تَشَخُّصٍ يُفَرِّدُهُ عن كلّ آن آن غيره، ولكن إنّما هو آن مختلف، وليس بآن مُنْفَصِلٍ. وقِوَامُ هذه الوحدة الحاصلة بطريق انْدِغَام الانتشار اللاَّمُنْقَطِعِ لِصَوْتِ **دو**، قِوَامًا حقيقيّا، إنّما هو المماثلة التّامّة للمادّة الزّمنيّة البَرِيئَةِ من كلّ اختلاف اختلاف، واتّصاليّة التّغيّر الوعيّ الواضع للزّمن؛ وليس من سَبِيلٍ آخر ألبتّة قد يعلّل نشأة وحدة ما مُتَعَيِّنَةٍ. إذًا، فصوت **دو** لا يكون موجودا على أنّه فرديّة ما مُتَعَيِّنَةٌ، إلاّ وهو في صورة الأمر المنتشر زمنيّا. إذ أنّ المعطى لا يكون أبدا إلاّ متعيّنا، وليس من شكّ أنّه بالنّظر الذّهنيّ التّحليليّ، إنّما كان قد جاز لنا أن نفحص ذلك الفحص. فصحّ عندنا أنّ وحدة **دو** اللاّمنقطعة، والّتي هي معطى أوّليّ، إنّما هي وحدة منقسمة، واندغام لِآنَاتٍ قد نَتَبَيَّنُهُ بالرّويّة، أو نُصِيبُهُ بطريق تَعَاقُبٍ آخر مقترن الوجود به: وعندذاك، فقد نتبيّن في الزّمنيّة السّائلة على جهة المُسَاوَقَةِ، مَقَاطِعَ يصحّ فيها المقايسة والجَمْعُ في حقيقة واحدة.

ومع كلّ ذلك، ففي هذا البيان المتقدّم، فقد كنّا اتّخذنا بعض الشّيء طريقة الخَيَالِ المُصَيِّرِ مِثَالاً(1). إذ هو وَهْمٌ أن يوضع بأنّ الصّوت قد ينتشر في مدّة

---

(1) Fiction idéalisante.

زمنيّة بلا تغيّر إطلاقا. بل إنّه مع كلّ آن آن، أيّا ما كان، فإنّما هناك أبدا تغيّر ما كبير أو صغير؛ ولذلك كانت الوحدة المتّصلة بالقياس إلى آن ما، إنّما يقترن بها أبدا اختلاف ما لِآنٍ آخر شأنه أن يقطع قطعا باطنا، لا ظاهرا، هذه الوحدة المتّصلة. أمّا إن كان القطع قطعا للحقيقة الكيفيّة الواحدة، أعطانا إذًا الانتقال في وضع زمنيّ ما، من كيف إلى كيف آخر في جنس كيفيّ واحد، معيشا آخر، ألا وهو معيش التَّغَيُّرِ. وبَيِّنٌ هاهنا بأنّ الانفصاليّة لا تكون موجودة في كلّ آنات الانتشار الزّمنيّ. إذ أنّ الانفصاليّة إنّما تقتضي أبدا الاتّصاليّة، وذلك إمّا في صورة زمنيّة بلا تغيّر، أو في صورة تغيّر متّصل. واعلم أنّه في التّغيّر المتّصل، فإنّ كلّ طور طور في أطوار الوعي التغيّريّ، فإنّما ينتقل إلى الطّور الآخر بلا انقطاع، كلاانقطاعيّة الانتقال الحاصل في الوعي بالوحدة أو الحقيقة الواحدة، أي كَلاَ انْقِطَاعِيَّةِ الانتقال الحاصل في الزّمنيّة المُجَرَّدَةِ من كلّ تغيّر، سواء بسواء. ولكن هذه الوحدة هي لَمُنْطَوِيَةٌ على اختلاف. إذ أنّه بعد أوّل الانتقال من طور إلى آخر لا يظهر لنا منه أيّ اختلاف، فإنّا سَنَتَبَيَّنُ الاختلاف، وهو اختلاف يزيد ويعظم كلّما امتدّ فعل التّأليف المتّصل. فَيَبِينُ بذلك أنّ هنالك إنّما يوجد اجتماع المشابهة بالمخالفة، وأنّه كلّما امتدّ الانتشار الزّمنيّ، عَظُمَ حِينَئِذٍ الفرق المتّصل المُعْطَى. وتفصيل ذلك أنّ القصديّة الأصليّة المتعلّقة بالآن إنّما تكون حَافِظَةً لِتَفَرُّدِهَا، ومع حفظها له، فهي تظهر مقترنة الوجود بِوَعْيٍ متجدّد أبدا يكون مُقْتَرِنًا به قصديّات كلّما زاد بُعْدُهَا الزّمنيّ عن القصديّة الآنيّة، أظهرت اختلافا أشدّ، وبُعْدًا أَعْظَمَ. فما يظهر أوّلا مُطَابِقًا، وثانيا مطابقا أيضا بعض المطابقة، يأخذ بُعَيْدَهَا في الاختلاف، ويزيد فيه. إذ أنّ الأمر القديم، والأمر المتجدّد إنّما يبطل ظهورهما على أنّهما مُتَّفِقَا الحقيقة، بل سيظهران على أنّهما مُخْتَلِفَاهَا، وإن كانا متّفقا الجنس. وهو بذلك إنّما يكون حُدُوثُ الوعي «بالمتغيّر شيئا فشيئا»، أي حُدُوثُ الوعي بالانفصال المُتَزَيِّدِ في سَيَّالٍ مَا لِفِعْلٍ جَمْعِيٍّ في حقيقة واحدة[1]، متّصل.

---

(1) Identification.

أمّا في الزّمنيّة المجرّدة من كلّ تغيّر، فَثَمَّ وعي متّصل بوحدة ما، لا يَنْفَكُّ، ما وُجِدَ، عن كونه وعيا بوحدة ما ذا طبيعة واحدة. فالمُطَابَقَةُ تَسْتَوْعِبُ كلّ سلسلة القصديّات المتّصلة الوجود، والوحدة السّارية فيها كلّها إنّما تكون أبدا وحدة مطابقة. لذا فهو لا يظهر في هذه الزّمنيّة أيّ وعي من هذه الوُعِيِّ، أي الوعي بالشّيء الآخر، أو الوعي بالنَّأْيِ، أو الوعي بالبُعْدِ. ولكن، ففي الوعي بالتّغيّر، فهو يوجد أيضا مطابقة ما شأنها أن تسري كذلك ضربا من السّريان في الانتشار الزّمنيّ جميعا، وحينئذ فهو سيظهر مع هذه المطابقة الكائنة على جهة العموم، ضرب من الفرق على جهة المخالفة، ما يَفْتَأُ يزيد ويعظم. أمّا ما به يتعيّن الوعي التّغيّريّ على أنّه وعي بتغيّر ذي بطئ ما، أو سرعة ما، أو تغيّر ما في السّرعة، فهو شكل انتشار مادّة التّغيّر في الانتشاريّة الزّمنيّة. وليس فقط إنّما الوعي بالتّغيّر المتّصل مِمَّا يَقْتَضِي مبدأ وحدة، بل وأيضا الوعي بالاسْتِحَالَةِ، والوعي بالتَّفْرِقَةِ. إذ من المضطرّ أن يكون في كلّ انقلاب انقلاب، موضوع ما موجود في الزّمن، شأنه أن يكون بنحو الشّيء الواحد الّذي يقبل الانقلاب، كما كان يقبل التّغيّر في فعل التّغيّر. ومن المعلوم جدّا أنّ كلّ هذا الوصف إنّما يدخل تحت الصّور الأولى للوعي بكلّ فرديّة فرديّة. وإن كان الكيف الصّوتيّ قد بقي هو هو، وتغيّرت كثافته، أو نغمه، قيل الصّوت الواحد هو مُتَغَيِّرٌ نَغَمُهُ أو كثافته. أمّا إن كان في الظّاهرة قد تغيّر كلّ شيء، وما بقي منها معنى واحد هو هو، فليس هذا بِرَافِعٍ منها إطلاقا لكلّ وحدة وحدة. بل إنّ نفس اللاَّفَرْقِ الموجود في انتقال الأطوار المُتَلاَصِقَةِ، بعضها إلى بعض، لَمُحْدِثٌ أيضا لِضَرْبٍ من الوعي بالوحدة. فالأجزاء المتشابهة إنّما ينتقل بعضها إلى بعض في كثرة من المشابهة، والعكس أيضا صحيح: إذ أنّ الموصوف بالمشابهة قد يكون ما يكون مَوْصُوفًا بوحدة الانتقال المتّصل، وقد يكون كذلك ما شأنه الاتّصاف بالتّفرقة، مثلما أنّ الموصوف بتمام المشابهة، فهو ما شأنه أن تقوم عليه وحدة زمنيّة بلا تغيّر، أو ما لا يَعْتُورُهُ اختلاف ألبتّة. إذًا، فمهما كان تَغَيُّرٌ، أو انقلاب، فمن المُضْطَرِّ أن يَقْتَرِنَ به وعي بوحدة ما.

الباب الثّاني والأربعون: في الانْطِبَاعِ، وفي ثاني الإبداع

واعلم أيضا أنّه إذا كان النّظر في الزّمنيّة المتعلّقة بإنشائيّة المحتويات الّتي لا تكون انطباعيّة، كمحتويات التّذكّر مثلا، فلا يجوز أن نصف هذه المحتويات بالانطباعات الأصليّة المُنَاسِبَةِ لِآنِهَا الحاضر. فما يكون حينئذ موجودا بالذّهن إنّما هو تذكّرات أصليّة صورتها صورة أطوار مطلقة، وليس شيئا قد أُدْخِلَ إليه من خارج، وغريبا عن الوعي، وحادثا عن فعل أصليّ، بل هو شيء، إن وصفناه بعبارة مجازيّة، قلنا شأنه الطُّفُوُّ، أو مُعَاوَدَةُ الطّفوّ فوق سطح الذّهن، وذلك على الأدْنَى، في فعل التّذكّر خَاصَّةً. وهذا الأمر، وإن امْتَنَعَ هو نفسه عن أن يوصف بالانطباع، فهو مثله مثل الانطباع، ليس بالحادث ألبتّة عن الفِعْلِيَّةِ، بل قد نقول فيه إنّه، بنحو ما، شيء مَا، قَابِلِيٌّ[1]، وأنّه يلزم منه هو أيضا، فعل قُبُولِيٌّ انْفِعَالِيٌّ[2]، فنضطرّ حينئذ أن نذكر ضربين اثنين من القُبُولِيَّةِ الانفعاليّة، أي القبوليّة الانفعاليّة الجَالِبَةُ لِشَيْءٍ ما جديد، وغريب، وأصليّ، والقبوليّة الانفعاليّة الّتي تَقْتَصِرُ على الرَدِّ إلى، والإحضار ثاني الإحضار.

إذًا، فكلّ معيش معيش مُنْشَئٍ، فإمّا أن يكون انطباعا، أو ثاني الإبداع، وإن كان ثاني الإبداع، فإمّا أن يكون ثاني الإحضار، أو قد لا يكونه. وفي كلّ الأحوال، فالمعيش نفسه، إنّما يكون أبدا شيئا ما حاضرا، أي شيئا ما حاضرا في الباطنيّة. ولكن لِتَعْلَمْ أنّ كلّ وعي وعي حاضر، أو شأنه الإحضار، فإنّما يُنَاسِبُهُ إمكان ما مِثَالِيٌّ متعلّق بالإحضار ثاني الإحضار لِهَذَا الوعي المُنَاسِبِ له على التَّمَامِ. فمثلا الإدراك الانطباعيّ هو يناسبه إمكان الإحضار له إحضارا ثانيا، والتمنّي الانطباعيّ هو يناسبه الإحضار له ثاني الإحضار، وهلمّ جرّا. وفعل الإحضار ثاني الإحضار إنّما يَسْرِي أيضا حكمه على كلّ محتوى محتوى

---

(1) Réceptif.

(2) Réception passive.

حسيّ إحساسيّ. فمثلا الأحمر المحسوس هو يناسبه صورة خياليّة أحمريّة، أي وعي ما، شأنه أن يُحْضِرَ ثاني الإحضار الأحمر الانطباعيّ، وفعل الإحساس، أي فعل الإدراك لِلْمُعْطَيَاتِ الهُيُولاَنِيَّةِ إنّما يُنَاسِبُهُ الإحضار ثاني الإحضار لِفِعْلِ الإحساس. ولكن كلّ ثاني إحضار، فهو بِعَيْنِهِ أيضا ذو حُضُورٍ في وعي انطباعيّ. ممّا يدلّ إذًا على أنّ المعاييش جميعا، فهي بنحو ما، مُوعَى بها في انطباعات، وأنّها كلّها مُنْطَبِعَةٌ. وأنت تعلم أنّ من المعاييش ما يكون حصوله على جهة الإبداع ثاني الإبداع، وأنّ كلّ وعي وعي، فقد يتعلّق به أبدا فعل كهذا الفعل التّغييريّ، ونحن لا نريد ألبتّة، هاهنا، بعبارة ثاني الإحضار معنى فعل التَّنَبُّهِ على. فالإدراك هو وعي بموضوع. وهو لِكَوْنِهِ وعيا، فهو أيضا انطباع، وأمر ما، بَاطِنِيُّ الحُضُورِ. وهذا الأمر الباطنيّ الحضور، كإدراك أ مثلا، فقد يتعلّق به فعل ما تغييريّ، أي الإحضار ثاني الإحضار للإدراك، أي كون الإدراك دَاخِلاً في التّخيّل، أو في التّذكّر. ولكن الإدراك الدّاخل في التّخيّل إنّما هو كذلك تخيّل للموضوع المُدْرَكِ. إذ أنّه في فعل الإدراك لِمَوْضُوعٍ ما، كشيء ما، أو فعل شَيْئِيٍّ، فالموضوع يكون بَيْنَ يَدَيْنَا حاضرا قَائِمًا. فَيَلْزَمُ من هذا أنّ الإدراك ليس هو فقط أمرا حاضرا، بل إنّه أيضا فِعْلٌ إِحْضَارِيٌّ، إذ أنّه في الإدراك إنّما يكون الشّيء أو الفعل الشَّيْئِيُّ حاضرا قائما بين يدينا. وأيضا فكلّ فعل تغييريّ شأنه أن يُحْضِرَ ثاني الإحضار الفعل الإدراكيّ، فيَكُونَ كذلك فعلا مُحْضِرًا ثاني الإحضار للموضوع المُدْرَكِ: وحينئذ سيكون الموضوع إمّا موصوفا بأنّه مُتَخَيَّلاً، أو مُتَذَكَّرًا، أو مُتَرَقَّبًا.

واعلم أنّ نشأة الانطباعات جَمِيعًا، أي المحتويات الأوّليّة، والمعاييش الّتي هي «وعي ب»، إنّما تكون كلّها في الوعي الأصليّ. وذلك لأنّ المعيش إنّما ينقسم إلى هذين القسمين الكبيرين: فقسم أوّل يَشْتَمِلُ على المعاييش الّتي هي أفعال، والموصوفة بأنّها «وعي ب»، والّتي تتعلّق أبدا بشيء ما؛ وقسم ثان يشتمل على المعاييش الّتي لا تَعَلُّقٌ لها ألبتّة بشيء من الأشياء، كالأحمر المحسوس مثلا. وأيضا فالمحتويات الخياليّة، كصورة الأحمر الخياليّة، بما

هو أحمر عَارِضٌ لِلذِّهْنِ، وإن لم يكن قد لاَحَظَهُ الذّهن، فليس بذي تعلّق ألبتّة بشيء من الأشياء. أمّا فعل التّخيّل لِأَحْمَرَ ما، وكلّ أفعال ثاني الإحضار الأوّليّة، فذات تعلّق بشيء ما. فهو يوجد إذًا انطباعات تكون إحضارا ثانيا لِوَعْيٍ انطباعيّ: إذ أنّه مثلما كان الوعي الانطباعيّ هو وعيا بأمر باطنيّ، كان أيضا ثاني الإحضار الانطباعيّ، ثاني الإحضار لِأَمْرٍ ما باطنيّ.

إذًا، فالانطباع المَخْصُوصُ جِدًّا معناه، المقابل لِمَعْنَى ثاني الإحضار، فمن المُضْطَرِّ أن يُنْظَرَ إليه أبدا على أنّه وعي أَوَّلِيٌّ لا يتقدّمه أيّ وعي من الوُعِيِّ حتّى يكون حاضرا فيه حُضُورَ الموضوع. أمّا ثاني الإحضار، ولو كان أوّل ثاني إحضار باطنيّ إطلاقا، فهو أبدا وعي ذو مرتبة ثانية، ومُقْتَضٍ دائما لِوَعْيٍ أَوَّلِيٍّ شَأْنُهُ أن يَحْضُرَ فيه حُضُورَ الموضوعِ الوَعْيِيِّ الانطباعيِّ.

الباب الثّالث والأربعون: في انْتِشَاءِ ظُهُورَاتِ الأشياء، وفي انْتِشَاءِ الأشياء، وفي الإِخَاذِ المُنْشَأَةِ، وفي الإِخَاذِ الأَصْلِيَّةِ

ولِنَنْظُرْ الآن في هذا الوعي الأوّليّ، مثلا في فعل الإدراك لِهَذَا الوِعَاءِ النّحاسيّ: فهذا الوعاء هو قائم بين يدينا قِيَامَ الموجود الشَّيْئِيِّ الزّمنيّ. وبعد أن نُمْعِنَ فيه النّظر، فلنا أن نَتَبَيَّنَ أمرين اثنين: أوّلا، فِعْلَ الإدراك بعينه، أي الأخذ الإدراكيّ ذا الوجود المتعيّن والمقترن بمعطيات الأخذ، أو الظّهور الإدراكيّ الموصوف مثلا بوصف اليقين؛ وثانيا، الأمر المُدْرَكَ، والّذي بالواجب أن يكون وصفه في أحكام بديهيّة مُنْبَنِيَةٍ على فعل الإدراك نفسه. إذ أنّ المُدْرَكَ هو أيضا لَشَيْءٌ مُشَارٌ إِلَيْهِ، أمّا الإشارة، فإنّما مَحَلُّ نشأتها، هو فعل الإدراك. فَمِمَّا نَسْتَفِيدُهُ من النَّظَرِ الرَّوَوِيِّ أنّ الأخذ الإدراكيّ هو ذو صورة ما، يَخْتَصُّ بِهَا، في كونه أيضا ذا نشأة زمنيّة باطنيّة، وأنّه ذو وجود بَيْنَ يَدَيْنَا في صورة وحدة حُضُورِيَّةٍ، وإن لم يكن هذا الأخذ الإدراكيّ لِيَكُونَ بالأمر المُشَارِ إِلَيْهِ ألبتّة. ونشأته، أي نشأة الأخذ الإدراكيّ هو أَثَرٌ لِكَثْرَةٍ ما من الأطوار الآنيّة، ومن

المِسَالِكِ. والمحتويات الأخذيّة أيضا فهي ذات نشأة مشابهة لِنَشْأَةِ القصديّات الأخذيّة الحَقِيقَةِ بوصف اليَقِينِيَّةِ. إذ أنّ المحتويات الحسّيّة هي تَنْتَشِرُ في صورة وحدات في انطباعات حسّيّة، والإِخَاذُ أيضا هي تنتشر في انطباعات أخرى، أي في انطباعات فِعْلِيَّةٍ[1] مُلْتَبِسَةٍ بالانطباعات الحسيّة. أمّا فعل الإدراك الّذي هو ظاهرة مُنْشَأَةٌ، فهو إدراك للشّيء.

إذًا، ففي الوعي الأوّليّ بالزّمن تكون نشأة الظّهور الشَّيْئِيِّ، أو الأخذ الشَّيْئِيِّ في صورة ظاهرة زمنيّة متغيّرة أو لا متغيّرة. وهو في عين وحدة هذه الظّاهرة إنّما يكون هناك وعي بوحدة أخرى، أي وحدة الشّيء المتغيّر أو اللاّمتغيّر، في زمنيّته أو مدّته الزّمنيّة. إذ أنّ الوعي الانطباعيّ الواحد الّذي فيه تكون نشأة الفعل الإدراكيّ، فَفِيهِ خَاصَّةً، إنّما تكون أيضا نشأة الأمر المُدْرَكِ. وذلك لأنّ حقيقة كلّ وعي وعي نشأته هذه النّشأة، أن يكون مَعًا، وَعْيًا بوحدة ما، ذات طبيعة باطنيّة، ووعيا بوحدة أخرى ذات طبيعة مفارقة. وهو من لَوَازِمِ حَقِيقَتِهِ كذلك أن يكون من الممكن لِلْإِشارة القصديّة أن تَنْصَرِفَ تَارَةً إلى الإحساس الحسّيّ، وأُخْرَى إلى الظّهور، وأخرى إلى الموضوع بِعَيْنِهِ. وهذا الوصف يَجْرِي حُكْمُهُ أيضا على كلّ الأفعال، مع مَوَاضِعَ اختلاف ما، في كلّ فعل فعل. إذ كلّها جميعا إنّما تقتضي اقتضاء حقيقيّا[2] أن تكون مُنْطَوِيَةً على قصديّة ذات طبيعة مُفَارِقَةٍ، وأنّه ليس يُصَحِّحُ هذه القصديّة إلاّ أَمْرٌ نشأته نشأة باطنيّة، أو أفعال ما أخذيّة. وهو بذلك إنّما يصير جائزا أن يُوصَلَ الباطنيّ، أو كلّ فعل فعل أخذيّ، ومحتواه الباطنيّ، إلى كلّ أمر أمر مفارق. ومتى صحّ هذا الوصل، صحّ حينئذ فعل ذو مرتبة أعلى لا محالة.

فلا تَغْفَلَنَّ إذًا هاهنا عن أنّه في الإدراك هو يوجد مُرَكَّبٌ من المحتويات الحسّيّة هي بعينها وحدات مُنْشَأَةٌ في السيّال الزّمنيّ الأصليّ، شأنه أن يعتوره

(1) Impressions d'acte.

(2) A leur essence.

معنى الوحدة الأخذيّة. والفعل الأخذيّ الواحد هو نفسه أيضا وحدة مُنْشَأَةٌ على جهة الإِنْشَاءِ الأوّل المذكور. ولكن حين انْتِشَاءِ هذه الأشياء، فلا يكون هناك ألبتّة وَعْيٌ بوحدات باطنيّة، كما كان هناك وعي في الظّهور المفارق، بالأمر الظّاهر، أو كما كان هناك وعي في الإدراك المفارق، بالأمر المُدْرَكِ. ومع ذلك، فهو يوجد بين هذه الأشياء والظُّهُورِ المُفَارِقِ اشْتِرَاكٌ حقيقيّ لا محالة. إذ أنّ الانطباع الباطنيّ هو إحضار كما كان الإدراك أيضا هو إحضارا. والإحضار الأوّل هو إحضار باطنيّ، والإحضار الثّاني هو إحضار مُفَارِقٌ «بِتَوَسُّطِ» الظّهورات. فيظهر من ذلك إذًا أنّ الظّهورات المفارقة إنّما هي وحدات مُنْشَأَةٌ في الوعي الباطنيّ، وأنّه في هذه الوحدات بِعَيْنِهَا، فَمِنَ المُضْطَرِّ أن تَنْتَشِئَ أيضا وحدات أخرى، ألا وهي الموضوعات الظّاهرة.

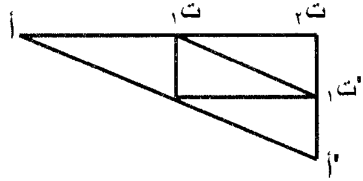
لقد كنّا رأينا فِيمَا سَلَفَ أنّ الوحدات الباطنيّة إنّما تَنْتَشِئُ في سَيَّالٍ من الكثرات الزّمنيّة من الخُفُوتَاتِ. ولو أَتْبَعْنَا البَصَرَ السَّيَّالَ الوَعْيِيَّ، على جهة الطّول، فَسَنَرَى أنّه يوجد في كلّ نقطة نقطة زمنيّة في المحتوى الباطنيّ كثرة من المحتويات الأصليّة المتغيّرة والموصوفة بأنّها تغييرات مَسْكِيَّةٌ للمحتوى الأصليّ الآنيّ. وهذه المحتويات الأصليّة هي تَلْتَبِسُ بها إِخَاذٌ أصليّة ذات تَسَلْسُلٍ تَسَلْسُلاً سَيَّالاً شأنه أن تَنْتَشِئُ منه الوحدة الزّمنيّة للمحتوى الباطنيّ في هُوِيِّةِ في الماضي. و إذ هو معلوم بأنّ المحتوى في الظّهور الإدراكيّ إنّما هو كلّ هذه الظّهورات الموصوفة بكونها وحدات زمنيّة، لَزِمَ إذًا أنّ الأخذ الإدراكيّ هو أيضا لَذُو نَشْأَةٍ في مثل تلكم الكثرة من الخفوتات المُرْزِقَةِ إيّاها وحدتها، الوِحْدَةُ الأخذيّة الزّمنيّة. فبِالوَاجِبِ إذًا أن نَتَبَيَّنَ معنيين اثنين للأخذ: أي الأخذ المُنْشَأَ في الباطنيّة، والأخذ الدَّاخِلَ في فعل الإنشاء الباطنيّ، وفي الأطوار السيّاليّة الأصليّة نفسها، أي الأخذ الأصليّ الّذي لا يُوصَفُ ألبتّة بِكَوْنِهِ مُنْشَأً. ولكن في السَّيَلاَنِ الباطنيّ للظّهورات، والتّعاقب المتّصل في الزّمن الفينومينولوجيّ لِلْإِخَاذِ الموسومة بالإدراكات، فإنّما تَنْتَشِئُ وحدة ما زمنيّة، وذلك لأنّ اتّصاليّة الإِخَاذِ ليس شأنها فقط أن تُحْدِثَ وحدة الظّهورات

المتغيّرة، كَسِلْسِلَةٍ من وُجُوهٍ كثيرة لِشَيْءٍ ما واحد يَدُورُ، فهذه الوجوه إنّما تظهر على أنّها وجوه كثيرة لِشَيْءٍ واحد هوهو، بل هي مُحْدِثَةٌ أيضا وحدة ظهورات لِشَيْءٍ ما ذي بقاء، أو ذي تَغَيُّرٍ.

إنّ الزّمن الباطنيّ هو ينقلب موضوعيّا إلى زمن الأشياء المُنْشَأَةِ في ظهورات باطنيّة، وذلك لأنّه في الكثرات الخُفُوتِيَّةِ للمحتويات الحسّيّة بما هي وحدات زمنيّة فينومينولوجيّة، وأيضا في الكثرات الخفوتيّة الزّمنيّة الفينومينولوجيّة لِلْإِخَاذِ المتعلّقة بهذه المحتويات، فهناك ظهور لِمَوْضُوعٍ واحد شأنه أن يَعْرِضَ في جميع أطواره، أي في الكثرات الخُفُوتِيَّةِ، على أنّه شيء واحد هو هو أبدا. إذ أنّ الشّيء إنّما يَنْتَشِئُ في سَيَلاَنِ ظهوراته، وهذه الظّهورات بعينها فهي مُنْشَأَةٌ أيضا في صورة وحدات باطنيّة في سيّال الانطباعات الأصليّة، وكِلاَ النَّشْأَتَيْنِ فَهُمَا مُتَلاَزِمتَانِ اضْطِرَارًا. إذ أنّ الشّيء الظّاهر ليس يَنْتَشِئُ إلاّ لأنّه في السيّال الأصليّ يُوجَدُ نَشْأَةٌ لِوَحَدَاتٍ حسيّة، وَوَحَدَاتٍ أخذيّة، أي أنّه يوجد أبدا وعي بشيء ما، وعَرْضٌ له، وإحضار له ما ينفكّ يقترب منه، وفي هذا التّعاقب المتّصل هو يوجد أيضا إحضار لِشَيْءٍ ما وَاحِدٍ هو هو. والأصول السيّالة في فعل الإحضار هي ذات سَيَلاَنِيَّةٍ وتسلسل ضروريّين في جَعْلِ كلّ أمر ظاهر فيهما إنّما يَنْبَسِطُ في كَثْرَةٍ من الخُفُوتَاتِ الإحضاريّة، كانبساط المحتوى الحسّيّ في خفوتات حسيّة، سَوَاءً بِسَوَاءٍ. وهو من أجل ذلك كان قد جاز بأن تُوصَفَ الكثرة الأخذيّة، مثلها في ذلك مثل الانطباعات الباطنيّة، على أنها فعل إحضاريّ.

ومن غير الحاجة لِأَنْ نَزِيدَ بَحْثًا في الأمر، فلنا أن نتبيّن ممّا قد قيل بأنّه إذا كانت المعطيات الحسيّة الحاضرة حضورا أصليّا هي، مع انطوائها على الإحضارات الأصليّة، والمِسَاكِ الأصليّة، ومقبل المساك الأصليّة، إنّما تنطوي أبدا على معاني أخذيّة ذات تعلّق بإنشائيّة الموضوعات المَكَانِيَّةِ، فمن المُضْطَرِّ أن يكون التَّطَابُقُ تامّا بين الزّمن الفينومينولوجيّ الّذي فيه إنّما يكون وجود

المعطيات الحسّيّة، وإخاذ الأشياء، وبين مكانيّة الأشياء وزمنيّتها. إذ مع كلّ نقطة نقطة مَمْلُوَّةٍ في الزّمن الفينومينولوجيّ، هو يَعْرِضُ على جهة المُنَاسَبَةِ لَهَا، وبِتَوَسُّطِ المحتويات الحسيّة، وأفعال الأخذ الموجودة فيه، نقطة أخرى في الزّمن الموضوعيّ المَمْلُوِّ.



إنّه في هذا الشّكل، فَخُطُوطُ الطّول ليست ترمز فقط إلى التّطابق الطّوليّ المستوفي ذي التعلّق بالانتشاء الفينومينولوجيّ للزّمن، والّذي بمقتضاه، إنّما يجتمع في آن ما المعطى الأصليّ ت٢، والتّغييرات المسكيّة المتعلّقة بأ'، و'ت١، بل هي ترمز إلى الخُفُوتَاتِ المسكيّة ذات التّعلّق بإِخَاذِ الشّيء من حيث هي كذلك، والمتطابقة هي أيضا تطابقا مُسْتَوْفِيًا. إذًا فهو يوجد تطابقان اثنان. وكلّ سِلْسِلَةِ إخَاذٍ سِلْسِلَةِ إِخَاذٍ ذات تعلّق بشيء ما، فليست تتطابق فقط من أجل الدّخول في إنشائها للتّعاقبيّة المتّصلة، بل من أجل الدّخول أيضا في إنشائها لِشَيْءٍ واحد هوهو. إذ التّطابق الأوّل بالاضطرار، هو تطابق في المُمَاثَلَةِ، ويدخل دُخُولَ الوَاصِلِ؛ أمّا التّطابق الثّاني، فهو تطابق في تحصيل الحقيقة الواحدة، لأنّه في الفعل المتّصل للتّعاقب لِتَحْصِيلِ الحقيقة الواحدة[1]، إنّما يكون هناك وعي بشيء واحد هو هو ذي وجود زمنيّ. ولا بدّ أن نزيد إلى ذلك أيضا الفعل المتّصل في تَحْصِيلِ الحقيقة الواحدة ذا الحصول في أثناء حصول مُقْبِلاَتِ المِسَاكِ الّتي هي حينئذ تكون ذات مدلول مكانيّ موضوعيّ، والمرموز إليه في الشّكل بخطوط الطّول المُتَعَاقِبَةِ.

---

(1) Identification.

لقد كنّا أشرنا فيما سلف إلى المشابهة الموجودة بين نشأة الوحدات الباطنيّة، ونشأة الوحدات المفارقة. فَلِلْمُحْتَوَيَاتِ الحسّيّة، أي لِلْمُعْطَيَاتِ الأصليّة الدّاخلة في إحضار الوحدات الحسّيّة في الزّمن الفينومينولوجيّ، حُكْمٌ، ومعنى ضروريّ، يجري بِمُقْتَضَاهِمَا فعل التّعاقب الأصليّ، ويدخلان في إِنْشَائِهِمَا للوحدة الحسّيّة بطريق التّغيير المرموز إليه في الشّكل؛ ولِخُفُوتَاتِ الشّيء، أي للظّهورات الدّاخلة دُخُولَ المعطيات الأصليّة في التّعاقب الأصليّ أيضا حكم، ومعنى تجري هي كذلك بمقتضاهما. فأوّلا التّعاقب الأصليّ للآنات الظّهوريّة إنّما يدخل في إنشائه للظّهور المتغيّر أو اللاّمتغيّر، بتوسّط المِسَاكِ المؤسِّسَةِ للزّمن، وغَيْرِهَا، في صورة وحدة زمنيّة فينومينولوجيّة. وثانيا إنّه من الظّهورات الكثيرة ما يكون مُتَعَلِّقًا بِشَيْءٍ واحد هو هو لا متغيّر، فتكون حقيقة الظّاهر فيها حقيقة واحدة بالتّمام، كما كانت المعطيات الآنيّة المتعلّقة مثلا بأحمر واحد لا متغيّر، هي ذات معنى واحد بالتّمام. وَقِسْ على ذلك سلسلات التّغيّر في الشّيء، كسلسلات التّغيّر في أحمر ما، فهي تجري أيضا بِمُقْتَضَى حُكْمٍ واحد هو هو. وهو بذلك إنّما تكون النّشأة نَشْأَةً قَصْدِيَّةً لِهَذَيْنِ الأمرين مَعًّا: أيّ لِلظُّهُورِ، ولِلشَّيْءِ الظّاهر، الّذي في ظهوره في كَثْرَةٍ من الظّهورات، فقد يظهر بنحو المتغيّر أو اللاّ متغيّر.

والآن قد يُسْأَلُ هذا السّؤال الطّبيعيّ: تُرَى ما حقيقة الظّهورات الّتي تكون ظُهُورَاتٍ ذَاتَ تَعَلُّقٍ بشيء واحد هو هو؟ إنّ هذا السّؤال إنّما هو طَلَبٌ لِمَعْرِفَةِ مَا نشأة الشّيء المكانيّة المُقْتَضِيَةُ هي أيضا لِنَشْأَتِهِ الزّمنيّة؟

الباب الرّابع والأربعون: في الإدراك الباطنيّ، والإدراك الخارجيّ

وإذ أَثْبَتْنَا الآن الزّمنيّة في الإدراك، فهذا ثَابِتٌ على السَّوَاءِ في الإدراك الباطنيّ والإدراك الموضوعيّ. وذلك أنّه في هذا الإدراك الثّاني هناك أيضا ظهور إدراكيّ متّصل واتّصاليّة في الظّهورات الحاضرة الموضوعيّة مُمْتَازَةُ الحقيقة عن التَّشَابُكِ

المسكيّ والمقبل المسكيّ. إذ كلّ ظهور ظهور للشّيء، أو كلّ شيء كان ذا جهة ما، وذا إحضار ما مخصوص، وهلمّ جرّا، فَبَيِّنٌ أنّه لَذُو زمنيّة أيضا، مثله في ذلك مثل الشّيء الظّاهر بعينه. بل إنّ الوجه الواحد بِمُجَرَّدِهِ الظّاهر من الشّيء هو أمر زمنيّ، وذو تَغْيِيرٍ في هذه الزّمنيّة. ولو تَوَخَّيْنَا دَقِيقَ العِبَارَةِ، ما جاز لنا أن نقول «كون الشّيء ذا وجهة ما»، بل الصّواب أن نقول الفعل الظّهوريّ لِلشَّيْءِ المُمْتَدِّ الوجود ما دامت وجهته هي هي لم تتغيّر؛ أمّا إذا تغيّرت وجهته فهو سَيَلاَنِيَّةٌ متّصلة لِتَغَيُّرٍ ظُهُورِيٍّ، موجودة داخل زمنيّة ما.

أمّا في الإدراك المتعلّق بالموضوع الباطنيّ، فمن الجائز أيضا أن يُوقَفَ وُقُوفًا مُجْمَلاً على المحتوى الباطنيّ الآنيّ المتّصل. فيكون ذلك حينئذ إنّما هو زمنيّة الموضوع بعينه. ولكن الموضوع هاهنا هو لا يظهر كظهوره في الإدراك الخارجيّ. إذ أنّه في الوعي المتعلّق بالموضوع الخارجيّ، فعبارة «إدراك» إنّما قد تَدُلُّ على الظّهور الخارجيّ من حيث هو موضوع باطنيّ، وحينئذ يكون الإدراك والمُدْرَكُ أمرين مختلفين اضطرارا، أمّا في الإدراك الباطني، فما اخْتَلَفَ أيضا الإدراك الباطنيّ والموضوع المُدْرَكُ، به، لم يجز، ألبتّة، أن يُفْهَمَ من عبارة الإدراك، الأمر الباطنيّ، أي الموضوع بعينه. إذًا فَمِمَّا ينبغي أن يُعْقَلَ من عبارة الإدراك الباطنيّ، فهو فقط، أوّلا الوعي الباطنيّ المُنْشِئُ للزّمنيّة، ذو التعلّق بالموضوع الباطنيّ الواحد، وهذا الوعي ليس يُشْتَرَطُ حتّى يوجد أن يكون مُتَنَبِّهًا عَلَيْهِ. وثانيا الوعي الباطنيّ المُقْتَرِنُ به فعل التَنَبُّهِ عليه[1]. ومن اليَسِيرِ جدّا أن نتبيّن بأنّ فعل الوُقُوفِ على، أو التنبّه على، إنّما هو فعل باطنيّ ذو زمنيّة باطنيّة متطابقة، مثلا، مع زمنيّة الصّوت الباطنيّ حينما يُصْرَفُ إليه النّظر.

إذًا ففي الإِدْرَاكِ لِلْمَوْضُوعِ الخارجيّ يوجد هذا:

---

(1) L'attention.

أوّلا الظّهور الخارجيّ.

وثانيا الوعي المُنْشِئُ الّذي فيه إنّما يَنْتَشِئُ الظّهور الخارجيّ في صورة الشّيء الباطنيّ.

وثالثا التَّنَبُّه عَلَى، الّذي له أن يَنْصَرِفَ إمّا إلى الظّهور، وما يَتَرَكَّبُ منه، أو إلى الشَّيْءِ الظَّاهِرِ بما هو ظاهر. واعلم أنّ هذا الظّاهر بما هو ظاهر هو وحده المقصود عَادَةً بعبارة الإدراك الخارجيّ.

ولَكَ أن تَقِيسَ على ذلك أيضا أمر التّذكّر، مع فَرْقٍ صَغِيرٍ، وهو أنّ التّذكّر بما هو تذكّر إنّما هو ذو قصديّة خَاصِيَّةٍ وهي أنّه فعل مُحْضِرٌ ثاني الإحضار. فالتّذكّر هو ذو وحدة فعليّة في الوعي الباطنيّ، وذو وضع، وذو زمنيّة في وحدة الزّمن الباطنيّ. وهذه الحال لَمُطَّرِدَةٌ أيضا سواء كان التّذكّر تذكّرا لِأَمْرٍ ما باطنيّ، أو تذكّرا لِأَمْرٍ ما مفارق. وكلّ تذكّر تذكّر، إذا أسقطنا منه، في النّظر، فعل التّنبّه عَلَى، فهو أيضا تذكّر لِشَيْءٍ ما باطنيّ. وإذ أنّ الوعي بالصّوت الباطنيّ مثلا، من حيث هو وعي باطنيّ أصليّ، من الممتنع أن يُوصَفَ بكونه ذا زمنيّة باطنيّة، فإنّ الوعي المُحْضِرَ ثاني الإحضار لِهَذَا الصّوت الباطنيّ، والّذي بنحو ما، هو وعي مُحْضِرٌ ثاني الإحضار للوعي الباطنيّ الصّوتيّ، فهو موضوع باطنيّ ذو وجود في الزّمنيّة الباطنيّة.

الباب الخامس والأربعون: في نَشْأَةِ الأُمُورِ المُفَارِقَةِ اللاَّزَمَنِيَّةِ

وأنت تعلم هذا أنّ كلّ وعي وعي بِمَا هو وحدة، أي كلّ وعي وعي بما هو وحدة باطنيّة مُنْشَأَةٌ، فَمِنَ المُضْطَرِّ أن يكون أيضا وحدة وعي بالموضوع المتعلّق به. ولكن ليس معنى هذا أنّ كلّ وعي وعي، فلا بدّ أن يكون وعيا مُنْشِئًا إنْشَاءً قَصْدِيًّا لِلزَّمَنِ. فمثلا إنّ الوعي الحاكم في حَالِ شَيْءٍ رِيَاضِيٍّ[1]

(1) Etat de chose mathématique.

مَاثِلٍ لنا مُثُولاً تامّا في وحدته، فليس بِشَيْءٍ زمنيّ ألبتّة. إذ الحكم ليس بفعل إحضاريّ، ولا بفعل مُحْضِرٍ ثاني الإحضار. وعلى ذلك، فإن كان من الجائز جدّا أن نقول في شيء ما، أو حَدَثٍ، أو وجود زمنيّ على أنّه مدلول عليه في التّخيّل، أو أنّه ظاهر ظهورا خياليّا، أو ظهورا تذكّريّا، أو تَرَقُّبيًّا، أو مَسْكِيًّا كَجَوَازِ قولنا فيه، سواء بسواء، بأنّه قد يظهر في صورة الحاضر، أو يكون مُدْرَكًا، فمن غير الجائز ألبتّة أن نقول في حَالِ شَيْءٍ رِيَاضِيٍّ على أنّه قد يظهر ظُهُورَ الحاضر، أو ظُهُورَ المُحْضَرِ ثاني الإحضار. وبَيَانُهُ أنّ الحكم يَجُوزُ أن يكون ذا وجود زمنيّ طويل أو قصير، وأن يكون مُنْتَشِرًا في الزّمن الذّاتيّ، وأن يتعلّق به إحضار أو ثاني الإحضار، أمّا المعنى المحكوم به[1] في الحكم، فمن الممتنع أن يُوصَفَ بأنّه ذو طول أو قصر زَمَنِيَيْنِ. وقِسْ على هذا المحكوم به شِبْهَ الحكم في الإحضار ثاني الإحضار لِلْحُكْمِ. فما يكون حِينَئِذٍ مُحْضَرًا إحضار ثانيا، إنّما هو الحكم، وليس المعنى المحكوم به بِعَيْنِهِ. أمّا العبارة الشّائعة «مُطْلَقُ التَّعَقُّلِ[2]» لِحَالٍ شَيْئِيٍّ، فلا ينبغي إطلاقا أن يُظَنَّ منها أنّها تدلّ على أنّ هذه الحال هي مُحْضَرَةٌ إحضارا ثانيا، بل أنّها تَدُلُّ على أنّ هذه الحال لَمَاثِلَةٌ لنا في صورة المعنى المتغيّر على جهة التَّوَقُّفِ الحُكْمِيِّ[3]، والعَارِي تَمَامًا من كلّ وصف وصف اعْتِقَادِيّ. إذ أنّ جِهَاتِ[4] الاعتقاد ليست بالمُتَطَابِقَةِ إطلاقا مع جِهَتَيِّ الحضور و اللاّحضور، وإنّما تتقاطع معها. وقد نقول ببعض التَّجَوُّزِ، أنّه من الجائز أن نصف حالا شَيْئِيًّا فَرْدِيَّةً، بالزّمنيّة، ولكن بِقَيْدِ أن يكون الشّيء الموصوف بالحال، والمُعْتَبَرُ بالنّظر العقليّ، والمُدْرَكُ في فِعْلٍ تَأْلِيفِيٍّ واحد، ممّا يمكن إحضاره إحضارا إدراكيّا، وإحضاره ثاني الإحضار على جهة التّخيّل. أمّا حال الشّيء اللاّزمنيّ العَارِي إطلاقا من كلّ إشارة لِمَعْنَى

---

(1) Ce qui est jugé.

(2) Simplement pensé.

(3) Neutralité.

(4) Caractère de croyance.

زَمَنِيٍّ واحد، فَمِنْ الخلف جِدًّا أن يُوصَفَ بالزّمنيّة، أو أن يُقَالَ فيه إنّه مُحْضَرٌ، أو مُحْضَرٌ ثاني الإحضار. إذ أنّ القول بأنّه هناك تخيّل لِحُكْمٍ رياضيّ ما، لا يُرَادُ منه ألبتّة أن يُجْعَلَ من المحتوى الرّياضيّ صورة خياليّة، كما لو كان هذا الفعل، أي فعل الحكم، إنّما شأنه الإحضار، أو شأنه الإحضار ثاني الإحضار.

إنّ الظّهور، على المعنى الأوّل، أي على معنى الإحضار، هو يوجد فقط في الإحضار وفي تغييراته، ومن لَوَازِمِ حقيقة كلّ ظاهر ظاهر، أو كلّ مُعْطى مخصوص لِمَوْجُودٍ فرديّ أن يُعْطَى في صورة اتّصاليّة ظهوريّة إحضاريّة. ولا نِزَاعَ في أنّه من الأَحْوَالِ الشَّيْئِيَّةِ ما قد يظهر أيضا مُطْلَقَ الظّهور، ويقتضي أن تكون إِجَازَتُهُ[١] في معطى مخصوص. وليس يَنَالُ في شيء هذا الّذي أثبتناه أنّه من الأحوال الشيئيّة أي الوَاقِعَاتِ الطّبيعيّة المُؤَصَّلَةِ على ظهورات فرديّة، أي ظهورات طبيعيّة ما شأنه أن يُعْطَى إعطاء مُؤَصَّلاً على معطيات ظهوريّة مُقَارِنَةٍ له، أي على لاَمُتَنَاهٍ من الإحضارات. ومع ذلك، فالقول الواجب قولنا: إنّ نِسْبَتَنَا الإحضار، أو الظّهور لِلْحَالِ الشَّيْئِيِّ، إنّما هي نسبة تَجَوُّزِيَّةٍ، وليست بحقيقيّة. إذ أنّ الحال الشيئيّ[٢] لا يمكن أن تُوصَفَ وصفا صحيحا بالزّمنيّة، وإن كانت قد توجد لِزَمَنْ ما، فمن الممتنع ألبتّة أن تُوصَفَ هي نفسها بأنّها لَشَيْءٌ زمنيّ، وفعل زمنيّ. وذلك أنّه ما يَنْبَغِي أن يُرَدَّ إليه مَعْنَيَيْ الزّمنيّة والإحضار، ليس هو الحَالَ الشَّيْئِيِّ من حيث هي حال شيئيّ، بل شَيْئُهَا المُتَعَلِّقَةُ هي به.

وقِسْ على ذلك كلّ الأفعال الأخرى المُؤَصَّلَةِ ومُتَعَلَّقَاتِهَا. فمثلا المعنى[٣] ليس له وَضْعٌ زمنيّ، إذ أنّ الموضوع الزّمنيّ قد يكون لِزَمَنٍ ما، ذَا حُسْنٍ،

---

(1) Légitimation.

(2) Etatdechose.

(3) Une valeur.

ومُلِذًّا، ونَافِعًا، وهلمّ جرّا. أمّا الحسن، واللّذّة، وهلمّ جرّا، فلا وجود لها ألبتّة في الطّبيعة أو الزّمن. ولا يمكن أن تُوصَفَ بكونها ذات ظهور في الإحضارات أو الأفعال المُحْضِرَةِ ثاني الإحضار.

القسم الثّاني

تكملات مُتَرَتبَةٌ من لَدُنْ سنة ١٩٠٥ إلى سنة ١٩١٠

تكملة أولى: في الانطباع الأصليّ، وفي مُتَّصِلِ التّغييرات المتعلّق به[أ]

إنّ كلّ انطباع أصليّ هو انطباع أصليّ، وكلّ تغيير هو تغيير. وأيضا كلّ تغيير فهو تغيير ذو اتّصال. وهذه الاتّصاليّة هي ما به اختلف هذا النّمط من التّغيير عن ضروب أخرى منه خياليّة، أو متعلّقة بالوعي الخياليّ. إذ أنّ كلّ تغيير تغيير زمنيّ إنّما هو حدّ لا يمكن أن يقوم بذاته في متّصل ما. وهذا المتّصل هو عبارة عن كثرة خطّيّة ذات نهاية في أحد طرفيها، أي ذات مبدأ في انطباع أصليّ، وتُوَاصِلُ الوجود على جهة التّغيير في جهة ما. وكلّ حدّين حدّين ذَوَيْ بُعْدٍ واحد في هذا المتّصل إنّما هما عبارة عن أطوار زمنيّة في الموضوع، شأنها أن يلزم عنها على جهة الموضوعيّة بُعْدٌ واحد هو هو.

وأوّل ما قد يُفْهَمُ من عبارة «تغيير» التّغيير الّذي ينال أبدا الانطباع الأصليّ فَيُفْنِيهِ. ولكن هو بَيِّنٌ بأنّ كلّ تغيير فهو أيضا تغيير لِتَغْيِيرٍ ما متقدّم. إذ من الجائز جدّا، لو نظرنا في أيّ طور من أطوار المتّصل، أن نقول فيه حينها، إنّه مِمَّا يَعْتُورُهُ الفناء. وهذا الأمر إنّما هو لازم عن حقيقة ذلك المتّصل، وكلّ متّصل آخر مشارك له في الجنس، أي يكون ذا جهة واحدة. فيمكن أن نَقِيسَ ذلك قياسا صحيحا بالتّمام على اتّصاليّة الكثافات المبتدئة من الصّفر. ونوع التّغيّير الّذي قد ينال هاهنا كلّ كثافة كثافة إنّما هو الزّيادة. وكلّ كثافة ففي ذاتها

(أ) تكملة ذات صلة بالباب الحادي عشر من الكتاب (إشارة المترجم الفرنسيّ).

هي ما هي، وكلّ أخرى فهي أخرى على التّخصيص. أمّا إذا قِيسَ كلّ كثافة متأخّرة إلى كثافة أخرى متقدّمة عنها، فمن الجائز حينئذ أن تُوصَفَ بأنّها إنّما هي أَثَرٌ لِفِعْلٍ ما. فمثلا، لو كان ب هو تكثيفا لـأ، كان إذًا ج، إذا قِيسَ إلى أ، تكثيف التّكثيف. إذ أنّ مبدأ الاتّصاليّة إنّما يقضي بأنّ كلّ حدّ حدّ، ليس هو تكثيفا بالقياس إلى حدّ ما متقدّم فقط، بل إنّه تكثيف لِتَكْثِيفِ التَّكْثِيفِ، ويستمرّ الأمر كذلك إلى ما لانهاية له، وإلى ما لانهاية له في الصّغر. وكلّ هذا، إذًا، هو لامتناه من التّغييرات الدّاخلة بعضها في بعض. ولكن في هذا المثال، المبدأ لا يمكن أن يكون كثافة، بل المبدأ هو صفر. وكلّ متّصل خطّي، فمن لوازم حقيقته أنّه يجوز أبدا، إذا أُخِذَ منه حدّ ما، أيًّا كان، بأن يُعْتَبَرَ كلّ حدّ آخر على أنّه أبدا أَثَرٌ لذلك الحدّ الأوّل، وأن يُنْظَرَ إلى كلّ حدوث متّصل فيه، على أنّه حدوث على جهة التّكرار المتّصل. ومن الجائز أن نُقَسِّمَ قسمة وهميّة إلى ما لانهاية له كلّ فصل فصل، وأن ننظر، مع كلّ قسمة، إلى الحدّ التّالي لِحَدٍّ مَوْضِعِ القسمة على أنّه أَثَرٌ حادث بتوسّط الحدّ المتقدّم عنه. وهو حِينَذَاك إنّما يكون حصول حدّ ما، أي يكون حصوله لِمَكَانِ زيادة ما من الزّيادات اللاّمتناهية الكثرة الّتي كلّ زيادة فيها، فهي زيادة بعينها لا متناهية الصّغر. وَقِسْ على ذلك أيضا أمر التّغيير الزّمنيّ؛ بل إنّ عبارة الإحداث هي تُقَالُ على سائر الاتّصاليّات على المجاز، وتُقَالُ في التّغيير الزّمنيّ على الحقيقة. إذ أنّ المتّصل المُنْشِئَ للزّمن إنّما هو عبارة عن سيّال إِحْدَاثِيٍّ متّصل من تغييرات لِتَغْيِيرَاتٍ. فهناك أوّلا الآن الفعليّ، أي أبدا أوّلا الانطباع الأصليّ أ، فالتّغييرات المتزايدة على جهة التّكرار ودائما. ولكن هذه التّغييرات هي ليست تغييرات بالقياس فقط إلى أ، بل وأيضا، وعلى إثر أ، هي تغييرات بعضها لِبَعْضٍ في تعاقبيّة تكون سائلة فيها. وإنّه لَكَذَلِكَ إنّما يكون الحدوث المتّصل، أي أنّ كلّ تغيير فهو يلزم منه أبدا تغيير آخر. أمّا الانطباع الأصليّ فهو الأصل المطلق في هذا الحدوث، والينبوع الدّائم لِسَائِرِ الأشياء كلّها. ولكن الانطباع الأصليّ ليس هو بِعَيْنِهِ مُحْدَثًا، ولا ينشأ كنشأة الأمور المُحْدَثَةِ، بل إنّه ينشأ نشأة أصليّة على جهة

الفِعْلِيَّةِ. وهو لا ينمو كما تنمو الأشياء ذوات البُزُورِ، بل هو إبداع أصليّ. وإن فُسِّرَ ذلك بالقول: هناك أبدا آن متجدّد ينشأ في الآن وينقلب إلى اللاآن، أو هناك حصول أو انْبِجَاسٌ فَجْأَةً لِيَنْبُوعٍ ما، فما هو إلاّ وصف لِلأَمْرِ بعبارة مجازيّة. أمّا القول على جهة الحقيقة، فلا يكون إلاّ هذا: إنّ الوعي مُجَرَّدًا عن الانطباع هو لا شيء، وكلّما كان شيء زمنيّ، كان انقلاب لـأ إلى **س أ'**، ولِـ **س أ'** إلى ج **س'أ''**، وهلمّ جرّا. وفعل الإحداث الرّاجع إلى الوعي، فلا تعلّق له إلاّ بانقلاب أ إلى أ'، وبانقلاب س أ' إلى **س'أ''**؛ أمّا هذه الحدود: ، **وس**، **و ج**، فليس الوعي الّذي يُحْدِثُهَا إطلاقا، بل إنّها آثار أصليّة، ومُبْدَعَاتٌ، وأمور تنشأة نشأة منفصلة عن الوعي، والوعي إنّما يتلقّاها، خِلاَفًا لِمَا يكون حدوثه بطريق فِعْلِيَّةِ(A) الوعي المخصوصة. واعلم أنّ خاصّة فِعْلِيَّةِ الوعي هذه أنّها لا تُبْدِعُ ألبتّة، ولا شأن لها إلاّ بأن تزيد في الحادث الأصليّ وتُنَمِّيهِ. والحقّ أقول أنّ ما نُسَمِّيهِ تَسْمِيَةً تجريبيّة بالكون والحدوث، فإنّما يصدق على الموضوعيّة، ولا يصدق على ما يصدق عليه قولنا هاهنا فِعْلِيَّةُ الوعي، أو بعبارة أصدق قولنا فِعْلِيَّةُ الوعي الأصليّة.

أمّا في المعنى الأصليّ فهو إمّا انطباع أصليّ إن تعلّق الأمر بالينبوع الأصليّ المعطي للآن الفعليّ في المحتوى المُنْشَئِ، أو هو تذكّر أصليّ، أو فعل أصليّ تخيّليّ، وهلمّ جرّا، إن تعلّق الأمر بإحداثات فعليّة للوعي تَنْحَفِظُ فيها وحدة حقيقة ذلك الآن المُتَصَرِّمَةِ. ولو أمعنّا النّظر في الأقسام، فسنرى أنّ كلّ معنى أصليّ في قسم ما إنّما هو الينبوع الأصليّ لإحداثات فعليّة هي تسري إلى الأقسام التّالية المتغيّرة تغيّرا متّصلا، ويوجد فيها ما يدلّ على هذا المعنى الأصليّ الّذي من البَيِّنِ أنّه لا يوجد إلاّ في القسم الّذي كان قد أُدْرِكَ أوّلا. إنّ كلّ معنى معنى أصليّ فهو مُنْقَلِبٌ أبدا بعد كونه أصليّا إلى طور في سلسلة من المعاني الأصليّة المنقلب بعضها إلى بعض في تعاقبيّة من الأقسام. وَلِنَقُلْ أيضا أنّ كلّ معنى معنى أصليّ فهو داخل في إنشائه لِزَمَنِيَّةٍ ما مُتَعِيَّنَةٍ، وأنّه من شرط كلّ إنشائيّة لِزَمَنِيَّةٍ ما متعيّنة أن يكون لِكُلِّ حَدٍّ حَدٍّ فيها ما يُنَاسِبُهُ من آن فعليّ

ليس يكون نشأته هو نفسه إلاّ في معنى ما أصليّ مخصوص. وهذه المعاني هي أبدا مجتمعة في تعاقبيّة ما، وأبدا منقلب بعضها إلى بعض. وهذا الانقلاب هو مُتَوَسَّطٌ إليه توسّطا كيفيّا، وهو زمنيّ معًا: إذ أنّ معنى الشَّبِيهِ بالزّمن إنّما هو معنى مُتَّصِلٌ.

تكملة ثانية: في ثاني الإحضار، وفي التّخيّل، وفي الانطباع، وفي التخيّل[ب]

اعلم أنّه ليس كلّ ما يُقَالُ عليه اسم ثاني الإحضار في معناه المُجْمَلِ جدّا، يُقَالُ عليه كلّه اسم التّخيّل في معناه المجمل جدّا والمُتَوَاطِئِ تَوَاطُؤًا ناقصا. فأوّلا، هو يوجد ذكريات لا حدسيّة، وثاني إحضارات أُخْرَى لا حدسيّة، ولا تُسَمَّى إطلاقا بالخيالات. وثانيا إنّا لانُنَازِعُ في أنّه إذا كان الفعل الإحضاريّ ثاني الإحضار، فعلا حدسيّا، فمن الجائز جدّا أن نقول هذا أو ما يُشْبِهُهُ، أي بأنّ التّذكّر إنّما هو يَعْرِضُ للتّخيّل. ولكن نحن نَمْنَعُ كُلَّ المَنْعِ أن نجعل من التّذكّر بِعَيْنِهِ شيئا واحدا هو والتّخيّل. إذ أنّ الإحضار ثاني الإحضار قد يكون إمّا ثاني إحضار للشّيء في شخصه، وقد يكون تصويرا ما، له، في الصّورة، أي في المشابهة. حينئذ قِيلَ إنّ المُحْضَرَ ثاني الإحضار إنّما هو يعرض في هيئة الصّورة التّخيّليّة، أو قيل إنّه مُصَوَّرٌ في ظهور ما تخيّليّ. وهُنَالِكَ تكون الصورة إنّما أمرها رَاجِعٌ إلى التّخيّل، أمّا فيما يَتَعَدَّاهَا هي، أي في علاقتها بالشّيء المُصَوَّرِ بالصّورة، فهذا الأمر لا يكون إطلاقا من مشمولات التّخيّل. إذ من الخلف أن نقول بأنّ هذه العلاقة بعينها هي تظهر أيضا في التّخيّل، فَيَكُونَ تخيّلان مُتَرَاصّانِ. بل لِتَعْلَمْ جَيِّدًا أنّه حَيْثُمَا ذُكِرَ لك اسم التّخيّل، أي التّخيّل لِمَوْضُوعٍ ما، فافهم منه أبدا بأنّ الموضوع فيه إنّما يظهر في ظهور ما، أي في

(ب) تكملة ذات صلة بالباب السّابع عشر من الكتاب (إشارة المترجم الفرنسيّ).

ظهور ليس شأنه الإحضار، وإنّما شأنه الإحضار ثاني الإحضار. ولِسَائِلٍ أن يسأل: هَلاَّ زِدْتَ الأمر تفصيلا، وبَيَّنْتَ المُرَادَ هاهنا من عبارة الظّهور؟ فنجيب: إنّ الموضوع إمّا أن يكون مَحْدُوسًا، أو يُدَلَّ عليه دَلاَلَةً رمزيّة، أي بالعلامات، أو يُدَلَّ عليه على جِهَةِ الخَوَاءِ. أمّا الحدس، وأيضا الدَّلاَلَةُ على جِهَةِ الخَوَاءِ، فكلّ منهما هو دَلاَلَةٌ على الموضوع دَلاَلَةً بسيطة، وبلا تَوَسُّطٍ. وأمّا الدَّلاَلَةُ الرّمزيّة فهي دَلاَلَةٌ مُؤَصَّلَةٌ، ومُتَوَسَّطٌ إليها بدَلاَلَةٍ بسيطة، وهي الدَّلاَلَةُ على جهة الخواء. ومن شأن الدَّلاَلَةِ الحدسيّة أن تُظْهِرَ الموضوع، وليس ذلك من شأن الدَّلاَلَةِ على جهة الخواء. ولنا أن نُرَتِّبَ أوّلا، الدَّلاَلاَتِ البسيطة تحت قسمين اثنين، قِسْمٍ أَوَّلٍ يضمّ الدَّلاَلاَتِ البسيطة الحدسيّة، وقسم ثان يضمّ الدّلالات البسيطة الخاوية. ولكن الدّلالات الخاوية قد تكون أيضا دلالة رمزيّة، تدلّ على الموضوع، دون دلالتها عليه على جهة الخواء، بتوسّط العلامات والصّور. وحينئذ فالموضوع يكون مُصَوَّرًا ومَجْعُولَ التَّعَيُّنِ في صورة، ولايكون مُدَلاًّ عليه بِعَيْنِهِ دَلاَلَةً حدسيّة. إنّ كلّ ثاني إحضار حدسيّ للموضوع، فهو يَدُلُّ عليه، أي على الموضوع، في نَمَطٍ ما تخيّليّ. وهو ينطوي على ظهور ما، تخيّليّ، ذي تعلّق بهذا الموضوع. وهذا الإحضار ثاني الإحضار قد يكون إمّا موصوفا بالفعليّة[١]، أو اللاّفعليّة[٢]، وقد تكون جِهَتُهُ العَقَدِيَّةِ أَيَّ وَاحِدٍ من هذه المعاني: اليقين، أو الاعتقاد، أو الظّنّ، أو الشّكّ، وهلمّ جرّا. وسواء كانت إشارته إلى الموضوع إشارة له على أنّه أمر قد مضى، أو على أنّه أمر ذو حضور، وفي التّرقّب هو يوجد أيضا وعي رمزيّ لِمَكَانِ أنّ ثاني الإحضار إنّما من شأنه أن يجعل الموضوع المُتَرَقَّبَ ذَا تَعَيُّنٍ مَا، فأبدا هو هناك أصل مشترك واحد، ألا وهو «الظّهور التّخيّليّ المطلق». واعلم أنّ المسألة إنّما أن نُبَيِّنَ كيف أنّ هذا الأصل المشترك هو مَضْمُومٌ إلى كلّ الأشياء

---

(1) Actualité.

(2) Inactualité.

الباقية؛ وكيف كانت إِخَاذٌ أخرى قد توجد مُقْتَرِنَةً بالفعل الأخذيّ لِهَذَا الأصل المشترك. وأيضا هو يوجد في كلّ إحضار إحضار محض حدسيّ ظهور ما، وفي كلّ إحضار إحضار بطريق التَّمْثِيلِ الرّمزيّ هو يوجد ظهور ما، ولكن هذا الظّهور ليس هو بالظّهور التّخيّليّ، بل إنّه ظهور إدراكيّ. إذًا، فهناك ظهورات إدراكيّة، وظهورات تخيّليّة؛ والثّانية إنّما تنطوي على مادّة أخذيّة هي الصّور الخياليّة[1]، أو الإحساسات المُغَيَّرَةُ على جهة الإحضار لها ثاني الإحضار؛ والأولى إنّما تنطوي على مادّة أخذيّة هي الإحساسات بِعَيْنِهَا.

ولِسَائِلٍ أن يسأل: ليت شعري، وكيف كان الظّهور الخياليّ إنّما هو تغيير ثاني إحضاريّ للظّهور الإدراكيّ المناسب له؟ إذ ليس من شكّ أنّ ذلك لا يمكن أن يكون لِمَكَانِ ضُرُوبٍ ما كَيْفِيَّةٍ، أو جِهَاتٍ ما في الإثبات الّتي لا دخول لها ألبتّة في هذا الأمر. بل هو يوجد تغيير آخر منفصل الحقيقة عن التّغيير الممكن لِهَذِهِ الضّروب الكيفيّة. إذ أنّ الإحساسات إنّما تناسبها الصّور الخياليّة، ولكن الإِخَاذُ، والظّهورات الكاملة إنّما ينالها التّغيير بحذافيرها أيضا، وهو عين التّغيير الّذي شأنه أن ينال الإخاذ بقطع النّظر عن جهاتها الإثباتيّة[2]. وإن كان الأخذ، أو الظّهور الكامل ليس ينفكّ في وجوده عن ضرب كيفيّ ضرورة، فمع ذلك ليس لِهَذِهِ الضّرورة أَيُّ دخول في هذا التّغيير التّخيّليّ المقصود بالبحث هاهنا.

فَلْنُسَمِّ الظّهور التّخيّليّ المُجَرَّدَ عن ضربه الإِثْبَاتِيِّ بالمَظْهَرِ[3]، أو لِنَقُلْ بعبارة أدقّ، إنّ الظّهور التّخيّليّ المجرّد عن ضربه الإثباتيّ إن دخل في الإدراك، سمّيناه بالمظهر الإدراكيّ، وإن دخل في وهم، سمّيناه بالمظهر الوهميّ. وأيضا فلنا أن نَتَبَيَّنَ مظهرين آخرين، وهما المظهر الانطباعيّ، أو المظهر الحسيّ،

---

(1) Phantasmes.

(2) Modalités de la prise de position.

(3) Apparence (Apparenz).

والمظهر التّخيّليّ الّذي قد يكون إمّا محتوى لِتَذَكُّرٍ، أو لِوَهْمٍ في تَذَكُّرٍ، وهلمّ جرّا. فَيَبِينُ إذًا أنّ المظهر الّذي هو أصل واحد في جميع الأفعال الحدسيّة إنّما تتعلّق به التّفرقة الموجودة بين الانطباع والتّخيّل، وهذه التّفرقة هي ضروريّة حتّى ينفصل أحدهما عن الآخر في كلّ ظاهرة، الإحضار، وثاني الإحضار. وهو بَيِّنٌ جدّا أنّ هذه التّفرقة بين الانطباع والتّخيّل ليس مَحَلُّهَا فقط الحِسَّ الظّاهريّ، بل محلّها أيضا الحسّ الباطنيّ. أو بعبارة أخرى: إنّ كلّ المعاني الجِهِيَّةِ الّتي قد تقترن بالمظهر، والمعاني الوجوديّة المُتَضَايِفَةِ معها، كمعنى الحَقِيقِيِّ الّذي هو موجود، أو قد كان موجودا، أو لا بدّ أن يوجد، أو سيوجد، أو معنى المظهر الوهميّ، أو معنى الموجود الفعليّ المُحْضِرِ ثاني الإحضار، وهلمّ جرّا، فكلّ هذه المعاني جميعا إنّما تدخل هي أيضا تحت القسمة إلى انطباع، وتخيّل؛ وتدخل كذلك تحت هذه القسمة التّمنّي، والإرادة، وهلمّ جرّا. ومع ذلك فهو من اللاّزم أن نميّز هاهنا بين الإحساس، والمظهر سواء كان في الحسّ الباطنيّ، أو الحسّ الظّاهريّ، وأن نميّز في المظهر بين المظهر بِعَيْنِهِ، ومعانيه الجِهِيَّةِ المتعلّقة به. فمثلا أنا لَمُعْتَقِدٌ في ذا وذا. فالاعتقاد اعتقاد فِعْلِيٌّ، أي هو انطباع. وتُنَاسِبُهُ صورة خياليّة بالاعتقاد. ثمّ هو لا بدّ أن نميّز هذا الاعتقاد بعينه، أو الإحساس الاعتقاديّ عن فعل الأخذ له على أنّه حَالٌ لِي، أي عن الحُكْمِ. لأنّ ذلك إنّما هو وَعْيٌ إِدْرَاكِيٌّ بأنا، وبِحُكْمِي أَنَا. ولا بدّ أيضا أن نَتَبَيَّنَ في هذا الأخذ، المظهر الباطنيّ، والجِهَةِ العَقَدِيَّةِ الّتي تضع الموجود، وهو اعتقادي، وتُسْلِكُهُ في الواقع الموجود.

وليس يحصل عندنا التّفرقة بين الاعتقاد وأخذ الاعتقاد حتّى نَتَبَيَّنَ دُفْعَةً واحدة أنّ الأخذ إنّما هو تَبَيُّنٌ نفسانيّ شأنه أن يضع الأمر الباطنيّ في اقْتِرَانٍ بالعَالَمِ الواقعيّ.

فكلّ وعي وعي إذًا، فإمّا أن يكون إحساسا، وإمّا أن يكون صورة خياليّة.

وكلّ وعي، أي كلّ إحساس في معناه الواسع جدّا، فهو أمر مُدْرَكٌ وَمُدَلٌّ عليه، أي هو مُتَذَكَّرٌ، ومُجَرَّبٌ بنحو من الأنحاء. ولكن هذا الوعي هو أبدا ذو صِنْوٍ له، ألا وهو الصّورة الخياليّة.

تكملة ثالثة: في القصديّات التّسلسليّة، وفي الإدراك والتّذكّر، وفي جهات(١) الوعي بالزّمن(ت)

ولننظر الآن في هذا الضّرب من الوعي المُسَمَّى التّذكّر. فإنّه إذا أُخِذَ على أنّه وعي لا مُغَيَّرٌ، كان إحساسا، أو بعبارة أخرى ذات معنى واحد ومعنى الإحساس، كان انطباعا. أو بعبارة أَبْيَنَ: إنّ التّذكّر قد ينطوي على صور خياليّة، ولكن هو نفسه ليس بِتَغْيِيرٍ على جهة التّخيّل لِوَعْيٍ آخر يكون هو الإحْسَاسَ المُتَعَلِّقَ به هذا التّغيير. ولكن هو يوجد فيه مَظْهَرٌ ما. فمثلا أنا أتذكّر فعلا ما، وتفسيره أنّه في هذا التّذكّر هو يوجد المظهر التّخيليّ لِعَيْنِ الفعل الّذي يظهر مُقْتَرِنًا به ظَهْرٌ(٢) ما مَظْهَرِيٌّ أكون أنا نفسي موجودا فيه؛ وكلّ هذا المظهر وإن كان موصوفا بوصف المظهر التّخيّليّ، فالجهة العَقَدِيَّةُ(٣) الّتي له، أنّه تذكّر.

وإذ تقرّر ذلك، فاعلم أنّه من الجائز جدّا أن يُوضَعَ التّذكّر بعينه في التّخيّل، أي أن يكون التّذكّر موجودا في التّخيّل، أو أن يكون التّذكّر موجودا في التّذكّر. فأنا قد أكون أعيش في ذكرى ما، وهذه الذّكرى قد تبعث فِيَّ ذكرى أَنِّي كنت قد تذكّرت هذا أو هذا الشّيء، أو قد أتخيّل أنّي لي ذكرى ما. وهُنَالِكَ، فليس من شكّ أنّ المعنى الجِهِيّ(٤) الموصوف به الذّكرى إنّما ينقلب

---

(1) Les modes de la conscience.

(ت) تكملة ذات صلة بالباب الثّالث والعشرين من الكتاب (إشارة المترجم الفرنسيّ).

(2) Arrièreplan.

(3) Mode de croyance.

(4) L'élément modal.

إلى صورة خياليّة ذات تعلّق بالتّغيير التّخيّليّ الّذي نال هذه الذّكرى؛ ومع ذلك، فإنّ مادّة الذّكرى، أي المظهر التّذكّريّ، فهو بِعَيْنِهِ لا يناله التّغيير ألبتّة كما لم يكن لِيَنَلْ التّغيير إطلاقا الصّور الخياليّة المنطوية في التّذكّر. إذ ليس هناك صورة خياليّة ذات مرتبة ثانية. لذلك فإنّ كلّ مظهر مظهر تذكّريّ يدخل دُخُولَ المادّة في ذكرى ما، فهو صورة خياليّة، ولا يناله ألبتّة تغيير ثان.

وإن لو اسْتَقْصَيْنَا أكثر، وقلنا ها هو ذا تذكر لِتَذَكُّرٍ، فَسَيَلْزَمُ أنّه في كلّ تَسَلْسُلٍ لِفِعْلٍ مَا تذكّريّ، أي في كلّ تسلسل لِوَعْيٍ ما تقوم به، وتسيل فيه مظاهر ما تخيّليّة على جهة التّذكّر، فإنّما هو يظهر وُجُودٌ لِتَذَكُّرٍ مَا مُغَيَّرٍ ضَرُورَةً. وأَهَمُّ ما قد قيل في المعنى السّالف، فَبِالوَاجِبِ قوله بِعَيْنِهِ في هذا المعنى. فالجهة الكيفيّة في التّذكّر البسيط إنّما تنقلب هاهنا إلى تَذَكُّرٍ لِتَذَكُّرٍ: على معنى أنّه قد صار لنا صورة خياليّة تذكّريّة ذات جهة كيفيّة تذكّريّة، أي هي صورة خياليّة مُتَّحِدَةُ الحقيقة مع الجهة الكيفيّة لِلْفِعْلِ التَّذَكُّرِيِّ بِأَسْرِهِ. ومع ذلك فإنّ الصّورة الخياليّة التّذكّريّة إنّما هي معنى تذكّريّ لِشَيْءٍ مَا، ذو انْبِنَاءٍ على المظهر التّخيّليّ، وهذا المظهر التّخيّليّ إنّما يكون هو هو في التّذكّر البسيط، و في تَذَكُّرِ التَّذَكُّرِ. ولِقَائِلٍ أن يقول: إنّ خاصّة التّذكّر، خِلافًا لِكُلِّ شيء آخر يدخل فيه دُخُولَ المحتوى، أنّه يشتمل على فعل أَخذِيٍّ شأنه أن يضع التّذكّر في علاقة ما بالواقع المُدْرَكِ الآن بالفعل. إنّ هذا الكلام لَصَحِيحٌ قَطْعًا، ولكن صحّته لا تنال في شيء مِمَّا قد أسلفنا بيانه. وذلك أنّه بالواجب أن نَتَبَيَّنَ في الفعل الأخذيّ بعينه أمرين اثنين: المحتوى، والجهة العَقَدِيَّةَ. وَلاَنِزَاعَ في أنّ الأخذ الموجود في التّذكّر البسيط الّذي هو لِي أنا الآن مثلا، هو غير الأخذ الموجود في تَذَكُّرِ التَّذَكُّرِ الّذي شأنه أن يصل الذّكرى المُتَذَكَّرَةَ إلى حَاضِرٍ مُتَذَكَّرٍ على أنّه حدّ ما فِعْلِيٌّ. أمّا الحَقِيقُ بالتَّنْوِيهِ هاهنا، فهو أنّ المظاهر الّتي قد نُحِيطُ بها إحاطة حدسيّة تامّة، وتكون لنا على التَّخْصِيصِ، بنحو الظُّهُورَاتِ، فليس يعتورها أَيُّ تَغْيِيرٍ إطلاقا. وقِسْ على ذلك أيضا محتوى الإخاذ الّتي شأنها أن تَصِلَ المظاهر إلى الحاضر، والّتي لا نزاع في كونها لا يمكن أن تكون تامّة الحدسيّة.

ولكن إيَّانَا وأن نفهم هذه العلاقة إلى الحاضر الفعليّ المُخْتَصِّ بها التّذكّر، والفَاصِلَةِ إِيَّاهُ عن التّخيّل البسيط، بأنّها معنى قد زِيدَ إلى الفعل من خارجه. بل إنّه من البَيِّنِ أَنَّهَا لَشَبِيهَةٌ جدّا بالعلاقة الموجودة بين كلّ إدراك إدراك، وهُنَا[A1] مَا فِعْلِيٍّ. إذ أنّه كلّ تذكّر إنّما يَصْرِفُ أبدا إلى تَسَلْسُلٍ لاَمُتَنَاهٍ من الذّكريات، أي إلى أمور ما مُتَقَدِّمَةٍ، كما كان كلّ إدراك إنّما يصرف أبدا إلى لامتناه من الإدراكات ذات أصناف مختلفة. ومن المعلوم أنّ الهُنَا[A] لا يمكن أن يكون مُدْرَكًا، أي مُعْطًى بِعَيْنِهِ في التّذكّر. وإنّه أيضا لَمِنَ الجائز جدّا أن ننظر إلى الإدراك في ذاته، وأن نعتبره مُجَرَّدًا عن التّسلسل الدّاخل فيه. ولكن هذا التّسلسل، وإن لم يكن ذا وجود فعليّ على أنّه تسلسل لِإِدْرَاكَاتٍ مُقْتَرِنٍ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، فإنّما هو لَذُو وجود بالقوّة في القصد. على معنى أنّه كلّما اعتبرنا إدراكا ما كاملا لِآنٍ ما، ظهر لنا أنّه لَذُو اشْتِمَالٍ أبدا على تَسَلْسُلاَتٍ صُورَتُهَا هذه الصّورة: أي أنّ هذا الآن هو يَشْتَمِلُ على جُمْلَةٍ مُرَكَّبَةٍ من القصديّات المُتَعَيِّنَةِ أو اللاّمتعيّنة، والّتي شأنها أن تَمُدَّ الأمر بَعِيدًا، وأن تصير ذات حصول في إدراكات أخرى. لِذَلِكَ، لم يكن من الجائز أن نُسْقِطَ هذه القصديّات التَّسَلْسُلِيَّةَ. أمّا الإحساس الّذي قد يَعْتَبِرُهُ الذّهن على أنّه مُجَرَّدٌ، فهو في الخارج لا يمكن إطلاقا أن يوجد مُجَرَّدًا. أي أنّ المحتويات الأوّليّة هي أبدا مُنْطَوِيَةٌ على شُعَاعَاتٍ أخذيّة؛ وأَيًّا ما كانت هذه الشّعاعات لاَ مُتَعَيِّنَةً، فهي لا بدّ منها حتّى تدخل المحتويات الأوّليّة دخولا نَافِعًا في فعل الإدراك. وَقِسْ على ذلك التّذكّر، فهو أيضا لَمُنْطَوٍ على التّسلسل. وهو بما هو تذكّر لَذُو صورة حقيقتها ترجع إلى كونها مَعَانِيًا ما قصديّة شأنها الإشارة إلى المابعد، والماقبل، ومن غير هذه المعاني امتنع إطلاقا أن يوجد تَذَكُّرٌ. وإذا ما أُرِيدَ صِحَّتُهَا(١)، لزم تَوَارُدُ سلسلات تذكّريّة تُفْضِي بِأَخَرَةَ إلى الحاضر الفعليّ. وَلِذَلِكَ كان من

---

(1) Réalisation.

المحال أن يوجد التّذكّر مُجَرَّدًا عن القصديّات المُوصِلَةِ إيّاه إلى قَصْدِيَّاتٍ أخرى.

إذًا، فالتّذكّر هو مُنْطَوٍ على هذه القصديّات، ولا يمكن أن نستخلص منه «محض التّخيّل». وَلِقَائِلٍ أن يقول: لقد علمنا أنّ التّذكّر إنّما هو تذكّر لِحَاضِرٍ ما متقدّم، أي أنّه فعل شِبْهُ إِدْرَاكِيٍّ[1]، ويجعلنا نَعِي بسيلان زمنيّ ما: فما الّذي يمنع أن نُثْبِتَ في أذهاننا جملة الظّاهرة، وأن نُسْقِطَ من طَرَفَيْهَا القصديّات التّذكّريّة المَقُولَةَ على التَّخْصِيصِ. والجواب: إنّ الإدراك بعينه، أي الفعل الأصليّ إنّما هو لَذُو تسلسل ليس فقط تسلسلا مكانيّا، بل لَذُو تسلسل تسلسلا زمنيّا. إذ كلّ إدراك إدراك، فهو يَطِيفُ به هَالَةٌ مَسْكِيَّةٌ، ومقبل مسكيّة. كذلك فإنّ كلّ تغيير إدراكيّ إنّما ينطوي ضَرُورَةً على تَيْنِكَ الجهتين من الهالة المتغيّرتين، أمّا كيف انفصل التّذكّر عن محض التّخيّل، فمن جهة أنّ تِلْكُمُ الجملة القصديّة المركّبة إنّما تكون في التّذكّر متّصفة بالفعليّة، وفي الأخرى متّصفة باللاّفعليّة.

إنّ كلّ إحساس فَذُو قصديّات تَسُوقُ من آن إلى آن آخر، وهلمّ جرّا: أي هناك قصديّة إشارتها إلى المستقبل، وأخرى إشارتها إلى الماضي. كذلك التّذكّر فهو ذو قصديّات تذكّريّة شأنها أن تُشِيرَ إلى المستقبل. وهذه القصديّات هي تَامَّة التَّعَيُّنِ، وذلك لأنّ صِحَّتَهَا، ما كانت ممكنة لنا، إجمالا، إنّما تَسِيلُ في جهة مُتَعَيِّنَةٍ، وذات محتوى متعيّن على التَّمَامِ؛ أمّا في الإدراك، فقصديّات المستقبل هي إجمالا، لا متعيّنة في مادّتها، ولا تَتَعَيَّنُ إلاّ في الإدراك الفعليّ اللاّحق. بل الأمر المُتَعَيِّنُ فيه الوحيد إنّما أنّ شيئا ما، إجمالا، سيحصل.

وأمّا في القصديّات المُشِيرَةِ إلى الماضي، فهي في الإدراك تكون مُتَعَيِّنَةً على

---

(1) Quasiperception.

التّمام، ولكن جهتها هي عكس جهة القصديّات المتعيّنة المذكورة في التّذكّر. إذ هناك تسلسل متعيّن بين الإدراك الحاضر وسلسلة الذّكريات، وفي هذه الصّورة، وهي أنّ القصديّات التّذكّريّة ذات الوجهة الواحدة إنّما نهايتها هي في الإدراك. وبَيِّنٌ جِدًّا أنّ هذه الذّكريات لا تكون إلاّ بالقوّة، ولا تُعْطَى بالفعل مع الإدراك إلاّ فيما نَدَرَ، أي إلاّ في القليل منها. وهو معلوم أيضا أنّ الإدراك إنّما يكون أبدا مُشْتَمِلاً على قصديّات تشير إلى الماضي، ولكنّها تكون خاوية، وذات نسبة إلى الذّكريات، أو سلسلة الذّكريات. إذ أنّ الّذي مضى من قريب، أو ما قد نُسَمِّيهِ بالقصديّات الخاوية المُبْهَمَةِ ذات التعلّق بالماضي المتقدّم، فكلاهما إنّما يُشِيرُ إلى الآن. وهذه القصديّات إنّما تصحّ، أو تصير حقيقيّة، ما طِرْنَا بطريق التّذكّر إلى الماضي، وأحضرناه ثاني الإحضار، على جهة الحدس، وفي ذهابه قُدُمًا إلى الآن الحاضر. ولِقَائِلٍ أن يقول: إنّ الحاضر هو ينشأ أبدا من الماضي، أي قَطْعًا، الحاضر المتعيّن من الماضي المتعيّن. أو بعبارة أصدق: إنّ السيّال المتعيّن ما ينفكّ يتجدّد، وأبدا هناك آن فعليّ يفنى وينتقل إلى آن آخر متجدّد، وهلم جرّا. وكان ما كان هذا المعنى ضروريّا ضرورة مَا قَبْلِيَّةً، فالشّرط فيه إنّما هو شرط تَوَاصُلِيٌّ، على معنى أنّه بالتّجربة إنّما يتعيّن التّسلسل الماضي، ويتعيّن أنّ شيئا ما سيحصل. ومع ذلك فهو يوجد هاهنا تَبَيُّنٌ ممّا هو متأخّر، أي من مُرَكَّبِ القصديّات الزّمنيّة المشيرة إلى التّجربة، لِمَا هو أصليّ، ولا حقيقة له أخرى ألبتّة إلاّ كونه عين الانتقال من الآن الفعليّ إلى آن آخر متجدّد أبدا.

وهو من لوازم حقيقة الإدراك، ليس فقط بأن يكون بِعَيْنَيْهِ حَاضِرٌ نُقَطِيٌّ[1]، وأن يَتْرُكَ يَغِيبُ عن عينه هذا الّذي مضى من قريب الّذي مع ذلك، هو يبقى ذا وعي به في صورة هذا الّذي مضى من قريب المخصوصة، بل إنّ من لوازم حقيقة الإدراك أيضا الانتقال من آن إلى آن، وأن يذهب أبدا إلى ملاقاته بطريق النّظرة المُسْتَشْرِفَةِ. إذ أنّ الوعي اليَقِظَ، أو الحياة اليقظة، هي حياة تذهب

---

(1) Présent ponctuel.

لِلْمُلاَقَاةِ، إنّها حياة تذهب من آن إلى آن آخر لِمُلاَقَاتِهِ. ونحن لا نريد بذلك، هاهنا، فقط، أو في المقام الأوّل، الانتباه؛ بل إنّه يبدو لي أنّه لَيُوجَدُ قَصْدِيَّةٌ ما أصليّة منفصلة الحقيقة عن الانتباه بِمَعْنَيَيْهِ العامّ والخاصّ، شأنها أن تذهب من آن إلى آن آخر، وتكون مَعًا مُقْتَرِنَةً إلى قصديّات متولّدة من الماضي لاَمُتَعَيِّنَةٍ، أو متعيّنة بعض التّعيّن ذات إشارة إلى التّجربة. وهذه القصديّات لَهَا أن تُبَيِّنَ بَعْدُ ما الحدود الكبرى لهذا الاقتران. أمّا النّظرة المنتقلة من آن للوقوع على آن آخر، فهي لَشَيْءٌ أصليّ، وهي الأمر الوحيد الّذي شأنه أن يفتح السّبيل للقصديّات المُسْتَقْبَلِيَّةِ حتّى تشير إلى التّجربة؛ وأنا قد قلت إنّ ذلك هو من لوازم حقيقة الإدراك، بل الأَبْيَنُ قولنا: إنّ ذلك لَهُوَ من لوازم حقيقة الانطباع، أو أيضا من لوازم حقيقة كلّ محتوى أوّليّ، أو إحساس إحساس. أمّا الصّورة الخياليّة، والمحتوى الأوّليّ، فهما دليلان على التّغيير الّذي ينال الإدراك فيحصل منه وعي بشيء شِبْهِيّ[1]. وهو كلّما صحّ تَذَكُّرٌ فعليّ، كان من لوازم حقيقة هذا الوعي بالشّيء الشّبهيّ الانْسِلاَكُ في الماضي. واعلم أنّه من لوازم حقيقة التّغيير التّذكّريّ أن يَنْحَفِظَ التّغيير الموجود في جملة الوعي الأصليّ بالآن انْحِفَاظًا تَامًّا، أي أن تَنْحَفِظَ كذلك القصديّات الزّمنيّة الّتي توجد في تَسَلْسُلِهَا النّظرة الانطباعيّة، أي أن يَنْحَفِظَ، إجْمَالاً، كلّ التّسلسل القصديّ المُنْسَلِك فيه الانطباع الأصليّ، والخالع هو عليه خَاصَّتَهُ المَخْصُوصَةَ.

إنّ الإحساس هو ما نَعُدُّهُ الوعي الأصليّ بالزّمن. إنّه في الإحساس إنّما تَنْتَشِئُ كلّ وحدة باطنيّة، أي اللّون، والصّوت، والتّمنّي، واللذّة، وهلمّ جرّا. أمّا ثاني الإحضار، فقد يكون إمّا تذكّرا، أو تَرَقُّبًا، أو أيضا محض تخيّل. وَلِذَلِكَ فمن غير الجائز أن نُثْبِتَ أنّه لا يوجد إلاّ جهة واحدة في التَّغْيِيرِ. إنّ الإحساس هو الوعي المُحْضِرَ للزّمن، وفعل الإحضار ثاني الإحضار هو أيضا إحساس، وذو حضور، ونشأة في صورة الوحدة في الوعي الإحضاريّ للزّمن.

---

(1) Consciencedequasi.

وأنت قد رأيت أنّ كلّ ما قد يكون حَقِيقًا بِالتَّبَيُّنِ مِنْ ضُرُوبٍ في الوعي الإحضاريّ للزّمن إنّما هذه المعاني، أي معنى إحضار الآن، ومعنى إحضار هذا الّذي مضى من قريب، المُقْتَرِنِيَيْ الوجود مَعًا في الوعي الإحضاريّ المُتَعَيِّنِ. وأيضا معنى الفعل الإحضاريّ المنطوي على كلّ الطّور الإحضاريّ للآن، والفعل المسكيّ المنفصل الّذي، قَطْعًا، هو موصول الوجود إلى الآن الفعليّ، ولكنّه لا ينطوي، إطلاقا، على أيّ حدّ إحضاريّ للآن: كالوعي بهذا الصّوت الفاني مِنْ قَرِيبٍ. فظهر إذًا أنّ لِلْوَعْيِ بالزّمن ثَلاَثَةَ ضروب أولى: فأوّلا، الإحساس الّذي هو فعل إحضاريّ، والمسك، ومقبل المسك المتداخلين تداخلا جوهريّا مع الفعل الأوّل، ولكن هما مِمَّا يمكن عَدُّهُمَا بالمنفصلين عنه، إذَا مَا كان النّظر في الأصل في عُمُومِ مَعْنَاه. وثانيا، الإحضار ثاني الإحضار الإِثْبَاتِيَّ، وهو التّذكّر، أو الإحضار ثاني الإحضار لِمَا يُمْكِنُ أَنْ يَصْحَبَ أو يلحق، وهو التَّرَقُّبُ، وثالثا، ثاني الإحضار الخياليّ، وهو محض الخيال، وكلّ الضّروب المتقدّمة، فقد تُوجَدُ فيه، إذا كان الوعي وعيا مُتَخَيَّلاً.

تكملة رابعة: في ثاني التّذكّر، وفي نشأة الموضوعات الزّمنيّة، والزّمن الموضوعيّ[ث]

إنّه من الممكن أن يَتَكَرَّرَ مرّتين إدراكنا لِمَوْضُوعٍ زمنيّ ما، وإذَا ما تعاقب الإدراكان، فالمُنْتَشِئُ منهما إنّما هو الوعي بِتَعَاقُبِ لِمَوْضُوعَيْنِ زَمَنِيَّيْنِ متشابهين عَلَى التَّمَامِ. وليس إلاّ في التّذكّر ثاني التّذكّر هو يمكنني أن أُصِيبَ الموضوع الزّمنيّ الواحد مُتَكَرِّرًا، وأستطيع أن أَتَبَيَّنَ فيه، أي التّذكّر، أنّ ما أتذكّره الآن إنّما هو عين ما كنت قد أدركته آنفا. وهذا الحكم لَمُطَّرِدُ الوُجُودِ سواء في التَّذَكُّرِ البَسِيطِ، كقولي: لقد أدركت هذا الأمر آنفا، أو في التّذكّر ذي الرّتبة

(ث) تكملة ذات صلة بالباب الثّاني والثّلاثين من الكتاب (إشارة من المترجم الفرنسيّ).

الثّانية، كقولي: لقد كنت قد تذكّرت هذا الأمر آنفا. فظهر بذلك أنّ الموضوع الزّمنيّ، فمن الممكن أن يصير موضوعا واحدا هو هو لِأَفْعَالٍ تجربيّة متكرّرة جدّا. إذ أنّ الموضوع إذا ما أُعْطِيَ أوّلا، فمن الممكن أن يُعْطَى إعطاء ثانيا، ويُكَرَّرُ النّظر فيه مَا شِيءَ مِنْ مَرَّاتٍ، فتجتمع حقيقته الواحدة[١] في أفعال كثيرة تنتظم انتظاما تَعَاقُبِيًّا.

واعلم أنّ ثاني التّذكّر لا يقتصر فقط على أن يعطي ثاني الإعطاء الوعي بالموضوع، بل إنّه، مثلما أنّ الإدراك هو يعطي الموضوع الزّمنيّ، ومعه مَعًا، أُفُقَهُ الزّمنيّ، كذلك، فثاني التّذكّر هو مُعْطٍ ثاني الإعطاء لِذَلِكَ الأفق الزّمنيّ أيضا. إذ أنّ تذكّرين ثانيين اثنين يجوز جدّا أن يكونا تذكّرين لِمَوْضُوعَيْنِ زَمَنِيَيْنِ اثنين متشابهين على التّمام، كصوتين اثنين متشابهين على التّمام. ولكنّهما لا يكونان تَذَكُّرَيْنِ ثانيين اثنين لِمَوْضُوعٍ زمنيّ واحد هو هو، إلاّ إذا كان الأفق الزّمنيّ للمدّة الزّمنيّة، هو هو، ولا يُغْنِي في ذلك كونها ذات محتوى هو هو، أي إلاّ إذا كان التّذكّران الثّانيان إنّما يكرّر أحدهما الآخر تكرارا مُسْتَوْفِيًا لِمُحْتَوَاه القصديّ، وإن اختلف هذا المحتوى في كلّ مرّة، وضوحا، ولَبْسًا، وتَمَامَ صُورَتِهِ أو نُقَصَانَهَا، وهلمّ جرّا. فبان إِذًا أنّ الجمع في حقيقة واحدة للموضوع الزّمنيّ إنّما هو وحدة نَشْئِيَّةٍ لازِمَةٍ عن أَفْعَالٍ ما ممكنة تَطَابُقِيَّةٍ جمعيّة في حقيقة واحدة[٢]، ترجع إلى التّذكّر. والموضوعيّة الزّمنيّة هي تَنْتَشِئُ في السيّال الزّمنيّ الذّاتيّ، وهو من لوازم حقيقتها أن يكون الجمع لها في حقيقة واحدة إنّما هو في أفعال تذكّريّة، وأن تصير حينئذ موضوعا واحدا لِمَحْمُولاَتٍ وَاحِدَةٍ هي هي.

إنّ الزّمن الحاضر بالفعل هو مُتَعَيِّنُ الجِهَةِ، وأبدا هو مُتَعَيِّنُ الجهة في السيّال، وذلك أبدا ابْتِدَاءً من آن آخر متجدّد. وكذلك في ثاني التّذكّر، فالزّمن في كلّ آن من آنات الذّكرى، هو يُعْطَى، قَطْعًا، على أنّه متعيّن الجهة، ولكن كلّ آن من

---

(1) Etre identifié.

(2) Recouvrements identificateurs.

هذه الآنات إنّما هو حدّ زمنيّ موضوعيّ يجوز أن تَتَكَرَّرُ مَعْرِفَتُهُ في عَيْنِ حَقِيقَتِهِ الواحدة أبدا، والانتشار الزّمنيّ هو مُكَوَّنٌ من حدود محض موضوعيّة، ويمكن أن تتكرّر معرفته في عين حقيقته الواحدة أبدا. فَلِسَائِلِ أن يسأل: وأيّ شيء المُرَادُ هاهنا بوحدة حقيقة الموضوع؟ فَيُجَابُ: إنّما هذه السّلسلة هي المُنْشِئَةُ لِوَعْيٍ أَصْلِيٍّ بالوحدة، أعني سلسلة الانطباعات الأصليّة والتّغييرات المتّصلة، وهي سلسلة من الأصول المتشابهة شأنها أن تُنْشِئَ صورا ما متطابقة، ومنطوية على معاني المشابهة، أو معاني المخالفة الدّاخلة أيضا تحت معنى أعمّ في المشابهة. فهو في سِلْسِلَةٍ من التَّغْيِيرَاتِ كتلك إنّما يكون هناك وعي بوحدة ما اضطرارا، كوحدة الصّوت المتّصل في الزّمن اتّصالا قد يقترن إمّا بلا تغيّر تامّ، أو بتغيّر ما، وأيضا كوحدة المدّة الزّمنيّة بعينها الّتي فيها إنّما يكون الصّوت ذا وحدة، وشأنه أن يتغيّر أو ألاّ يتغيّر. والصّوت قد يمتدّ، ومدّته الزّمنيّة قد تَعْظُمُ، ثمّ هو يبطل، فينقلب إلى مَاضٍ، ومدّته الزّمنيّة كلّها تسيل، فيذهب هو أكثر فأكثر في الماضي. فظهر إذًا أنّ الصّوت قد يُعْطَى مثلا على أنّه صوت لا يتغيّر أبدا في مدّته الزّمنيّة، ولكن هذا الصّوت اللاّمتغيّر مُحْتَوَاهُ في الزّمن، إنّما يَعْتُورُهُ تَغْيِيرٌ مَا، لا ينال المحتوى، بل ينال صورة انعطاء المحتوى في الزّمن. وإذا ما وقفنا عند الظّاهرات، فَسَتَبِينُ صور كثيرة في الوحدة. ومع التّغيير المتّصل في صورة الانعطاء، وإذا ما نظرنا في المعاني التّغييريّة المتعلّقة بكلّ حدّ حدّ زمنيّ، فسنرى وحدة ما أيضا: إنّها وحدة الحدّ الصّوتيّ. وهذا الحدّ الصّوتيّ إنّما يبقى هو هو في حقيقته الواحدة، ولكن يظهر أبدا ظهورا آخر في صورة ذهابه ذهابا أبعد في الزّمن. وأيضا إنّ اتّصاليّة السيّال الزّمنيّ هي يَلْزَمُ عنها وحدة ما: إنّها وحدة المحتوى الواحد المتغيّر أو اللاّمتغيّر، أي وحدة الموضوع الزّمنيّ. إنّها هذه الوحدة الّتي شأنها الهُوِيُّ في الماضي. ولكن هي غير كافية في أن يكون لنا أيضا موضوعيّة زمنيّة تَامَّةٌ.

ويقترن بانْتِشَائِيَّةِ الزّمن، القوّة على معرفة الشّيء على أنّه عين الشّيء الواحد[1]: إذ من الممكن أبدا أن يُنْصَرَفَ إلى الزّمن المتقدّم، مجدّدا، أي أن يُؤْتَى فعل ثاني التّذكّر، وأن يُبْدَعَ إبداعا مُتَجَدِّدًا كلّ فصل من الفصول الزّمنيّة على التّمام، حتّى يُحَاطَ مَعْرِفَةً بعين الشّيء الواحد في أفعال إبداعيّة ثاني الإبداع الموجودة الآن بالفعل: أي حتّى يُحَاطَ مَعْرِفَةً بِعَيْنِ المدّة الزّمنيّة، وبعين محتواها، أي بعين الموضوع الواحد. فالموضوع إنّما هو وحدة في الوعي شأنها الانْتِشَاءُ على أنّها عين الشّيء الواحد في أفعال متجدّدة، أي في التّعاقبيّة الزّمنيّة، وشأنها الانتشاء على أنّها عين الشّيء الواحد المتعلّق به القصديّة، والّذي يمكن معرفته على أنّه عين الشّيء الواحد في أفعال وَعْيِيَّةٍ بلغت ما بلغت كثرتها، وبخاصّة في أفعال إِدْرَاكِيَّةٍ بلغت ما بلغت كثرتها. ويكون في كلّ مرّة، من الجائز جدّا أن يُقَالَ هذا هو الشّيء الواحد بِعَيْنِهِ. كذلك الفعل الموجود في الزّمن، فمن شأنه أن يكون لنا به تجربة أولى، وتجربة أخرى في تجارب ثانية متجدّدة يُحَاطُ به فيها مَعْرِفَةً على أَنَّهُ لَعَيْنُ الفعل الزّمنيّ الواحد. إذ هو من الممكن أبدا أن نعود إليه بالنّظر الذّهنيّ، وهذا النّظر الذّهنيّ إنّما هو عبارة عن تجربة ثانية أصليّة. وإذا تقرّر كلّ هذا، فاعلم أنّه لَكَذَلِكَ فقط إنّما تكون نشأة الزّمن الموضوعيّ، وفي المقام الأوّل، نشأة زمن هذا الّذي مضى من قريب، والفعل التّجربيّ المُنْتَشِئُ فيه الزّمنيّة، وكلّ مسك مسك زمنيّ، إجمالا، إنّما هما مجرّد تصوير[2] بالقياس إلى هذا الّذي مضى من قريب. فهو يوجد هيئة أصليّة: إذ هناك سيّال ذو محتوى، ولكن هناك أيضا كثرة أصليّة تُوسَمُ بالقدرة: إذ هو من المقدور لي أن أنتقل حيثما شئت في السّيّال، وأن أعاود إبداعه تارة أخرى. وهاهنا، فكما في إنشائيّة المكان الموضوعيّ، هو يوجد أيضا حدّ ما فاضل أتمّ الفضل. إذ أنّ صورة الزّمنيّة، إذا ما نُظِرَ إليها فيما تقدّم كانت ذات

---

(1) Possibilité de l'identification.

(2) Profilation.

لَبْسٌ، وتكون في شخصها إذا ما كانت بَيِّنَةً، وهي كلّما كانت بيّنة أكثر، كان ظهورها في شخصها أَتَمَّ.

تكملة خامسة: في الاقتران الزّمنيّ لِلْإِدْرَاكِ والمُدْرَكِ[ج]

لِمَ كان من الجائز أن نقول إنّ الإدراك والمُدْرَكَ ذوا اقتران في الزّمن؟ بل إنّه في الزّمن الموضوعيّ، عند الرّأي السّاذج، فهذا القول هو كَذِبٌ، إذ من الممكن أن يكون الأمر المُدْرَكَ في آن الفعل الإدراكيّ قد بَطُلَ وجوده إطلاقا، كحال النّجمة؛ وحِينَئِذٍ، فبالواجب أن نقول كذلك إنّ الآن الإدراكيّ هو أبدا مُخَالِفٌ لِآنِ الأمر المُدْرَكِ.

ولِنَنْظُرِ الآن عند الرّأي الفينومينولوجيّ، في الزّمن الموضوعيّ ذي الظّهور، والّذي فيه إنّما يكون الوجود الزّمنيّ للموضوع المفارق. وهُنَالِكَ فسوف نرى أَلاَّ تطابق بين زمنيّة الإدراك وزمنيّة الأمر المُدْرَكِ، وأنّ الموضوع المُدْرَكَ هو يوجد قبل وجود الإدراك، ويبقى موجودا أيضا بعد ذهاب الإدراك. ولكن هو من الجائز أن نقول إنّ الموضوع الإدراكيّ هو مُتَعَلِّقٌ لِإِدْرَاكٍ ممكن متّصل يكون مُسَاوِقًا له من أوّل زمنه حتّى آخِرِهِ. وعلى هذا فَيَظْهَرُ أنّ كُلَّ طَوْرٍ طَوْرٍ في زمن الموضوع إِنَّمَا يُنَاسِبُهُ طَوْرٌ آخر في الإدراك. ولكن ليس معنى ذلك أنّه هناك مطابقة بين الحدّ الأصليّ في زمنيّة الموضوع، والحدّ الأصليّ في زمنيّة الإدراك، وأنّ الآن في طور الموضوع الإدراكيّ، والآن المناسب له في طور الإدراك هما شيء واحد هو هو. بل أنت تعلم أنّ المعطيات الحسّيّة ذات الدّخول في إنشائيّة الموضوع المفارق إنّما هي وحدات مُنْشَأَةٌ في السَّيَلاَنِ الزّمنيّ. وليس إلاّ في الآن الّذي يبدأ فيه الأخذ إنّما يبدأ الإدراك؛ أمّا قبل الأخذ فلا يوجد إِدْرَاكٌ. إذ أنّ الأخذ هو نَفْخُ الرُّوحِ في المُعْطَى الإِحْسَاسِيِّ.

(ج) تكملة ذات صلة بالباب الرّابع والثّلاثين من الكتاب (إشارة المترجم الفرنسيّ).

وَلِسَائِلٍ أَنْ يَسْأَلَ: إنّ الأخذ النّافخ من روحه، أَيَبْدَأُ مع بداية المُعْطَى الإحساسيّ أم أنّ المُعْطَى الإحساسيّ إنّما يكون ضَرُورَةً قد سبقت نشأته سَبْقًا ولو في زمن صغير جدّا حينما يبدأ هو في الوجود. وكأنّ الصّواب في هذا الوجه الثّاني. إذ أنّه أَوّل ما يبدأ الأخذ، فإنّ جزء من المعطى الإحساسيّ يكون قد تَصَرَّمَ، ولا يكون محفوظ الوجود إلاّ على جهة المسك. إذًا فالأخذ هو يَنْفُخُ من روحه ليس فقط في الطّور الّذي يكون أبدا طورا فعليّا للإحساس الأصليّ، بل إنّه لَيَنْفُخُ من روحه في كلّ المعطى الحسّيّ، وكذلك في الجزء المُتَصَرِّمِ منه. وهذا يدلّ على أنّ الأَخْذَ إنّما يضع الموضوع بِمَا هو مُنَاسِبٌ للسّيلان الإحساسيّ، وبما هو مناسب لكلّ المدّة الزّمنيّة للسّيلان، أي هو يضعه بما هو مناسب أيضا للفصل الزّمنيّ المتقدّم عن الأخذ الإدراكيّ. فيلزم من ذلك أنّه هناك لا محالة فصل زمنيّ ما، بين الحدّ الأصليّ للإدراك، والحدّ الأصليّ للموضوع. وإذا ما زدنا بيانا للشّروط الخارجيّة الّتي تجري أحكامها على ظهور كلّ معطى معطى إحساسيّ، فقد يَبِينُ لنا أيضا معنى الإثبات الطّبيعيّ المُشَارِ إليه آنفا، والقاضي بلا اقترانيّة اقترانيّة زمنيّة للإدراك والأمر المُدْرَكِ.

فَلْنُسْقِطْ الآن من الاعتبار الموضوعات المفارقة، ولنسأل في الأمر الباطنيّ ما حقيقة الاقتران الزّمنيّ للإدراك والأمر المُدْرَكِ. إنّا، هاهنا، إن كنّا نريد بالإدراك فعل الرّويّة الّذي فيه إنّما تُعْطَى الوحدات الباطنيّة، فالرّويّة هي تَقْتَضِي حَتْمًا أنّ شيئا ما كان قد تقدّمت نشأته، وحُفِظَ على جهة المسك حتّى يُكَرَّ عليه ثانية بالنّظر: فيكون الإدراك إذًا لاحقا للأمر المُدْرَكِ، وليس بِمُقْتَرِنٍ به الاقتران الزّمنيّ. ولكن أنت تعلم أنّ الرّويّة والمسك، كما قد بيّنّاه آنفا، إنّما يقتضيان الوعي الباطنيّ الانطباعيّ للمُعْطَى الباطنيّ، ولِنَشْأَتِهِ الأصليّة، وأنّ هذا الوعي الباطنيّ هو مُقْتَرِنٌ اقترانا مُتَعَيِّنًا بالانطباعات الأصليّة المختلفة، ولا يَتَجَرَّدُ عنها إطلاقا: لِذَا، فإنّه متى أردنا أن نَدُلَّ باسم الإدراك على الوعي الباطنيّ أيضا، جَازَ حِينَئِذٍ قَضَاءُنَا هاهنا بِوُجُودِ اقْتِرَانٍ زَمَنِيٍّ تَامٍّ للإدراك والأمر المُدْرَكِ.

تكملة سادسة: في معرفة السيّال الباطنيّ، وفي المعاني الأربعة للإدراك(ح)

إنّ الموضوعات المقصودة بالنّظر هاهنا هي موضوعات زمنيّة شأنها الانْتِشَاءِ. أمّا الأصل الحسّيّ، أي الظّهور المُجَرَّدُ عن الأخذ، فهو الآن، ثمّ هو هذا الّذي مضى من قريب، ثمّ هو هذا الّذي مضى من قريب مُضِيًّا أَبْعَدَ، وهلمّ جرّا. وفي هذا الآن بِعَيْنِهِ يكون موجودا أيضا مَسْكٌ لِلْآنِ المُتَصَرِّمِ ذي التّعلّق بكلّ مراتب الزّمنيّة المُوعَى بها الآن. إذ أنّه كلّ آن آن قد تصرّم، فهو حَافِظٌ فيه، على جهة المسك، لِكُلِّ المَرَاتِبِ المتقدّمة. فمثلا إنّي قد أرى طائرا يطير في روضة قد غَمَرَهَا ضوء الشّمس. إذًا، ففي الطّور الّذي قد أَتَبَيَّنُهُ أنا في زمن هو كَلَمْحِ البَصَرِ، وأيضا في كلّ آن آن آخر متجدّد، فسوف أجد وعيا مسكيّا بالخُفُوتَاتِ المتصرّمة ذات التعلّق بالوضع الزّمنيّ. ولكنّ الذّيل الزّمنيّ لكلّ طور طور، فهو بِعَيْنِهِ إنّما شأنه الهُوِيُّ في الزّمن، وهو يشتمل على خُفُوتٍ مَا. وجميع المحتوى لكلّ آن آن هو يَهْوِي في الماضي، ولكنّ هذا الهُوِيَّ ليس هو بالفعل الّذي شأنه أن يُكَرَّرَ إلى ما لا نهاية له. إنّ العصفور ينتقل في المكان، إنّه يطير. إذًا، ففي كلّ وضع آخر له متجدّد، فإنّما يَعْلَق به، أي بظهوره رَجْعُ(١) الظّهورات المتقدّمة. ولكن كلّ طور طور في هذا الرّجع هو يفنى في أثناء طيران العصفور، وكلّ طور طور متجدّد، فإنّما ينطوي كذلك على سلسلة من الرِّجَاعِ. لذا كان الموجود هاهنا ليس مجرّد سلسلة من الأطوار المتعاقبة، أي طور واحد لكلّ آن آن فعليّ، بل الموجود هو سلسلة لكلّ طور طور متعاقب مخصوص.

إذًا فَمِمَّا يَبِينُ لنا، بعد الرَدِّ الفينومينولوجيّ(٢)، أنّ كلّ ظهور زمنيّ،

(ح) تكملة ذات صلة بالباب الرّابع والثّلاثين من الكتاب (إشارة من المترجم الفرنسيّ).

(1) Echos.

(2) Réduction phénoménologique.

إنّما ترجع حقيقته إلى كونه سَيَّالاً ما كالموصوف آنفا. لكن لِتَعْلَمْ أنّ الوعي الّذي إليه يرجع كلّ الظّهور الزّمنيّ لا يمكن أن يكون هو بِعَيْنِهِ أَمْرًا مُدْرَكًا. وذلك لأنّه لو كان أَمْرًا مُدْرَكًا، لَكَانَ موضوعا زمنيّا مُقْتَضِيًا اضْطِرَارًا لِوَعْي مُنْشِئٍ آخر طبيعته كطبيعة الأوّل، فَيَمُرُّ الأمر إلى ما لانهاية له. وهُنَالِكَ، فَلِسَائِلٍ أن يسأل: وكيف كان السّبيل، ليت شعري، إلى معرفتنا بالسّيّال المُنْشِئِ؟

اعلم أنّه يظهر ممّا أسلفنا من بَيَانٍ أنّ مراتب الوصف للموضوعات الزّمنيّة والإنشاء لها، هي هذه:

فأوّلا: هناك الإدراك المشهور معناه ذو التّعلق بالموضوعات التَّجْرِبِيَّةِ الماثلة بين يدينا، وهلمّ جرّا.

وثانيا: إنّه في النّظر الفينومينولوجيّ، فقد آخذ الموضوع بنحو الظّاهرة، وأكون مُلْتَفِتًا إلى الإدراك، وإلى تَعَلُّقِ الظّهور والظّاهرة كلّ واحد منهما بالآخر. فالشّيء الواقعيّ هو في المكان الواقعيّ، وذو زمنيّة وتغيّر في الزّمن الواقعيّ، وهلمّ جرّا. وأيضا الشّيء الظّاهر في الإدراك هو ذو مكان ظُهُورِيٍّ، وزمن ظهوريّ. بل إنّ نفس الظّاهرات، وكلّ صور الوعي، فَجَمِيعًا هي أيضا ذَوَاتُ زمنيّة، أي ذوات آن، وذوات انْتِشَارِيَّةٍ زمنيّة في صورة الآن والماقبل، وهذا الزّمن هو الموصوف بالذّاتيّ.

وإِذَا تَقَرَّرَ ذلك، فاعلم أنّ الموضوع الإدراكيّ إنّما ظهوره في الزّمن الذّاتيّ، والموضوع التَّذَكُّرِيّ إنّما ظهوره في زمن ذاتيّ مُتَذَكَّرٍ، وأنّ الموضوع التّخيّليّ إنّما ظهوره في زمن ذاتيّ مُتَخَيَّلٍ، والموضوع التَّرَقُّبِيَّ إنّما ظهوره في زمن ذاتيّ مُتَرَقَّبٍ. فبان إذًا أنّه كلّ ما قد يكون موضوع رَوِيَّةٍ، كالإدراك، والتّذكّر، والتّرقّب، والتّخيّل، والحكم، والشّعور، والإرادة، فإنّما ظهوره هو في الزّمن الذّاتيّ الواحد، أي في عين ذلك الزّمن الّذي فيه إنّما يكون ظهور الموضوعات الإدراكيّة.

وثالثا، فأمّا الزّمن الذّاتيّ فمعلوم أنّ نشأته هو في الوعي المطلق اللاّزمنيّ الّذي لا يمكن أن يُوصَفَ بأنّه موضوع. ولكن لِنَنْظُر الآن في كيف يكون انْعِطَاءُ ذلك الوعي المطلق المذكور؟ فمثلا هو هناك ظهور صوتيّ، ولنا أن نعتبره بما هو ظهور صوتيّ. وهذا الظّهور الصّوتيّ، فمثله مثل صوت عود مثلا المأخوذ على أنّه شيء، فهو ذو زمنيّة، وهو في هذه الزّمنيّة شأنه أن يتغيّر، وألاّ يتغيّر. وإذا ما أمعنّا النّظر في طور ما منه، فسنرى أنّ هذا الظّهور إنّما هو الصّوت الباطنيّ، أو الحركة الباطنيّة للصّوت مُجَرَّدَةً عن معناها. ولكن هذا الأمر ليس هو الوعي الأصليّ بعينه. بل إنّ الصّوت الباطنيّ هو يَنْتَشِئُ، على معنى أنّه مع كلّ آن آن فعليّ للصّوت، فهو يوجد أبدا أيضا الخفوتات الصّوتيّة المقترنة الوجود بكلّ آن آن منها. وهو من الجائز لنا، شيئا ما، أن نعتبر هذه السّلسلة. فنحن قد نُثْبِتُ حَدًّا لِنَغَم ما، مثلا، ونضعه بِعَيْنِنَا، فَنَتَبَيَّنَ فيه ذكريات ذاهبة في الخفوت، ذات تعلّق بالأصوات المتقدّمة. وبَيِّنٌ أنّ هذا الوصف هو يجري حكمه أيضا على كلّ صوت صوت مَخْصُوصٍ من هذه الأصوات المتقدّمة. فهاهنا هو يوجد إذًا الآن الباطنيّ للصّوت، ومَوْصُولٌ إليه أبدا مَوَاضِيهِ الباطنيّة المُتَتَالِيَةُ، أو المُنْتَظِمَةُ في اتِّصَالِيَّةٍ واحدة. ولكنّه فهو يوجد أيضا هذه الاتّصاليّة الأخرى: أي اتّصاليّة إدراك الآن وتذكّر الماضي، وهذه الاتّصاليّة بعينها فهي آن اضطرارا. إذ أنّي حينما أكون عائشا في الوعي بالموضوع، فالْتِفَاتِي إلى الماضي إنّما يكون ابْتِدَاءً من الآن الحاضر. وهو يمكنني أيضا أن أكون مُحِيطًا بِكُلِّ الوعي بالموضوع على أنّه آن، وأقول: الآن. وذلك إذا أُخِذَ في نَظَرٍ واحد كلّ الوعي على أنّه جملة واحدة. فمثلا أنا أسمع الآن صَفِيرًا طويلا. إنّه صفير يشبه الخطّ الممتدّ. وفي كلّ آن أَقِفُ معه عند حدّ، امْتَدَّ هو وراء ذلك. بل إنّ النّظرة الواقعة على كلّ آن واحد، فهي مُسْتَغْرِقَةٌ لِجَمِيعِ الخطّ، والوعي بالخطّ يُؤْخَذُ أبدا على أنّه مُقْتَرِنٌ زَمَنُهُ بالآن الحاضر للصّفير. إذًا فالإدراك هاهنا، هو على أنحاء أربعة: فهناك

أوّلا: الإدراك المتعلّق بالصَّفَّارَةِ البخاريّة، أي بصفير الصفّارة.

وثانيا: الإدراك المتعلّق بِعَيْنِ المحتوى الصّوتيّ الزّمنيّ، وبالفعل الصّوتيّ الزّمنيّ مُجَرَّدًا عن كونه مُنْسَلِكًا في الطّبيعة.

وثالثا: الإدراك المتعلّق بآن الصّوت، والمقترن به مَرَّةً وَاحِدَةً، الانتباه المُشِيرُ إلى هذا الّذي مضى من قريب الصّوتيّ الموصول إلى آن الصّوت.

ورابعا: الإدراك المتعلّق بالوعي بالزّمن في الآن: وذلك بأن يُصْرَفَ النّظر إلى الظّهور في الآن لِلصَّفِيرِ، وإلى الظّهور في الآن لِصَفِيرٍ يَمْتَدُّ إلى الماضي بنحو من الأنحاء، أي أنّه في هذا الآن هو يظهر لي طور ما حاضر ذو تعلّق بالصّفير، واتّصاليّة خُفُوتِيَّةٌ.

ولِسَائِلٍ أن يسأل: وأيّ شيء الصّعوبات الّتي قد نلقاها في هذا المعنى الرّابع في الإدراك؟ إذ أنّه ليس مِنْ شَكٍّ أنّ حصول الوعي بالزّمن هو مُنْفَصِلٌ عن كونه هو نفسه موضوعا. فلا نزاع إذًا في أنّ هذا الضّرب الإدراكيّ هو حقيقيّ. ثمّ إنّه لَمِنَ الممكن لِنَظْرَةٍ وَاحِدَةٍ أن تشير إشارة واحدة إلى اتّصاليّة الأطوار الصّوتيّة في الآن الظّهوريّ الّذي فيه إنّما يحضر الأمر الموضوعيّ، وأن تشير أيضا إلى الاتّصاليّة التّغييريّة لِهَذِهِ الاتّصاليّة الآنِيَّةِ، كما كان قد صَحَّ صِحَّةً تَامَّةً إشارتها إلى نفس سَيَّالِ الأطوار الصّوتيّة. كذلك فإنّ زمن هذا التّغيير هو نفسه زمن الموضوعيّة: إذ إن كان الصّوت مِمَّا لا يتغيّر مثلا، كانت الزّمنيّة الذّاتيّة للصّوت الباطنيّ حقيقتها هي مشاركة لِحَقِيقَةِ الانتشاريّة الزّمنيّة المتعلّقة باتّصاليّة التَّغْيِيرِ الظُّهُورِيِّ.

ولكن أَمَا تَرَى أنّه لَمِنَ العَجَبِ جدّا ألاّ يُوضَعَ تَغْيِيرٌ حَقِيقِيٌّ في مَحَلٍّ هو لا يمكن إطلاقا أن يكون خاليا من التّغيّر، أي أن يُوضَعَ زمن شأنه الامتلاء، ولا يكون فيه تغيير ألبتّة؟ إذ هو من المُحَالِ الكلّيّ أَلاّ يُوضَعَ تَغَيُّرٌ بِإزَاءِ السَّيَّالِ المتَّصِلِ ذي التَّعَلُّقِ بالأَطْوَارِ الظُّهُورِيَّةِ.

إنّه لا يوجد زمنيّة في السّيّال الأصليّ. وذلك لأنّ الزّمنيّة إنّما هي صورة الشّيء المنتشر في الزّمن، أي صورة الشّيء الّذي يكون هو هو في التّسلسل

الزّمنيّ، وتجري هي منه، أي من الشّيء، مَجْرَى الزّمنيّة المتعلّقة به. إذ أنّ أفعالا، كصوت الرّعد، أو حركة الشّهاب، وهلمّ جرّا، فهي تسلسلات تَغَيُّرِيَّةٌ ذات تعلّق بموضوعات ذات انتشار زمنيّ، أي هي تسلسلات ذات انْطِوَاءٍ على وحدة ما. أمّا الزّمن الموضوعيّ، فهو صورة لِمَوْضُوعَاتٍ ما ثابتة، ولِكُلِّ ما قد يَعْتُورُهَا من تَغْيِيرَاتٍ وأَفْعَالٍ أُخْرَى. لِذَلِكَ كانت صحّة معنى الفعل هي مَشْرُوطَةٌ بِصِحَّةِ معنى الثّبات. ولكن معنى الثّبات إنّما هو وحدة انْتِشَاؤُهَا يكون في السّيّال. وأنت تعلم أنّ من لوازم حقيقة السّيّال أنّه ليس يَنْطَوِي إطلاقا على أيّ نوع من الثّبات. والموجود حقّا في السّيّال هو أطوار من المعيش، وسلسلات متّصلة من الأطوار. أمّا كلّ طور طور مَعِيشِيٍّ، فليس في نفسه بالأمر الثّابت ألبتّة، ولا من شأنه أن يُوصَفَ بكونه سلسلة مُتَّصِلَةً. وإن كان هو ليس من المُمْتَنِعِ أن يُتَّخَذَ هذا الطّور على أنّه موضوعيّة، بنحو ما، أو أن يُشَارَ إلى طَوْرٍ ما يُجَرَّدُ بالنّظر عن كلّ السّيّال، أو أن يُشَارَ إلى قطعة ما من السّيّال، وتُجْمَعُ حقيقتها الواحدة في أفعال إحضاريّة ثاني الإحضار مُتَكَرِّرَةٍ، وأن يُرْجَعَ دائما إلى عين القطعة الواحدة لِنَقُولَ: هاهي قطعة السّيّال بِعَيْنِهَا. وإن كان هو ليس من الممتنع أيضا أن نفعل الأمر نفسه في السيّال كلّه الّذي يمكن أن يُجْمَعَ في حقيقة واحدة على أنّه هذا السيّال الواحد بِعَيْنِهِ، حَقَّ الجَمْعِ، ومع ذلك فإنّ وحدة الحقيقة الحاصلة حِينَئِذٍ هي غير الوحدة المتعلّقة بالموضوع الثّابت إطلاقا. إذ أنّه من لوازم حقيقة الثّبات أَنْ ما يكون ثابتا، فإمّا أن يثبت وهو لا يتغيّر، وإمّا أن يثبت وهو يتغيّر. وكلّ تغيّر، فهو قد ينقلب، على جِهَةِ المِثَالِ(B)، إلى بُطْلاَنٍ لِلتَّغَيُّرِ، وكلّ حركة إلى سكون، أو أيضا، فكلّ تغيّر كيفيّ، فقد يَنْقَلِبُ، على جهة المثال(B)، إلى لا تغيّر كيفيّ، وحِينَئِذٍ فتكون الزّمنيّة إنّما هي مَمْلُوَّةٌ بِأَطْوَارٍ هي هي.

ولكن لِتَعْلَمْ أنّه في السيّال هو لا يوجد، اضطرارا، أي جزء لاَ سَيَّالِيٍّ. إذ أنّ السيّال ليس بالأمر الممكن الوجود كالسيّال الموضوعيّ، وسَيَلاَنِيَّةُ أطوراه لا يمكن أن تنقطع إطلاقا، حتّى تنقلب إلى اتّصاليّة من الأطوار تكون هي هي

أبدا. ومع ذلك، فالسيّال، وإن كان من الممتنع، ولَوْ لِجُزْءٍ واحد منه، أن ينقلب إلى لا سيّال، ففيه بنحو ما، شَيْءٌ مَا ثَابِتٌ. وهذا الشّيء الثّابت إنّما هو الهَيْئَةُ الصُّورِيَّةُ لِلسَّيَّالِ، أي الصّورة السَّيَلاَنِيَّةِ. على معنى أنّ السيّلانيّة ليست فقط سيلانيّة عامّة، بل إنّ كلّ طور طور، فهو ذو صورة واحدة هي هي، وهذه الصّورة الثّابتة ما تَنْفَكُّ يَمْلَؤُهَا، على جِهَةِ التَجَدُّدِ، مُحْتَوًى ما. إلاّ أنّ هذا المحتوى المَمْلُوُّ ليس بالأمر الخارج عن الصّورة، بل إنّ الصّورة الحُكْمِيَّةَ هي الّتي تُعَيِّنُهُ، سوى أنّ هذا الحكم ليس هو وحده فقط الّذي يُعَيِّنُ الأمر المُتَعَيَّنَ. وحقيقة هذه الصّورة أن يكون لِلآنِ انْتِشَاءٌ في الانطباع، وأن يعلق به، أي بالانطباع، ذَيْلٌ من المساك، وأُفُقٌ من مُقْبِلِ المِسَاكِ. إذًا فهذه الصّورة الثّابتة إنّما تنطوي على الوعي بالانقلاب المتّصل الّذي هو فعل أصليّ: أي الّذي هو وعي بانقلاب الانطباع إلى مسك، المقترن بتجدّد الانطباع أبدا، أو لِنَقُلْ الّذي هو وعي بانقلاب الماهية الانطباعيّة الّتي بعد أن كانت من آن قريب مُوعَى بِهَا على أنّها آن، فهي تَتَّخِذُ الآن صورة هذا الّذي مضى من قريب.

وبعد هذا البحث، فَلْنَأْتِي الآن إلى المسألة المُشَارِ إليها آنفا، أي مسألة الوعى الزّمنيّ الّذي فيه إنّما تكون نشأة زمنيّة الوعي بالزّمن المتعلّق بالظّهورات الصّوتيّة مثلا.

إنّه حينما يكون العيش في الظّهور الصّوتيّ، فالصّوت هو الّذي يكون مَاثِلاً بين يدينا، ويكون ذا زمنيّة أو تغيّر. أمّا حينما يُشَارُ بالنّظر إلى الظّهور الصّوتيّ بِعَيْنِهِ، فَحِينَئِذٍ يكون الظّهور الصّوتيّ هو الماثل بين يدينا، ويكون ذا انتشار زمنيّ، أو تغيّر. وهاهنا فَعِبَارَةُ الظّهور الصّوتيّ قد تدلّ على معنيين اثنين. إذ هي قد تدلّ أيضا على فعل الإشارة بالنّظر إلى اتّصاليّة الخفوتات المؤتلفة من حَاضِرٍ، وهذا الّذي مضى من قريب، وهلمّ جرّا. ولذلك، فمن المُضْطَرِّ أن يكون لِلسَّيَّالِ المطلق موضوعيّة ما، وزمنيّة ما، أي هو لابدّ أن يكون هناك وَعْيٌ شَأْنُهُ أن يُنْشِئَ هذه الموضوعيّة، وهذه الزّمنيّة. وإِذْ هُوَ مَعْلُومٌ اضطرارا أنّه

قد يُعْمَدُ تَارَةً أُخْرَى إلى الرَّوِيَّةِ، ويُمْعَنُ فيها إلى ما لانهاية، فهل لنا أن نُرِيَ، مع ذلك، أنّ هذا التّسلسل إلى ما لانهاية له، غير ذي ضَرَرٍ؟ فاعلم:

أوّلا، أنّ الصّوت ينتشر في الزّمن، وهو يَنْتَشِئُ في اتّصاليّة من الأطوار.

وثانيا، وحينما يكون الصّوت منتشرا في الزّمن، ففي كلّ حدّ من الزّمنيّة، يكون موجودا سلسلة من الخفوتات الممتدّة من الآن إلى الماضي الذّاهب في الفَنَاءِ. وهذا المُعْطَى إنّما هو وعي متّصل، كلّ حدّ حدّ فيه، فهو متّصل ذو محتوى واحد. ولكن هذا الوعي المتّصل هو أيضا سلسلة زمنيّة يمكن الإشارة إليها بالنّظر: كذلك فالأمر لَيَتَكَرَّرُ تارة أخرى. وإن هو أُمْعِنُ النّظر في حدّ ما في هذه السّلسلة، فسوف نرى أنّ الوعي بالماضي المتعلّق بالسّلسلات الماضية، وهلمّ جرّا، إنّما هو يوجد فيه اضطرارا.

وعلى هذا، فهو، وإن كنّا لا نأتي فعل الرّويّة إلى ما لانهاية له، بل إنّا، وإن كنّا قد لا نأتي، إجمالا، ولو فعلا واحد منها، فمع ذلك، فهو من المضطرّ أن يكون موجودا الأمر الّذي يجعلنا نَقْوَى عليها، أو الّذي يجعلنا نقوى عليها، بالقوّة في الأقلّ، إلى ما لانهاية له. ذَلِكُمْ، لَعَمْرِي، ما كان أصل المسألة.

تكملة سابعة: في انتشاء الاقتران الزّمنيّ[خ]

أ، وَلِيَكُنْ صوتا ما مثلا، هو يَنْتَشِئُ في آنٍ ما، أي في طَوْرٍ زمنيّ مُتَعَيِّنٍ، نَشْأَةً لاَزِمَةً عن انطباع أصليّ س، يعلق به تغييرات مختلفة يقترن حصولها أبدا بحصول إبداع أصليّ لانْطِبَاعَاتٍ متجدّدة، أي لِآنَاتٍ حاضرة متجدّدة. وَلِيَكُنْ ب، مثلا لون ما، هو وحدة باطنيّة زمنها مُقْتَرِنٌ بِزَمَنِ أ. فإنّه إذا نُظِرَ فيها إلى حدّ يكون زمنه مُقْتَرِنًا بزمن الحدّ الصّوتيّ، بَانَ أنّ المُنَاسِبَ له في الانْتِشَاءِ إنّما هو انطباع أصليّ، ولِنُسَمِّهِ ج. إذًا، فما المشترك بين س، و ج، وما الّذي

(خ) تكملة ذات صلة بالباب الثّامن والثّلاثين من الكتاب (إشارة المترجم الفرنسيّ).

يجعل أنّ ذينك الانطباعين إنّما يدخلان في إِنْشَائِهِمَا لِمَعْنَى الاقْتِرَانِ الزّمنيّ، وأنّ التّغييرين الاثنين لَهُمَا، وَلِنُسَمِّهِمَا س'، وج'، فَمِمَّا يدخلان أيضا في إِنْشَائِهِمَا لِلْاقْتِرَانِ الزّمنيّ المُتَصَرِّمِ؟

إذ هو لِطَبَقَةٍ واحدة في الوعي الباطنيّ أن يوجد فيها انطباعات أصليّة كثيرة، وصور خياليّة كثيرة، وهلمّ جرّا، أي معاني أصليّة كثيرة، أَوِ لِنَقُلْ: معاني أصليّة ذات تعلّق بالوعي الباطنيّ. والمعاني الأصليّة كلّها الموجودة في طبقة واحدة، يكون وصفها الوَعْيِيُّ وصفا واحدا مُنْشِئً، على جهة اللّزوم، لِمَعْنَى الآن الحاضر، وهو وصف واحد مُسْتَغْرِقٌ لكلّ المحتويات المُنْشَأَةِ. واشتراك هذه المحتويات في ذلك الوصف الواحد هو المُنْشِئُ لِمَعْنَى الاقتران الزّمنيّ، أو الاقتران الفعليّ.

والوعي الباطنيّ، إذ هو ذو فعليّة أصليّة، كان كلّ معنى معنى أصليّ هو نقطة يَنْبُوعُ لاِتِّصَالِيَّةٍ من الإبداع ذات صورة واحدة هي هي، على معنى أنّ صورة الإبداع للمعاني الأصليّة كلّها هي صورة واحدة، وصورة التّغيير الزّمنيّ الأصليّ لها هي صورة واحدة، أي أنّ الحكم الجاري على التّغييرات جميعا، إنّما هو حكم واحد هو هو. وهذا بيانه: إنّ الإبداع المتّصل للوعي الباطنيّ صورته هي صورة كثرة خطّيّة ذات بعد واحد، حيث المعاني[c] الأصليّة المنطوية في طبقة واحدة إنّما يَعْتُورُ كلّ معنى معنى فيها، عَيْنُ التّغيير الّذي يَعْتُورُ المعنى الآخر؛ أي أنّ هذه المعاني الأصليّة كلّها، إنّما يلزم عنها آنات ماضية واحدة. لِذَلِكَ، فإنّه كلّ تَغْيِيرَيْنِ اثنين، مثلا، قد اعْتَرَا مَعْنَيَينِ أصليين موجودين في طبقة واحدة، وكان بُعْدُهُمَا بِالقِيَاسِ إلى المَعْنَيَيْنِ الأصليين المُنَاسِبَيْنِ لهما بُعْدًا واحدا، فهما موجودان اضطرارا، في طبقة واحدة هي هي؛ أو لِنَقُلْ أيضا: إنّ التّغييرات الموجودة في طبقة واحدة، ليس يلزم عنها لُزُومًا ذَاتِيًّا إلاّ تغييرات تكون موجودة في طبقة واحدة هي هي. والإبداع هاهنا، إنّما يمضي أبدا على سرعة واحدة.

وفي كلّ طبقة طبقة، فإنّ كلّ حدّ في السّلسلة المتّصلة هو ذو بُعْدٍ بالقياس إلى المعنى الأصليّ، مُخْتَلِفٌ عن بُعْدِ الحدِّ الآخر. والبُعْدُ الرّاجع إلى أحد الحدود، إنّما هو عين البعد الّذي كان يفصل هذا الحدّ عن معناه الأصليّ في الطّبقة المتقدّمة. إذ أنّ الفصل المُنْشِئَ الأصليّ للوعي الزّمنيّ، فهو عبارة عن انْتِشَارِيَّةٍ مُتَّصِلَةٍ مُنْطَوِيَةٍ على معنى أصليّ وسلسلة متعيّنة من التّغييرات المتكرّرة. وهذه التّغييرات المتكرّرة هي تغييرات ليست في المحتوى، بل إنّها تغييرات في الصّورة. وصورتها، أي وصورة هذه التّغييرات، هي واحدة أبدا في كلّ الفصول الأصليّة المُتَعَاقِبَةِ. فكلّ معنى معنى أصليّ فهو، على التَّخْصِيصِ، معنى أصليّ، أي وعي بالآن، وكلّ مَاضٍ، فهو وعي بالماضي، وأيضا، فإنّ مرتبة الماضي هي مرتبة ذَاتُ تَعَيُّنٍ، على معنى أنّه إنّما يُنَاسِبُهَا في الوعي المُنْشِئِ الأصليّ، حقيقة صوريّة مُتَعَيِّنَةٌ تَعَيُّنًا ثَابِتًا.

واعلم أنّه من الممكن لِمَعَانٍ(c) ذَوَاتِ مُحْتَوَى واحد، أي ذوات مُرَكَّبٍ داخليّ لَهَا، هو هو في كلّ واحد منها أن يَعْرِضَ لنا دائما، في تَعَاقُبِيَّةٍ من الطَّبَقَاتِ، على أنّها أيضا لَمَعَانٍ(c) أصليّة. ولكن هذه المعاني(c) الأصليّة المتعلّقة بالطّبقات المختلفة، وذوات محتوى هو هو على التَّمَامِ، إنّما هي تكون مختلفة بينها بالشَّخْصِ.

تكملة ثامنة: في قَصْدِيَّتَي السَيَّالِ الوَعْيِيِّ الاِثْنَتَيْنِ[د]

إنّ السيّال الوَعْيِيِّ هو يَنْطَوِي على قصديّتين اثنتين. إذ نحن قد نُشِيرُ بالنّظر إلى المحتوى السيّاليّ، وصورته السيّاليّة، فَتَبِينُ حِينَئِذٍ سلسلة من المعاييش الأصليّة على أنّها سلسلة من المعاييش القصديّة، أي على أنّها وعي بِـ. . . أو قد نُشِيرُ بالنّظر إلى الوحدات القصديّة، أي إلى ما يكون في السّيّلان السيّاليّ

(د) تكملة ذات صلة بالباب التّاسع والثّلاثين من الكتاب (إشارة من المترجم الفرنسيّ).

مُوعَى به وَعْيًا قصديّا على أنّه لأَمْرٌ ذو وحدة. وحينئذ، فسنرى الموضوعيّة قَائِمَةً بين يدينا، وهي موجودة في الزّمن الموضوعيّ، أي في الفصل الزّمنيّ المَقُولِ على التَّخْصِيصِ، خِلاَفًا لِمَا يكون وجوده في الفصل الزّمنيّ المتعلّق بالسّيلان المعيشيّ.

فأمّا القصديّة الأولى، فإنّ السيّال الوَعْيِيَّ، ومعه أطواره وأجزاءه، فهو نفسه لأَمْرٌ ذو وحدة يمكن أن تُجْمَعَ حقيقتها في ذكرى مُكَرَّرَةٍ، وتكون مَصْحُوبَةً بإشارة نَظَرِيَّةٍ إلى الأمر الّذي يَسِيلُ، وهذه صورته: هناك انطباعات مُنْبَجِسَةٌ، وتَنْقَلِبُ إلى مِسَاكٍ، بِحَسَبِ حُكْمٍ ثَابِتٍ، ثمّ هي تَفْنَى أو تَصِيرُ مُبْهَمَةً. وهذه الوحدة المُنْتَشِئَةُ انْتِشَاءً أَصْلِيًّا، إنّما هي من عَمَلِ السَّيَّالِ بِعَيْنِهِ؛ عَلَى مَعْنَى أنّ حقيقة هذه السيّلانيّة، ليست، إِجْمَالاً، في أن تُوجَدَ فحسب، بل في أن تكون وحدة مَعِيشِيَّةً، وأن تكون مُعْطَاةً في الوعي الباطنيّ، حيث الشُّعَاعُ الانْتِبَاهِيُّ يُوجَدُ من الممكن له أن يُشِيرَ عَلَى السّيّلانيّة، وهذا الشّعاع من الممتنع أن يكون هو نفسه حينئذ موضوع انتباه؛ وهو ليس من شأنه أن يَنَالَ بالتَّغْيِيرِ السيّلانيّةَ النَّاظِرَ فيها، بل أن يُصَيِّرَهَا موضوعا، ويزيد حقيقتها غِنًى. والإدراك الانتباهيّ لِهَذِهِ الوحدة، فهو مَعِيشٌ قصديّ، ذو محتوى متغيّر، ولِلذِّكْرَى أن تُشِيرَ بِنَظَرِهَا إلى الأمر المُنْقَضِي، وأن تُغَيِّرَهُ مَرَّاتٍ كَثِيرَةٍ، أو أن تَقِيسَهُ إلى شَبِيهِهِ، وهلمّ جرّا. واعلم أنّ هذا الضّرب من الجَمْعِ في حقيقة واحدة[1]، والانْشَاءَ لِهَذَا الموضوع، إنّما هو من الأمور المُقَوِّمَةِ لِحَقِيقَةِ المعاييش: على معنى أنّه من المُضْطَرِّ لِكُلِّ طَوْرٍ طَوْرٍ في السّيّلان أن ينقلب إلى مَسْكٍ لِـ، وهذا بِعَيْنِهِ أن ينقلب إلى مَسْكٍ لِـ، وهلمّ جرّا، وإلاّ لاَمْتَنَعَ إطلاقا وُجُودُ محتوى في هَيْئَةِ مَعِيشٍ، ولاَمْتَنَعَ أن يُعْطَى لِلذَّاتِ على أَنَّه أَمْرٌ ذو وحدة، ولكان إذًا عَدَمًا مَحْضًا. إذًا، فحقيقة السّيّلانيّة إنّما توجب بأنّه كلّ طور طور في الفصل

(1) Identification.

الأصليّ(D)، أي في المتّصل الخطّي، فهو مُنْقَلِبٌ إلى مَسْكٍ لِعَيْنِ ذلك الطّور المنقضي انْقِضَاءً قَرِيبًا، وهلمّ جرّا.

أمّا في القصديّة الثّانية، فالنّظر لا يُشِيرُ إلى سيّال الفصول، أي إلى سيّال الصّورة من حيث هي سلسلة من الانقلابات ذات وحدة، والّتي هذه صورتها: الآن الأصليّ، فالانقلاب المَسْكِيُّ ذو المراتب الكثيرة؛ بل إنّ النّظر هو مُشِيرٌ إلى ما يكون مُشَارًا إليه في كلّ فصل فصل(D)، وفي كلّ طور طور انْطَوَى عليه الفصل من حيث هو مُتَّصِلٌ خَطِّيٌّ. إذ أنّ كلّ طور طور، فهو مَعِيشٌ قصديّ. وفي الفعل المُصَيِّرِ مَوضُوعًا[١] المتقدّم، كانت المعاييش المُنْشِئَةُ إنّما هي أفعال الوعي الباطنيّ الّتي موضوعها، على التَّخْصِيصِ، إنّما هو ظَاهِرَاتُ الوعي المُنْشِئِ لِلزَّمَنِ. فهذه الظّاهرات إذًا هي أيضا معاييش قصديّة، موضوعاتها إنّما هي الآنات والأزمنة، وامْتِلاَءَاتُهَا الموضوعيّة. إذ أنّه إذا سال السيّال المطلق، فإنّ الأطوار القصديّة تنتقل انتقالا يلزم عنه إنْشَاءُهَا إنْشَاءً تُشَارِكُ فيه هي كُلُّهَا، لِوَحَدَاتٍ تُولِجُ بَعْضَهَا في بَعْضٍ، على أنّها، أي الوحدات، ظاهرات لِمَوْضُوعٍ وَاحِدٍ هو هو من شأن هذه الظّاهرات السيّاليّة أن تَبْسِطَ وجوهه بَسْطًا[٢]. وهو بذلك إنّما يكون حصول الموضوعات على كَيْفٍ ما[٣]، أي على كيف متجدّد أبدا. وصورة الكيف هي الجهة: أي الفعليّ، والمُتَصَرِّمُ من قريب، والمقبل. لذلك فقد جاز أن نَخْلَعَ على الموضوعات معنى السيّال أيضا حيث الآن هو يَنْقَلِبُ إلى مَاضٍ، وهلمّ جرّا. واعلم أنّ ذلك هو حكم ضروريّ تُوجِبُهُ إيجَابًا مَاقَبْلِيًّا صورة السيّال المعيشيّ من حيث هو سيّال لِمَعَايِيشَ قَصْدِيَّةٍ.

إنّ المسك هو تَغْيِيرٌ مَخْصُوصٌ في الوعي الإدراكيّ الّذي هو في الوعي الأصليّ المُنْشِئِ للزّمن إنّما هو انطباع أصليّ، وإذا قِيسَ إلى الموضوعات

---

(1) Objectivation.

(2) Profiler.

(٣) أي وجودها على جهة كيفيّة ما.

الزّمنيّة، وبِخَاصَّةٍ الموضوعات الباطنيّة، كالصّوت الموجود وُجُودًا زمنيّا في الفصل الصّوتيّ، أو المُعْطَى اللَّونِيِّ الموجود وجودا زمنيّا في الفصل المَرْئِيِّ، كان هو الإدراك الباطنيّ، أو المُطَابِقَ. ولو أخذنا إ(ص) عَلاَمَةً على إدراكنا مَثَلاً لِصَوْتٍ محسوس يُؤْخَذُ على أنّه صوت ذو زمنيّة، فَبَيِّنٌ أنّ إ(ص) إنّما شأنه الانقلاب إلى اتّصاليّة من المِسَاكِ قد نَدُلُّ عليها بهذه العلامة ما (ص). ولكن إ(ص) هو يُعْطَى أيضا في الوعي الباطنيّ على أنّه مَعِيشٌ. لذلك فإنّه إذا انقلب إ(ص) إلى ماإ(ص)، انقلب اضطرارا في الوعي الباطنيّ، الوعي الباطنيّ المتعلّق بإ(ص) ، إذ أنّ الوجود والوجود على أنّه موضوع لِلْوَعْيِ الباطنيّ، إنّما هما أمران متطابقان هاهنا. ومع ذلك فإنّ الوعي الباطنيّ المتعلّق بإ(ص) هو ينقلب أيضا إلى تغيير مسكيّ لِهَذَا الوعي الباطنيّ، وهذا التّغيير بِعَيْنِهِ إنّما هو موضوع لِلْوَعْيِ الباطنيّ. فهو كذلك إذًا إنّما يكون هناك وعي بأنّا كنّا مُدْرِكِينَ من قَرِيبٍ(١).

إنّه إذا انقلب الإدراك لِصَوْتٍ ما إلى مَسْكٍ له، أي إلى وَعْيٍ بالصّوت المُنْقَضِي من قريب، وُجِدَ إذًا وَعْيٌ بأنّه قد كنّا مدركين من قريب، وذلك في الوعي الباطنيّ، وعلى أنّه مَعِيشٌ، وكِلاَ الوَعْيَيْنِ إنّما يتطابقان تطابقا تامّا، ولا يُوجَدُ أحدهما إلاّ بوجود الآخر. أو لِنَقُلْ بعبارة أخرى: إنّ هناك انْتِقَالَيْنِ اثنين مُقْتَرِنَيْنِ اقترانا ضروريّا: فالأوّل هو الانتقال من الإدراك لِمَوْضُوعٍ ما إلى التّغيير المَسْكِيِّ لِهَذَا الإدراك، والثّاني هو الانتقال من الفعل الإدراكيّ إلى التّغيير المسكيّ لِهَذا الفعل الإدراكيّ. فبان إذًا أنّه لَيُوجَدُ اضطرارا ضربان اثنان من التّغييرات المسكيّة الّذان يُعْطَيَانِ أبدا في كلّ إدراك إدراك لا يكون إدراكا للوعي الباطنيّ. فالوعي الباطنيّ هو السيّال. وإذ هو قد صَحَّ فيه وجود مَعَايِيشٍ ليست بإدراكات باطنيّة، فَيَلْزَمُ لاَ مَحَالَةَ أن يَنْطَوِي على ضربين اثنين من السّلسلات القصديّة، على معنى أنّه من اللاّزم أن يَقْتَرِنَ فيه أبدا وجود الإنْشَائِيَّةِ السيّاليّة

(1) Juste à l'instant.

المُتَّخِذَةِ صُورَةَ وِحْدَةِ المِسَاكِ الباطنيّة، بوجود سلسلة من المِسَاكِ الخارجيّة. وأنت تعلم أنّ هذه السّلسلة الأخيرة هي المُنْشِئَةُ للزّمن الموضوعيّ، أي هي المُنْشِئَةُ لِبَاطِنِيَّةٍ مُنْشَأَةٍ، هي لَتُوصَفُ بالباطنيّة، وإن كانت خارجة عن السّلسلة الأولى. ولكن لِتَعْلَمْ أيضا أنّ مُتَعَلِّقَ الوعي الباطنيّ ليس هو المعطيات الباطنيّة الزّمنيّة، كَمُعْطَى الصّوت، أو الفرح، أو الألم الزّمنيّ، أو أفعال الحكم الزّمنيّة، بل مُتَعَلِّقُهُ هو الأطوار المُنْشِئَةُ لِهَذِهِ الوحدات الباطنيّة المذكورة.

تكملة تاسعة: في الوعي الأصليّ، وفي جواز الرَّوِيَّةِ(ذ)

إنّ المسك ليس هو بِتَغْيِيرٍ تكون فيه المعطيات الانطباعيّة موجودة وجودا فعليّا، ولا تختلف إلاّ بالصّورة: بل إنّ المسك هو قصديّة من ضَرْبٍ أيّما مَخْصُوصٍ. إذ أنّه إذا انْبَجَسَ مُعْطَى أصليّ، أو طور جديد، فالطّور المتقدّم لا يذهب سُدًى، بل إنّه يبقى محفوظا في الرّأس، أي يكون مَمْسُوكًا، وهو لِأَجْلِ هذا المسك إنّما جاز لِلْإِشَارَةِ النّظريّة أن تَرْمِي بعينها ما كان قد تَصَرَّمَ وراءها؛ وهذا المسك بِعَيْنِهِ ليس هو بالإشارة النّظريّة الّتي شأنها أن تجعل الطّور المتصرّم وراءها على أنّه موضوع لَهَا. بل إنّه مع الحفظ في الرّأس لِهَذَا الطّور، يكون العيش عيشا تامّا في الطّور الحاضر الّذي يُضَمُّ إلى الطّور المُنْقَضِي، بالمسك، ويكون هناك إِقْبَالٌ على الطّور المقبل في مُقْبِلِ المسك.

ولِأَجْلِ أنّ الطّور المُتَصَرِّمَ هو يُحْفَظُ في الرّأس، فإنّما قد جاز أن يُوقَعَ النَّظَرُ عليه في فعل آخر يُقَالُ له الرَّوِيَّةُ، أي الإدراك الباطنيّ، أو ثاني التّذكّر، وهذا الجَوَازُ هو مُطَّرِدُ الوجود سواء كان المَعِيشُ السّائل ما انْقَطَعَ حصوله في معطيات أصليّة متجدّدة، أو ما انقطع كونه انطباعا، أو كان قد انْقَضَى بأسره، وغَبَرَ في الماضي. وهذه الأفعال إذا قِيسَتْ إلى المسك فهي أمور شأنها

(ذ) تكملة ذات صلة بالباب التّاسع والثّلاثين من الكتاب (إشارة من المترجم الفرنسيّ).

التَّكَوُّنُ. أمّا المسك فهو لا يكون فِعْلاً، أي لا يكون وحدة لِزَمَنِيَّةٍ باطنيّة، وتَنْتَشِئُ في سلسلة من الأطوار المسكيّة، بل إنّه، دُفْعَةً وَاحِدَةً، فهو وعي آنِيٌّ بالطّور المُتَصَرِّمِ، وسَنَدٌ لِلْوَعْيِ المسكيّ بالطَّوْرِ المُقْبِلِ. وإذ قد صَحَّ في كلّ طور أنّه وعي مَسْكِيٌّ بالطّور المُتَصَرِّمِ، فكلّ طور طور إذًا إنّما يَشْتَمِلُ لاَ مَحَالَةَ على سِلْسِلَةِ المِسَاكِ كلّها المتصرّمة في صورة سلسلة من القصديّات المُتَوَسَّطُ إليها: وهو لَكَذَلِكَ إنّما تكون نشأة الوحدات الزّمنيّة الّتي كُنَّا قد مَثَّلْنَا لَهَا في شكل الزّمن بِخُطُوطٍ عموديّة، والّتي شأنها أن تصير موضوعات لِأَفْعَالِ النَّظَرِ إليها ثَانِي النَّظَرِ[1]. وهو في هذه الأفعال هو يُعْطَى أيضا، إذ تُعْطَى الوحدة المُنْشَأَةُ، فمثلا إذ يُعْطَى الصّوت الموجود في الزّمن بلا تَغْيِيرٍ، والمحفوظ حفظا مسكيّا، سلسلة الأطوار المُنْشِئَةِ. إذًا، فالفَضْلُ فَضْلُ المَسْكِ، إنّما كان الوعي جَائِزًا فيه أن يُتَّخَذَ على أنّه موضوع.

ولِسَائِلٍ أن يسأل الآن: وما شأن الطّور الأوّل في كلّ مَعِيشٍ يَنْتَشِئُ؟ وهل يجوز أن نقول فيه إنّه لا يُعْطَى إلاّ على جهة المسك، وهو يكون لا مُوعًى به[2] حَتَّى يَعْلِقَ به المسك؟ فاعْلَمْ أَنَّهُ لَمِنَ الجائز جِدًّا القول إنّ الطّور الأوّل لا يصير موضوعا إلاّ بعد أن يسيل السّيلان الموصوف آنفا، والّذي قد يُصَيِّرُهُ كذلك، أي موضوعا، إنّما هو المسك، والرَّوِيَّةُ، أي فِعْلٌ ما مُبْدِعٌ ثاني الإبداع. أمّا لَوْ ظُنَّ ذلك الظَّنُّ بأنّ الطّور الأوّل لا يكون وَعْيًا إلاّ إذا تعلّق به المسك، لصار من المُحَالِ فَهْمُنَا كيف هو يجوز أن يُوصَفَ بالآن. وغاية ما قد نقول حِينَئِذٍ أنّ هذا الطّور الأوّل إنّما يَفْتَرِقُ بالعَدَمِ عن تَغْيِيرَاتِهِ بأنّه الطّور الّذي لايوجد له طور واحد مُتَقَدِّمٌ عليه، شأنه أن يجعله، أي يجعل هذا الطّور المتقدّم، مُوعًى به وَعْيًا مَسْكِيًّا. بل إنّ الوعي لَيَشْهَدُ بأنّ هذا الطّور الأوّل هو مَوْصُوفٌ بالوعي وصفا

(1) Rétrospection .

(2) Inconscient.

وُجُودِيًّا[1] تامّا، وأنّه خلف كبير الزَّعْمُ بأنّه قد يُوجَدُ مُحْتَوًى يكون لاَ وَعْيًا أَوَّلاً، ولا يصير وَعْيًا إلاّ ثانيا. إذ أنّ من لوازم حقيقة الوعي الضّروريّة أن يكون وَعْيًا في أَيِّ طَوْرٍ من أطواره. وهو مثلما كان قد بان بأنّ الطّور المسكيّ شأنه أن يَعِيَ بالطّور المتقدّم من غير أن يُصَيِّرَهُ موضوعا، كذلك فإنّ المُعْطَى الأصليّ يكون مُوعَى به في الطّور الأوّل في صورة الآن المخصوصة من غير أن يُصَيَّرَ موضوعا. إذًا، فالّذي يَنْقَلِبُ إلى تغيير مسكيّ إنّما هو هذا الوعي الأصليّ، والتّغيير المسكيّ يكون حينئذ مَسْكًا لِهَذَا الوعي الأصليّ، وأيضا لِلْمُعْطَى المُوعَى به في الوعي الأصليّ، لأنّ كلا الأمرين هما مُتَلاَزِمَا الوجود: فلو صَحَّ أنّه قبل المسك كان المحتوى الأصليّ غير مُوعَى به لاَمْتَنَعَ المسك إطلاقا، إذ من المُحَالِ أن يكون هناك مسك لِمُحْتَوًى لاَ وَاعٍ. واعلم أنّ الطّور الأصليّ هو لا يُسْتَنْبَطُ ألبتّة بطريق النّظر العقليّ، بل إنّه لَيُحْدَسُ حَدْسًا في فِعْلٍ رَوَوِيٍّ نَاظِرٍ في المعاييش المسكيّة على أنّه، أي الطّور الأصليّ، طور مُنْشِئٌ، كَمَا هي مُنْشِئَةٌ الأطوار المسكيّة، سواء بسواء. ومع ذلك، فإيّانا وأن نَتَوَهَّمَ بأنّ هذا الوعي الأصليّ، أو الأخذ الأصليّ، أو المُسَمَّى بِأَيِّ اسم نَشَاء، إنّما هو فعل أَخْذِيٌّ. فَفَضْلاً عن أنّ هذا الوصف للأمر هو بَيِّنُ الخَطَإِ، فهو من شأنه أن يُوقِعَنَا في صُعُوبَاتٍ لا حلّ لها. إذ لو زعم زَاعِمٌ بأنّه لا محتوى واحد قد يصير وعيا إلاّ إذا تَسَلَّطَ عليه فعل أخذيّ، فَلَسَوْفَ يُسْأَلُ مِنْ فَوْرِهِ: ولكن هذا الفعل الأخذيّ الّذي بَيِّنٌ نِعِمَّا أنّه لَمُحْتَوًى أيضا، فَفِي أَيِّ وَعْيٍ، ليت شعري، سيكون هو نفسه وعيا؟ أَفَمَا ترى أنّ الأمر فيه هو مَاضٍ إلى ما لانهاية له لا محالة؟ أمّا لو كان كلّ محتوى محتوى، ففي ذاته لا مُوعَى به ضَرُورَةً، فَسَيَكُونُ من الخَطَلِ إذَا طَلَبْنَا لِوَعْيٍ ثَانٍ يكون مُعْطِيًا له.

---

(1) Positivement.

وأنت تعلم أنّ كلّ فعل فعل أخذيّ فهو أيضا وحدة زمنيّة باطنيّة مُنْشَأَةٌ. وإذا ما كان يَنْتَشِئُ، فإنّ الأمر الّذي من شأنه أن يجعله موضوعا يكون قد انقضى من بعيد، ولن يكون مفهوما عندنا كيف سيكون له من سبيل إليه إطلاقا إلاّ إذ كنّا قد وضعنا أوّلا كلّ الأمور المتعلّقة بالوعي الأصليّ، وبِالمِسَاكِ. أمّا، وقد تقرّر أنّ هذه الأمور هي موجودة، فهو من الجائز حِينَئِذٍ أن يُشَارَ بالنّظر في الرّويّة إلى الفعل المُنْشِئِ، وإلى كلّ الأطوار المُنْشِئَةِ، بل وأن يُتَبَيَّنَ كذلك ما الفروق الموجودة بين السيّال الأصليّ كما كان مُوعًى به في الوعي الأصليّ، وتَغْيِيرَاتِهِ المَسْكِيَّةِ. وقِدْمًا ما كان قد اعْتُرِضَ اعتراضا شديدا على المنهج الرَّوَوِيِّ إلاّ لِجَهْلِنَا بأَمْرِ انْتِشَاءِ الوعي، وبحقيقته الأولى.

تكملة عاشرة: في التّصيير الموضوعيّ للزّمن، وفي وجود الشّيء في الزّمن(ر)

إنّه هناك مُضَاهَاةٌ بين المسائل المتعلّقة بانْتِشَائِيَّةِ المكان الكلّيّ الواحد الّذي يقترن أبدا كلّ إدراك مَخْصُوصٍ، بإدراكه، وذلك لأنّ الموضوع المُدْرَكَ هو بظهر دائما ذا وجود في المكان، وانتشائيّة الزّمن الواحد الّذي فيه إنّما تُوجَدُ زمنيّة الموضوع، وتَنْسَلِكُ مدّته الزّمنيّة، ومدّة كلّ الأشياء الأخرى، والأفعال الشَّيْئِيَّةِ المحيط هو بها كلّها. وهو في هذا الزّمن الواحد يَنْسَلِكُ الأنا، ولا أعني الأنا الجسمانيّ فحسب، بل وأيضا معاييش الأنا النّفسانيّة هي مُنْسَلِكَةٌ فيه. إذ أنّه، وإن كان الزّمن الموصوف به كلّ شيء هو مَخْصُوصٌ بذلك الشّيء، فالزّمن هو واحد لا كثير: وذلك ليس على معنى فقط أنّ الأشياء هي تَنْسَلِكُ فيه على جهة الانتظام في خطّ واحد، بل على معنى أيضا أنّ الأشياء، والأفعال المختلفة إنّما تظهر ذات وجود مقترن في الزّمن، وأنّ زمنها كلّها، هو زمن

(ر) تكملة ذات صلة بالباب الثّالث والأربعين من الكتاب (إشارة المترجم الفرنسيّ).

واحد ووحيد، لا أزمنة مُتَنَاظِرَةٌ كثيرة. إذًا فالأمر هاهنا هو مختلف عن أمر الامْتِلاَءَاتِ المكانيّة المختلفة حيث تتطابق الامتلاءات البصريّة واللّمسيّة. بل إنّ هاهنا لَهُوَ يوجد أشياء منفصلة لا تتطابق، وهي مع ذلك، فكلّها إنّما توجد وجودا زمنيّا في انْتِشَارِيَّةٍ زمنيّة واحدة.

إنّ انْعِطَاءَ الشّيء يكون حصوله حُصُولَ الفعل في الزّمنيّة الفينومينولوجيّة؛ وجُمْلَةَ سيلان الإحساسات الحَرَكِيَّةِ المُرَجِّحَةِ (ح)[1]، وجملة سيلان الصّور (ص) المُرَجَّحَةِ[2] إيّاها الإحساسات، إنّما تكون مُنْتَشِرَةً في الزّمن. وإذا عَقَبَ مثلا إحْسَاسٌ ح١، إحْسَاسَ ح٠، تَرَجَّحَ الأمر إذًا في الصّورتين ص١، وص٠، وعَقَبَتْ أولاهما الثَّانِيَةَ، وكانت هذه المَعَاقَبَةُ متطابقة مطابقة زمنيّة لِلْمُعَاقَبَةِ الّتي كانت بين الإحساسين. وهذا السيّال الحسّيّ المَمْلُوُّ المطابق مطابقة زمنيّة للسيّال الصّوريّ المُرَجَّحِ هو إيّاه، فَمِثْلُهُ مِثْلَ كُلِّ سَيَّالٍ زمنيّ مَمْلُوٍّ، فهو لَذُو صُورَةٍ زَمَنِيَّةٍ، وهذه الصّورة الزّمنيّة يجوز فيها أيضا الاختلاف والتّغيّر: إذ أنّ سيّال الإحساسات الحركيّة المُرَجِّحَةِ (ح)، أو سيّال الصّور (ص) اللاّزم عن السّيّال الأوّل، فقد يكون حُصُولُهُ حصولا سَرِيعًا أو بطيئا، وهو قد يختلف كذلك غَايَةَ الاختلاف في هذا الأمر، أي في أن يكون ذا سرعة ثابتة أو غير ثابتة بِحَسَبِ اختلاف الهَيْئَةِ الّتي بها إنّما يَنْتَشِرُ المَلأُ الزَّمَنيّ في الفصل الزّمنيّ، فَيَمْلأَ منه هذا الجزء أو هذا الجزء مَلأً كَثِيفًا أو رَقِيقًا. ثمّ إنّ سيلان الإحساسات الحَرَكِيَّةِ المُرَجِّحَةِ (ح)، أو ما يلزم عنها من تَعَاقُبِيَّةٍ للصّور، فقد تنقلب انقلابا شأنه أن يكون كذلك في صورة زمنيّة تدخل تحت حكمها الصّور الزّمنيّة المُتَعَلِّقَةِ بالأمر المُعْطَى.

أمّا الموضوع بعينه الظّاهر، والماثل بين يدينا على أنّه أمر مُعْطَى، فَبِوَجْهٍ مَا، إنّ حقيقته لا تَرْجَعُ إلى كلّ ذلك، كما كانت غير راجعة إلى السّيلان الحسّيّ

(1) Les sensations de mouvement motivantes.

(2) Les images motivées.

الحَرَكِيِّ للصّور، كبيرا كان أم صغيرا هو، أي هي غير راجعة إلى سيلان الظّهورات الممكنة الموصوف بها كثرة صوريّة جمعيّة واحدة، طويلة مدّته كانت، أي مدّة السّيلان، أم قصيرة. وإِذْ أنا قد سَلَبْتُ عن الموضوع المُعْطَى رُجُوعَ حَقِيقَتِهِ إلى تلك الأمور، فَبِشَرْطِ أن يكون هذا الموضوع الماثل بين يدينا إنّما هو موضوع واحد هو هو، أي بشرط مثلا ألاّ يتغيّر، وأن يكون محتواه ثابتا، وأن يَبْسِطَ أبدا امْتِلاَئِيَّةَ المحتوى الواصف إيّاه بالشّيء، في صورة زمنيّة واحدة، وفي كَثَافَةٍ أبدا هي هي. ومع ذلك فإنّ زمنيّة السيّال، لَهَا بعض التّأثير في التَّصْيِيرِ موضوعا: إذ أنّ الموضوع الظّاهر إنّما هو موضوع زمنيّ، والزّمنيّة لَمِنَ الأمور المُقَوِّمَةِ لِحَقِيقَتِهِ، وفي المثال المذكور، فالزّمنيّة هي زمنيّة موضوع لا يَتَغَيَّرُ، و سَاكِنٌ. فَلَزِمَ إذًا هذا القطع: إنّ التَّصْيِيرَ الموضوعيّ للزّمن إنّما يأخذ مُحْتَوَاهُ المُحْضِرَ له في الظّاهرة، أي في الزّمنيّة الفينومينولوجيّة. ولو طلبنا الوصف الدّقيق، قلنا إنّه لعمري، الظّهور في معناه المَخْصُوصِ، أي الظّهور الجاري عليه أبدا حكم التَّرْجِيحِ[1] المتعلّق بالشّروط الموجودة هو موضوع الطّلب. إذ أنّه كما أنّ الصّورة إنّما في هذا الظّهور هي تُحْضِرُ المكان الموضوعيّ بطريق ما قد انطوى عليه هو، أي الظّهور، من معنى المكانيّة، وتُحْضِرُ الشّكل الموضوعيّ بطريق ما انطوى عليه من معنى شِبْهِ الشّكليّة، وتُحْضِرُ معنى المقدار بطريق ما انطوى عليه من معنى شِبْهِ المقداريّة، وتُحْضِرُ اللّونيّة بطريق ما انطوى عليه من معنى شِبْهِ اللّونيّة، كذلك فهي تُحْضِرُ الزّمنيّة الموضوعيّة بطريق ما قد انطوى عليه هذا الظّهور من معنى الزّمنيّة. وأنت تعلم أنّ الصّورة هي صورة في سيّال متّصل من الصّور، إذ أنّه كلّ طور طور للصّورة في هذا السيّال، إنّما يُنَاسِبُهُ الطّور الموضوعيّ الظّاهر لِزَمَنِ الموضوع، أو بعبارة أصدق، يناسبه الطّور الموضوعيّ الظّاهر لِجِهَةٍ ما في الموضوع الّذي يكون حضوره في هذه الصّورة؛ إذًا فهو بَيِّنٌ نِعِمَّا أنّ الوضع الزّمنيّ المتقدّم عن كونه

(1) Motivation.

تجربيّا للصّورة، هو إِحْضَارٌ للوضع الزّمنيّ الموضوعيّ، والانتشار الزّمنيّ المتقدّم عن كونه موضوعيّا في الاتّصاليّة السّيّلانيّة للصّور، هو إِحْضَارٌ للانْتِشَارِ الزّمنيّ الموضوعيّ المتعلّق بالموضوع، أي هو إِحْضَارٌ لِمُدَّتِهِ الزّمنيّة، أي لِمُدَّةِ الموضوع الزّمنيّة.

وإذا ما أَمْعَنَّا النّظر، فَسَنَتَبَيَّنُ أنّ إحضار الزّمن الموضوعيّ إنّما هو مُخْتَلِفٌ اختلافا حقيقيّا عن الإحضار المُتَعَلِّقِ بالموضوع ذي الوجود في الزّمن الموضوعيّ، والّذي يوجد وجودا زمنيّا في الزّمن على أنّه موضوع واحد هو هو، ويَمْلأُهُ في هَيْئَةِ الزَّمَنِيَّةِ. وطَلَبًا لِلتَّيْسِيرِ في الفَهْم، فَلْنَعْتَبِرْ اتّصاليّة من الصّور المتشابهة على التّمام، والغَنِيَّةِ حقيقتها، على السَّوَاءِ؛ إذًا، فَسَنَتَبَيَّنُ في هذا المَحَلِّ المحدود للرّؤية الواضحة جدّا، حُزْمَةً قصديّة من الشُّعَاعَاتِ تَشُقُّ الصّور الّتي تسيل في شِبْهِ الزَّمَنِيَّةِ حتّى تجعلها، أي تجعل هذه الصّور، داخلة في مُنَاسَبَةٍ ذات تعلّق بمعنى واحد هوهو. إنّ الحدود الموجودة على شُعَاعٍ قصديّ واحد إنّما تُحْضِرُ بما لها من محتويات حدّا موضوعيّا واحدا هو هو. لذلك فالوعي الّذي يضع الوحدة هو يشقّ هاهنا الاتّصاليّة الزّمنيّة المتقدّمة عن كونها تجربيّة. وكلّ سيّال من المحتويات المنتظمة على شعاع قصديّ واحد، فإنّما يُحْضِرُ كُلُّ طور طور منه عين الحدّ الموضوعيّ الواحد. وكلّ حدّ في الصّورة، فأيضا هو ذو وضع زمنيّ متقدّم عن كونه تجربيّا. ولكن الأوضاع الزّمنيّة المتعاقبة هي لا يَشُقُّهَا إطلاقا وعي بالوحدة الّذي سيكون من شأنه أن يُصَيِّرَهَا ذات وحدة موضوعيّة هي هي: إذ أنّ سلسلة الحدود الصّوريّة الّتي تَنْبَسِطُ في اتّصاليّة من الأوضاع الزّمنيّة إنّما تُحْضِرُ حدّا واحدا في الشّيء، أمّا سلسلة الأوضاع الزّمنيّة بعينها، فهي لا تحضر إطلاقا حدّا زمنيّا يكون هو هو في الشّيء، بل إنّها تحضر سلسلة زمنيّة. واعلم أنّ كلّ حدّ مخصوص في الصّورة فوضعه الزّمنيّ هو عين وضع كلّ حدّ آخر يكون مقترن الوجود به في الصّورة. والصّورة بِأَسْرِهَا هي ذات وضع زمنيّ، وكلّ صورة غيرها هي ذات وضع زمنيّ آخر. ومن المضطرّ أن يكون كلّ وضع وضع زمنيّ مُخْتَلِفٍ في

سيّال الصّور المتقدّم عن كونه تجريبيّا، هو يُحْضِرُ وضعا زمنيّا موضوعيّا مختلفا أيضا، وإلاّ لامْتَنَعَ ظهور الشّيء الزّمنيّ على أنّه سلسلة زمنيّة موضوعيّة مَمْلُوَّةٌ.

إنّ الوعي بالوحدة المُنْبَسِطَ في السّيلان الزّمنيّ المتقدّم عن كونه تجريبيّا هو يضع وحدة ما في السّيّلان الزّمنيّ المتعلّق بِالصُّوَرِ المُحْضِرَةِ، وذلك بِجَعْلِهِ كلّ صورة صورة، إِحْضَارًا، وَبِوَضْعِهِ فيها مُعْطًى مَا، وَبِوَضْعِهِ في كلّ صورة مُتَجَدِّدَةٍ مُعْطَى لِعَيْنِ الشّيء الواحد. إلاّ أنّ المُعْطَى في كلّ طور طور إنّما يُعْطَى ويُوضَعُ على أنّه آن ذُو انْطِوَاءٍ على محتوى ما، وهو يكون محفوظا في آنه حينما ينتقل إلى الطّور الّذي يليه. وعلى هذا كان كلّ طور متجدّد هو يُعْطَى مَحْفُوظَ الوجود في آنه، ولِذَلِكَ فالأطوار كلّها إنّما تُوضَعُ مع الانتقال المتّصل لَهَا، في وحدة ما بِحَيْثُ يكون كلّ واحد منها حافظا لآنه في الموضوعيّة المُصَيَّرَةِ، وتكون سلسلة الآنات الحَدِّيَّةِ، من حيث هي حدود زمنيّة موضوعيّة، إنّما يَمْلَأُهَا محتوى ذو انطواء على وحدة متّصلة، وهي هي. فمثلا إذا كان الطّور (أ) طورا فعليّا، كان موصوفا بأنّه آن فعليّ. وأنت تعلم أنّه في السيّال الزّمنيّ، فالأطوار إنّما يعلق بعضها ببعض، وأنّه كلّما تجدّد طور فعليّ، فالأطوار الّتي كانت آنا، من قريب، تكون قد انقلبت طبيعتها الفعليّة. وهو في مثل هذا السيّال من التّغييرات إنّما يكون حصول التَّصْيِيرِ الموضوعيّ للزّمن، على معنى أنّ (أ) حينما يناله سيّال التّغيير الفينومينولوجيّ، ويذهب هو في هُوِيِّهِ، فإنّه يكون هناك وضع متّصل لِعَيْنِ (أ) الواحد، ولِعَيْنِ حَدِّهِ الزّمنيّ. وسيّال الصّور هو يظهر في الوعي المُصَيِّرِ موضوعيّا في صورة سيّال تَغْيِيرِيٍّ للمُحْتَوَيَاتِ الحِسِيَّةِ، وذلك إذا كانت كلّ صورة قد صُيِّرَتْ موضوعيّة في آنها، كما هي في حقيقتها: وحينئذ، فإنّ وحدة هذه الكثرة ستكون وحدة موجودة فيها، أي في هذه الصّورة، ولا تُشْتَقُّ إلاّ منها.

ولكن في التَّصْيِيرِ الموضوعيّ لِلشَّيْءِ، فالمحتوى الصّورة بما هو وحدة حِسِيَّةٌ

حَرَكِيَّةٌ تَرْجِحِيَّةٌ[1]، إنّما يناله فعل أخذيّ مَا، شأنه أن يجعل الأمر ذا وجود مُفَارِقٍ. وحينئذ فالمحتوى لا يُؤْخَذُ على أنّه لَمُجَرَّدُ محتوى، بل على أنّه إحْضَارٌ، وعلى أنّه حَامِلٌ لِحُزْمَةٍ قصديّة ذات خاصّة ما، وذاتِ تَحَقُّقٍ دَائِبٍ على جهة مَحْضِ المُطَابَقَةِ. وهذه القصديّة هي تَشُقُّ المحتويات الصّور، ويَقْتَرِنُ ذلك بأنّ كلّ آن آن حاضر يكون في كلّ صورة صورة، فهو يَعْتُورُهُ كذلك فِعْلُ التَّصْيِيرِ المَوْضُوعِيِّ المُصَيِّرِ إيّاه حَدًّا زَمَنِيًا، وإنّه لَيَعْتُورُهُ هذا الفعل ولو لم يوجد موضوع شأنه أن يُصَيَّرَ مَوْضُوعِيًا. لِذَلِكَ كانت كلّ سلسلة زمنيّة موضوعيّة هي تَنْتَشِئُ أبدا على صورة واحدة. لكنّ السّلسلة الظُّهُورِيَّةَ الّتي في سَيَّالِهَا تَنْتَشِئُ الزّمنيّة الموضوعيّة المتعلّقة بِزَمَنِيَّةٍ شَيْئِيَّةٍ إنّما تختلف اختلافا مَادِيًّا عن السّلسلة الظّهوريّة الّتي في سيّالها تَنْتَشِئُ زمنيّة لا شَيْئِيَّةٌ، فَمَثَلاً: السّلسلة الظّهوريّة الّتي في سيّالها يَنْتَشِئُ الزّمن الموضوعيّ المُنْتَشِئُ في زمنيّة الصّوت الباطنيّ أو تَغْيِيرِهُ، هي تختلف اختلافا ماديّا عن السّلسلة الظّهوريّة الّتي في سيّالها يَنْتَشِئُ الزّمن الموضوعيّ المُنْتَشِئُ في زَمَنِيَّةِ الشّيء أو تَغْيِيرِهِ. ولكن كلا السّلسلتين الظُّهُورِيَيْنِ هما يشتركان في وصف واحد، أو صورة واحدة، هي أَصْلُ وَصْفِ الزَّمَنِ بما هو زمن موضوعيّ، بِصَيْرُورَتِهِ مَوْضُوعِيًا. مَعَ عِلْمِكَ أنّ ظهورات المثال الأوّل إنّما هي ظهورات لِشَيْءٍ مَا بَاطِنِيٍّ، وظهورات المثال الثّاني هي ظهورات لِوَجْهٍ مَا في الشّيء. وبَيِّنٌ أنّه كما أنّ وِحْدَةَ حَقِيقَةِ الصّوت فِي سَيَّالِ الأَطْوَارِ الّتي كلّ طور منها هو ذو شخصيّة زمنيّة له، إنّما هي وحدة في اتِّصَالِيَّةِ الأطوار، أي هي وحدة حَقِيقَةٍ لِصَوْتٍ موجود، أي لِصَوْتٍ يَنْتَشِرُ في الأطوار جَمِيعِهَا، صَحَّ كذلك أنّ وحدة حقيقة الشّيء في سيّال الظّهورات إنّما هي وِحْدَةُ حَقِيقَةٍ لِشَيْءٍ شأنه الظّهور في الظّهورات كُلِّهَا على أنّه شيء يُعْطَى في شخصه، وفي الآن، وأنّه يظهر في آن متجدّد أبدا، وأنّه لَذُو زَمَنِيَّةٍ.

---

(1) Unité kinesthésique de motivation.

ومع ذلك فلا بدّ أن نُشِيرَ إلى أنّه في الإدراك المُفَارِقِ[1]، فإنّ الأطوار الظّهوريّة المتقدّمة لا تُحْفَظُ فقط حِفْظًا مَسْكِيًّا كما هو جَارٍ أمره في كلّ تَعَاقُبِيَّةٍ ظُهُورِيَّةٍ، وإن كان بشرط بعض القيود، إذ أنّه في هذا الإدراك، أي في الإدراك المفارق، فكلّ ظهور إدراكيّ فعليّ في الآن الحاضر لا يُعْطِي ألبتّة ما يُعْطِيهِ الآن بالفعل على أنّه نهاية الواقع الّذي يعطيه الإدراك على أنّه موجود الآن. وليس بصحيح القول بأنّ الظّهورات المتقدّمة إنّما تكون محفوظة فقط لِبَقَائِهَا في المَسْكِ من حيث هي ظهورات لِشَيْءٍ ما قد تَصَرَّمَ. بل إنّ الوعي الأوّلي التّذكّريّ المتعلّق بالأطوار المتقدّمة هو بلا مِرْيَةٍ، وعي تذكّريّ، ولكنّه وعي تذكّريّ بالقياس إلى الإدراك المتقدّم. أمّا ما كان قد تقدّم إدراكه فلا يكون حضوره الآن حُضُورَ ما كان قد تقدّم إدراكه فقط: بل إنّه لَيَفْضُلُ الآن، ويُوضَعُ أبدا على أنّه الآن هو أيضا موجود. وليس فقط ما كان قد أُدْرِكَ من قريب على التّخصيص، ما يُوضَعُ بأنّه لَمَوجُودٌ، بل وأيضا المُتَصَرِّمُ المُعْطَى مِنْ بَعِيدٍ. إذًا ففي سيّال الإدراك المقول على التّخصيص، فهو يُوضَعُ وُجُودٌ، ليس فحسب، لِمَا يكون مُبْصَرًا على التّخصيص، ويكون ذا زمنيّة في سيّال ظهوراته، بل وأيضا الماضي الّذي كان قد أُبْصِرَ. وكذا الأمر في المستقبل: إذ هو يُوضَعُ على أنّه مَوْجُودٌ الآن وَحَاضِرٌ، ما يُوشِكُ أن يصير مُدْرَكًا حَقًّا، بعد التّرقّب، في الأطوار المقبلة للإدراك المَقُولِ على التَّحْقِيقِ: فهذا الأمر هو موجود الآن، وهو ذو زمنيّة، ويملأ عين الزّمن الّذي يملأه الإدراك المقول على التّخصيص. واعلم أنّ هذه القاعدة لَمُطَّرِدَةٌ في كلّ شيء يكون ظاهرا، وإن لم يكن مُبْصَرًا، على معنى أنّها لَمُطَّرِدَةٌ في كلّ ما شأنه أن يُدْرَكَ على أنّه لَجُزْءٌ في جُمْلَةٍ واحدة حين سَيَلاَنٍ ما لإِحْسَاسَاتٍ مُرَجِّحَةٍ (ح).

وهذا الحاصل الموصوف هاهنا ما هو إلاّ تَوْسِيعٌ في أَثَرِ الفعل المُصَيِّرِ موضوعيّا للزّمن الّذي كنّا قد حصرناه حين كلامنا فيه، فيما يكون أبدا تَرَاهُ

---

(1) Perception transcendante.

العين وتراه أبدا حاضرا حضورا مختلفا. ولكن كلّ ما يُرَى، فَمِنَ الجَائِزِ جِدًّا أن يَصِيرَ لاَ يُرَى، ومع ذلك فهو يَبْقَى ظَاهِرًا أيضا. إذ كلّ سيّال سيّال إدراكيّ، فَمِنْ لَوَازِمِ حقيقته أنّه يجوز أن يُوَسَّعَ منه أثره الفعليّ حتّى يَقْلِبَ بِأَخَرَةَ الأمر المُدْرَكَ إلى أَمْرٍ لاَ مُدَرَكٍ. وهو مِثْلَمَا كان قد صحّ أنّ وَضْعَ الزّمن إنّما يَقْتَرِنُ أبدا جَمْعُهُ في حَقِيقَةٍ واحدة لِلشَّيْءِ المُبْصَرِ الظَّاهِرِ بين يدينا ظهورا تامّا في سيّال تَغَيُّرِ ظُهُورَاتِهِ جميعا، بِتَصْيِيرِهِ موضوعيّا أيضا لِكُلِّ وَضْعٍ زمنيّ لِلأَطْوَارِ الظّهوريّة وَبِخَلْعِهِ عليها معنى الزّمن الموضوعيّ، مِمَّا يلزم منه أنّ الموجود الموضوعيّ الزّمنيّ إنّما يَنْتَشِرُ في سلسلة الظّهورات، كذلك فإنّ أمر وضع الزّمن بالقياس إلى أمر جملة الظّهورات المُحْضِرَةِ لِمَوْضُوعِيَّةٍ واحدة هي هي إحضارا ناقصا، ومُتَجَدِّدِ النَّقْصِ أبدا، هو لَشَبِيهٌ بِأَمْرِهِ إذا قِيسَ إلى أمر تَصْيِيرِهِ موضوعيّا لِلأَوْضَاعِ الزّمنيّة المُتَقَدِّمِ وَصْفُهُ.

تكملة حادية عشرة: الإدراك المطابق، والإدراك اللاّمطابق[ز]

إنّ الإدراك المُطَابِقَ الّذي هو مُعْطَى بَاطِنِيٌّ مَحْضٌ ومُطَابِقٌ قد يُفْهَمُ بِمَعْنَيَيْنِ اثنين، أحدهما ذو شبه كبير بالإدراك الخارجيّ، وثانيهما لا شبه له ألبتّة بالإدراك الخارجيّ. فمثلا في سماع باطنيّ لِصَوْتٍ مَا، فالأخذ قد يُشِيرُ إمّا إلى الأمر المحسوس في السيّال الزّمنيّ، وإمّا إلى الأمر المُنْتَشِئِ في هذا السيّال، مع وجوده، أي هذا المُنْتَشِئُ، وجودا باطنيّا.

فأوّلا، فالصّوت سواء كان كَيْفُهُ مُتَغَيِّرًا، وكان ذا كثافة متغيّرة، أو ظهر لنا على أنّه صوت مُنْتَشِرٌ في الزّمن، ولكن معانيه الذّاتيّة هي ثابتة على التّمام، فهناك لا محالة أبدا سيّال، وهذه الموضوعيّة الشّخصيّة الصّوتيّة لا يمكن أن تُعْطَى إلاّ في سَيَّالٍ كهذا السيّال. إذ أنّ الصّوت إنّما يبدأ في صورة الآن

(ز) تكملة ذات صلة بالباب الرّابع والأربعين من الكتاب (إشارة من المترجم الفرنسيّ).

الصّوتيّ الّذي يعلق به أبدا آن متجدّد، وكلّ آن آن فهو ذو مُحْتَوَى هو من الممكن أن يُقْصَدَ إليه بالنّظر، وهو كما هو في حقيقته. لذلك كان من الجائز جدّا أن يُسْبَحَ في سيلانيّة السيّال، وأن تُتْبَعَ النَّظْرَةَ الحدسيّة، وكان من الجائز أيضا أن يُخَصَّ بالنّظر لا فقط كلّ محتوى آنيّ، بل الانْتِشَارِيَّةُ كلّها المَوْسُومَةُ هاهنا بالسيّال، وأن تُخَصَّ بالنّظر وهي مُقْتَرِنٌ بها ما يملأها مَلأً مُتَعَيِّنًا، أو وهو مُجَرَّدٌ عنها. واعلم أنّ المقصود بهذا السيّال ليس سيّال الزّمن الموضوعيّ الّذي تُعَيِّنُهُ السّاعة، أي ليس هو زمن العالم الّذي أعرفه بالقياس إلى الأرض والشّمس. فمثل هذا الزّمن إنّما يدخل تحت حُكْمِ الرَدِّ الفينومينولوجيّ. بل إنّ المقصود بهذا السيّال، الزّمن المُتَقَدِّمُ عن كونه تجريبيّا، أوالزّمن الفينومينولوجيّ. فهذا الزّمن هو الّذي يُعْطِي المِثَالاَتِ[1] الأَصْلِيَّةَ المُؤَثِّرَةَ في تصوّرنا لِلْمَحْمُولاَتِ الزّمنيّة الموضوعيّة، أو لِنَقُلْ على جهة التَّشْبِيهِ، هو المُعْطِي لِلْإِحْسَاسَاتِ الزّمنيّة. إذًا، ففي هذا الضّرب الإدراكيّ الموصوف، يكون النّظر عند كلّ محتوى موجودا في انْتِشَارِيَّةٍ زمنيّة تَخُصُّهُ، ومَالِئًا لِهَذِهِ الانْتِشَارِيَّةِ مَلأً مَخْصُوصًا، إنّما هو مَصْرُوفٌ إلى المحتوى الزّمنيّ المُجَرَّدِ عن الانْتِشَارِيَّةِ الزَّمَنِيَّةِ، أو هو مصروف إلى الانتشاريّة الزّمنيّة بِعَيْنِهَا المجرّدة عن هذا المحتوى؛ وفي كلا الوضعيّن بالسَّوَاءِ، فالنَّظَرُ إنّما يكون مَخْصُوصًا بالمُعْطَى إعطاء فعليّا، أي بالمعنى الدَّاخِلِ دُخولاً حَقِيقِيًّا في الإدراك. فذا وجه أوّل.

وثانيا، فأمّا إذا كان صَوْتٌ، صَوْتُ **دُو** مثلا، مُنْتَشِرًا في الزّمن، فالإشارة الإدراكيّة قد تُصْرَفُ إلى صوت **دو** الزّمنيّ، أي إلى صوت **دو** الموضوع الّذي هو موضوع واحد في السيّال الزّمنيّ، والّذي يكون أبدا هو هو في كلّ الأطوار السيّاليّة جميعا. وأيضا فإنّ الصّوت، وإن تَغَيَّرَ كَثَافَةً، أو كَيْفًا، حينما يختلف

(1) Représentants.

مثلا في صورته، فالإشارة الإدراكيّة إنّما يكون بِأَعْيُنِهَا حينئذ لَشَيْءٌ واحد هو يتغيّر، ويبقى هو هو وإن كان يتغيّر كيفه وكثافته. فَبَيِّنٌ إذًا أنّ هذا الموضوع هو غير الموضوع المذكور آنفا. فآنفا كان الموضوع هو السيّال الزّمنيّ للصّوت، والآن فهو الشّيء الواحد الموجود في السيّال الزّمنيّ.

إنّ السيّال الزّمنيّ لِلصَّوْتِ هو زمن، إنّه زمن مُتَعَيِّنٌ وَمَمْلُوٌّ، لكنّه ليس بذي زمن ولا يوجد في زمن إطلاقا. أمّا هذا الصّوت، فهو ذو وجود في الزّمن وانتشاريّة فيه، وشَأْنُهُ أيضا أن يتغيّر. وهو وإن تغيّر، فإنّما يكون واحدا في جوهره. وهذا الجوهر الصّوتيّ الواحد إنّما هو جوهر متقدّم عن كونه تجريبيّا، ومتقدّم عن كونها ظاهريّا، فمثله في هذا الحكم مثل الزّمن الموجود فيه الّذي هو أيضا فينومينولوجيّ الحقيقة، ومتقدّم عن كونه تجريبيّا. إذًا فهذا الجوهر هو الحقيقة الواحدة، والأمر الّذي شأنه أن يَحْمِلَ معنى التّغيرّ أو اللاّتغيّر، فمثلا، هو قد يحمل كيفا ما ثابتا، وكثافة متغيّرة، أو قد يحمل كيفا متغيّرا تغيّرا مُتَّصِلاً، وكثافة متغيّرة على جهة الطَّفْرَةِ[1]، وهلمّ جرّا. فعبارة الجوهر هو يُدَلُّ بها على الشّيء الواحد الحقيقة الّذي قد يُخَصُّ بالإشارة النّظريّة، خِلافًا للمحتوى الزّمنيّ الّذي يكون تَارَةً مُتَّفِقَ الحقيقة، وطورا مُخْتَلِفَهَا، والمُتَغَيِّرَ أبدا في كلّ طور سيّاليّ للزّمن. فالجوهر إنّما هو شيء مُتَّفِقُ الحقيقة شأنه أن يَجْمَعَ في معنى واحد كلّ الأطوار الزّمنيّة السيّالة، لاشْتِرَاكِهَا في ماهية واحدة، أو لاشتراكها في جنس واحد، هو حينئذ لا يُؤْخَذُ في ذاته، ولا يُوصَلُ إليه بطريق التّجريد الجوهريّ. وهذا المعنى المتّفق الحقيقة إنّما هو الماهية الواحدة الّتي شأنها البقاء في السيّال أبدا في شَخْصِهَا. وليس يَلْزَمُ من وَضْعِنَا لِلْجَوْهَرِ فِي مَحَلِّ الإِشَارَةِ النّظريّة أنّنا نُسْقِطُ منه، أي من محلّ الإشارة سيّال المحتويات المعطاة، وأنّا نُشِيرُ فيه إلى المعنى العامّ، بل إنّ سَيَّالَ الامتلاء الزَّمَنِيِّ هو يكون

(1) Brusquement.

حينئذ بِأَعْيُنِنَا، وَإِنَّهُ لَنَا أن نَتَبَيَّنَ منه هذا المعنى الواحد الموجود فيه، أي في السيّال، والمقترن به أبدا.

إنّ الجوهر هو الأمر الواحد والمُتَّفِقُ الحقيقة في كُلِّ السيّال المُتَعَيِّنِ. ولو جرّدنا بالنّظر معنى ما، لا يقوم بذاته، كالكثافة الصّوتيّة مثلا، فَسَنَتَبَيَّنُ فيه أيضا معنى وحدة الحقيقة كالّذي في الجوهر، إذ جرت عادتنا بالقول إنّ الكثافة هي تتغيّر أو لاتتغيّر. فالصّوت، أو كلّ شيء فينومينولوجيّ الطّبيعة، إنّما هو ذو خاصيّات مختلفة، وكلّ واحدة منها فهي أيضا لَأَمْرٌ واحد هو هو في حَالَي التّغيرّ أو اللاّتغيّر. إنّها، أي الخاصيّة، كالشُّعَاعِ في الوحدة الجوهريّة، ليس قيامه بذاته، أو كالجهة في الجوهر، أو كالمعنى في وحدة الجوهر، ليس يقوم بذاته، ومع ذلك فهي بِعَيْنِهَا لَمُنْطَوِيَةٌ على معنى الوحدة كالمعنى الّذي للوحدة الجوهريّة. إذًا، فهذا الجوهر، وهذا العرض المتقدّمان عن كونهما تَجْرِبِيَّيْن، هما مُعْطَيَانِ فينومينولوجيّان شأنهما أن يُعْطَيَا إعطاء إدراكيّا، وبِلاَ رَيْبٍ، أن يُعْطَيَا إعطاء إدراكيّا مُطَابِقًا. وقد قلت في هذا الضّرب الإدراكيّ إنّه لَمُشَابِهٌ للإدراك الخارجيّ. وذلك لأنّ الإدراك الخارجيّ هو أبدا إدراك لِشَيْءٍ، أو لِعَرْضٍ في الشّيء، وهناك معنى مشترك بين هذا الإدراك والإدراك المتعلّق بالجوهر الفينومينولوجيّ الباطنيّ. فمثلا لو كان الإدراك إدراكا لِبَيْتٍ، فهو من لوازم حقيقة البيت، أو لِنَقُلْ من لوازم حقيقة معنى الإدراك، أن يكون هذا البيت حِينَئِذٍ ذا انتشار في الزّمن، وذا ظهور على أنّه بَاقٍ بلا تغيّر، وعلى أنّه معنى واحد هو هو ثَابِتُ الحقيقة في هذه الانْتِشَارِيَّةِ الزّمنيّة. وكذا الأمر في الموضوع المُدْرَكِ المتغيّر، كطيران العصفور، أو كاختلاف ضياء النّار. فالموضوع الخارجيّ إذًا هو ذو زمنيّة ظاهريّة، ولا يظهر إلاّ في هيئة المعنى الواحد الموجود في هذا الزّمن، أي في هيئة المعنى الواحد الّذي هو هو في الحركة أو التّغيّر. ولكن هذا الإدراك الخارجيّ لِلْمَوْضُوعِ المتغيّر أو اللاّمتغيّر ليس بالإدراك المُطَابِقِ حَتْمًا، والزَّمَنُ المَمْلُوُّ بمحتواه، أي بمحتوى هذا

الإدراك، ليس بالمعطى إعطاء مطابقا، ولا يجوز فيه أن يُشَارَ إليه على أنّه إِحْسَاسٌ. كذلك فإنّ الجمع في حقيقة واحدة لِلشَّيْءِ الخارجيّ ولِخَصَائِصِهِ، فلا يمكن حصوله حصولا مطابقا، خِلاَفًا لِلْجَمْع في حقيقة واحدة للصّوت الرَّانِّ في سيّال فَنَائِهِ وانْبِعَاثِهِ، وهلمّ جرّا. ومع كلّ ذلك، فمن البَيِّنِ جدّا أنّ معنى الجمع في حقيقة واحدة أو معنى الجوهرة المُعْطَى أو المُتَحَقِّقَ في الباطنيّة إنّما هو عَيْنُ معنى الجمع في حقيقة واحدة أو معنى الجوهرة المُتَحَقِّقِ في الإدراك الخارجيّ على جهة اللاّمطابقة، وبطريق أفعال التَّبَيُّنِ المُفَرِّقَةِ(١). وهو أيضا بَيِّنٌ أنّ كلّ فَحْصٍ عن مَعْنَيَيْ الشّيء والخاصّة، ومَعْنَيَيْ الجوهر والعرض، فلا بدّ أن يَبْدَأَ أوّلا بالنّظر في الأمر الفينومينولوجيّ الباطنيّ حتّى نستخلص منه ما حقيقة الجوهر الفينومينولوجيّ، والعرض الفينومينولوجيّ، كما كان كلّ فحص عن ما حقيقة الزّمن إنّما يبدأ أوّلا بالفحص عن الزّمن المتقدّم عن كونه تجريبيّا، سَوَاءً بِسَوَاءٍ.

إنّه ممّا سبق يظهر أنّه لَيُوجَدُ ضروب أولى في الإدراك المطابق والإدراك اللاّمطابق. أمّا في الوصف الآخر للإدراك بالإدراك الباطنيّ والإدراك الخارجيّ، فهو بَيِّنٌ الآن بأنّه لَمُورِثٌ لِبَعْضِ اللَّبْسِ. إذ أنّه يلزم ضرورة ممّا قيل بأنّ عبارة الإدراك الباطنيّ إنّما تدلّ على معنيين اثنين مختلفين اختلافا حقيقيّا: فهي تدلّ أوّلا على الإدراك المتعلّق بالجزء الباطنيّ المُقَوِّم للإدراك، وقد تدلّ ثانيا على الشّيء الّذي يكون نُصْبَ العَيْنِ في الباطنيّة، ولا يكون جزء مقوّما للإدراك. وإذا ما قِسْنَا بين الضّربين الاثنين من الإدراك المطابق، فَسَيَبِينُ هذا المعنى المشترك بينهما وهو أنّه فيهما فالموضوع إنّما يُعْطَى على جهة المطابقة، وهو لَمِنَ الوصف الخاطئ جدّا أن يُؤَوَّلَ إعطاءهما له، أي لِمَوْضُوعَيْهِمَا، على أنّه إعطاء لِأَمْرٍ مُفَارِقٍ. ومع ذلك، فهو في الضّرب الأوّل فقط من الإدراك المطابق إنّما يكون الموضوع مُقَوِّمًا حَقِيقِيًّا لِظَاهِرَةِ الإدراك. فمثلا السيّال

(1) Aperceptions transcendantes.

الزّمنيّ الصّوتيّ هو موجود في ظاهرة الإدراك، وأجزاءه المُقَوِّمَةُ له، أي للسيّال، هي مقوّمة أيضا لظاهرة الإدراك. فكلّ طور طور، أو كلّ جزء مقوّم للسيّال، هو جزء مقوّم للظّاهرة. أمّا المعنى الواحد المتّفق الحقيقة في السيّال الزّمنيّ، أي الجوهر الفينومينولوجيّ المُقَارِنُ لِخَواصِّهِ، والّذي قد يوجد بلا تغيّر، أو بتغيّر، فهو بلا ريب، لَمَوْضُوعٌ لِحَدْسٍ مُطَابِقٍ في الضّرب الثّاني من الإدراك المطابق. ومع ذلك فَمِنَ المُمْتَنِعِ ألبتّة أن يُوصَفَ بأنّه رُكْنٌ، أو جزء حَقِيقِيٌّ مُقَوِّمٌ لِظَاهِرَةِ الإدراك.

تكملة ثانية عشرة: في الوعي الباطنيّ وفي الإِحَاطَةِ عِلْمًا بالمعاييش[س]

إنّ الفعل(E) هو وعي بِشَيْءٍ ما. لكنّ كلّ فعل أيضا هو مُعْطَى في الوعي. وكلّ مَعِيشٍ هو محسوس ومُدْرَكٌ في الباطنيّة، أي في الوعي الباطنيّ، وإن كان من المعلوم جدّا أنّه ليس كلّ معيش فهو موضوع، أو مُشَارٌ إليه، إذ أنّ المعيش هاهنا ليس يَدُلُّ ألبتّة على الالْتِفَاتِ إلى، أو الإِشَارَةِ إلى، أو على الأخذ. وكلّ فعل فَمِنَ الجائز فيه أن يُبْدَعَ ثاني الإبداع؛ وكلّ وعي باطنيّ بالفعل الّذي هو، أي الوعي الباطنيّ، إدراك، فمن الجائز أن يَعْتُورَهُ وعي مُبْدِعٌ ثاني الإبداع، كذكرى ما مثلا. وعَسَى الأمر حينئذ أن يتسلسل تسلسلا حقيقيّا إلى ما لانهاية له. وذلك لِأَنَّ الوعي الباطنيّ، أي إدراك الفعل الّذي قد يكون فعلا حُكْمِيًّا، أو إدراكا خارجيّا، أو فعلا فَرَحِيًّا، وهلمّ جرّا، فسيكون إذًا هو نفسه فعلا، وإذا كان فعلا، فسيكون هو نفسه مُدْرَكًا أيضا إدراكا باطنيّا، وهلمّ جرّا. ولنا أن نَنْقُضَ هذا التّسلسل المزعوم بقولنا: إنّ كلّ معيش مَقُولاً على التَّحْقِيقِ، فهو مُدْرَكٌ إدراكا باطنيّا، أمّا الإدراك الباطنيّ فلا يُقَالُ عليه معيش بِعَيْنِ المعنى الّذي يقال به على المعاييش الحقيقيّة. ولذلك فهو نفسه لا يكون مُدْرَكًا في الباطن. والمعيش الّذي من شأن الإشارة النّظريّة أن تناله فهو يُعْطَى على أنّه معيش ذو

(س)تكملة ذات صلة بالباب الرّابع والأربعين من الكتاب (إشارة من المترجم الفرنسيّ).

زمنيّة، ويَسِيلُ، ويتغيّر على أنحاء ما. أمّا النّظرة المُشِيرَةُ إليه فلا تُعْطَى على هذه الصّورة، بل إنّها لَتَقْتَصِرُ على الإشارة إليه فحسب.

إنّ المعيش الّذي يُعْطَى الآن ويُوجَدُ في الزّمن، لو كَرَرْنَا عليه بالإشارة النّظريّة، فسَيَبِينُ أنّه إنّما هو أوّلا وحدة الوعي الباطنيّ، أو وحدة الوعي الزّمنيّ الّتي هي وعي إدراكيّ حقيقيّ. وإذ كان كُلُّ المقصود من عبارة إدراك هاهنا فهو ذلك الوعي المُنْشِئُ لِلزَّمَنِ، والمُشْتَمِلُ على أطوار المسك ومقبل المسك السيّالة، ليس غير، فمن الممتنع إذًا أن يُوجَدَ تحت الفعل الإدراكيّ فعل إدراكيّ ثان، كما لو كان السيّال الإدراكيّ الأوّل هو ذو وحدة مُنْشَأَةٍ في سَيَّالٍ ثَانٍ. وعليه، فاعلم أنّ كلّ ما نُطْلِقُ عليه اسم المعيش، كفعل الحُكْمِ[F]، أو فعل الفرح، أو فعل الإدراك الخارجيّ، أو أيضا كلّ ما نسميّه فعل الإشارة إلى فعل آخر، أي كلّ فعل إشارة إِثْبَاتِيٍّ[١]، فهي جميعها لَوَحَدَاتٌ في الوعي الزّمنيّ، وأمور مُدْرَكَةٌ. ومن شأن كلّ وحدة وحدة من تلك أن يتعلّق بها فعل تغييريّ ما. أو لِنَقُلْ بعبارة أصدق: إنّه قد يتعلّق بالإنشائيّة الأصليّة للزّمن أي بالفعل الإدراكيّ، فعل مُبْدِعٌ ثاني الإبداع، وكذلك قد يتعلّق بالأمر المُدْرَكِ أَمْرٌ مُحْضَرٌ ثاني الإحضار.

ولِنَقِسْ الآن الفعل الأصليّ إلى فعل الإحضار ثاني الإحضار. فالأمر سيكون على هذه الصّورة: إنّا لو رَمَزْنَا ب(أ) إلى كلّ فعل باطنيّ يُوعَى به في الوعي الباطنيّ، أي هو يَنْتَشِئُ في الوعي الباطنيّ، ولو رمزنا إلى الوعي الباطنيّ **بدط**، فسيلزم حينئذ هذه الحقيقة المرموز إليها **بدط**(أ). وإذ قد نرمز إلى فعل الإحضار ثاني الإحضار للفعل (أ) **بثط**(أ)، وإذ قد نعلم بأنّ الحقيقة المرموز إليها **بثط**(أ) هي أيضا لَمَوْضُوعٌ للوعي الباطنيّ، فسيلزم إذًا هذه الحقيقة المرموز إليها **بدط**[**ث**ط(أ)].

---

(1) Visée thétique.

فبان إذًا أنّ الوعي الباطنيّ، وما اشتمل عليه من معاييش بأسرها، إنّما يَنْطَوِي على ضربين اثنين من الفعل كلاهما متعلّق بالآخر ضرورة، أي ضرب أوّل يُرْمَزُ إليه ب (أ)، وضرب ثان يُرْمَزُ إليه **بث**ط(أ).

ولِتَعْلَمْ أنّ كلّ الفينومينولوجيا الّتي شغلني أمرها في **الأبحاث المنطقيّة** إنّما كانت تِلْكُمُ النّاظرة في المعيش من حيث هو مُعْطَى وَعْيِيٌّ بَاطِنِيٌّ، ولا ريب أنّ ذلك قد كان موضوع بحث مُتَعَيِّنَ الحقيقة جدًّا.

ولكن (أ) قد يكون مُخْتَلِفًا، كأن يكون مُحْتَوًى حِسِيًّا، أي أَحْمَرِيَّةً محسوسة مثلا. وهنا فالحسّ ليس يدلّ إلاّ على الوعي الباطنيّ بالمحتوى الحسيّ. إذًا، فالحسّ الأحمريّ الّذي هو إحساس بالأحمريّة هو دط(أحمرية)، والصّورة الخياليّة الأحمريّة المرموز إليها **بث**ط(الأحمرية)، هي أيضا دط[**ث**ط(الأحمرية)]. وإذا عَلِمْتَ ذلك، علمت كيف كان قد جاز لي في **الأبحاث المنطقيّة** أن أجعل من حقيقة الإحساس هي عين حقيقة المحتوى الحسّيّ. إِذْ مَرْتَبَةُ البحث الّتي كنت فيها في ذلك الكتاب إنّما هي مرتبة الوعي الباطنيّ، وأنت تعلم أنّه لا يوجد إطلاقا في هذه المرتبة إِحْسَاسٌ(١)، بل فقط مَحْسُوسٌ(٢). وهو لِأَجْلِ ذلك كان قد جاز لي هُنَالِكَ أن أقابل أيضا الفعل، أي المَعِيشَ القصديّ في الوعي الباطنيّ باللاّفعل. لِأَنَّ اللاَّفِعْلَ إنّما هو، على التّخصيص، جُمْلَةُ المحتويات الحسيّة الأولى. أمّا الصّورة الخياليّة(٣)، فقد كان من غَيْرِ الصَّوَابِ البَيِّنِ أن نَصِفَهَا حِينَئِذٍ، أي في مرتبة بحثنا في الوعي الباطنيّ، بأنّها معيش، وذلك أنّا كنّا نَدُلُّ بهذه العبارة، أي المعيش، على المُعْطَى الوَعْيِيِّ الباطنيّ، وعلى المُدْرَكِ إدراكا باطنيّا. ولذلك فهو من الواجب أبدا أن تَحْضُرَنَا في أمر

---

(1) Sentir.

(2) Senti.

(3) Phantasme.

الصّورة الخياليّة هذه التّفرقة بين المحتويات المُحْضَرَةِ ثاني الإحضار، كالمحتويات الحسيّة المتخيّلة، وفعل الإحضار ثاني الإحضار لِعَيْنِ هذه المحتويات الّذي قد نَرْمُزُ إليه **بث**ط(ح)، والّذي هو أيضا لَمَعِيشٌ قصديّ ذو وجود وجودا باطنيّا.

ولنر الآن كيف يكون الأمر إذا كان (أ) هو إدراكا خارجيّا. فَحَتْمًا إنّ (أ) سيكون وحدة وَعْيِيَّةً باطنيّة. وإذ كلّ معيش في الوعي الباطنيّ إنّما قد يتعلّق به فعل مُحْضِرٌ ثاني الإحضار، ف(أ) أيضا هو متعلّق به فعل مُحْضِرٌ ثاني الإحضار. ولذلك فإنّ الحقيقة المرموز إليها **بدخ**(م)، إذا نُظِرَ إليها على أنّها دط[دخ(م)]، ظهر ظهورا بَيِّنًا أنّه هي أيضا هو مُتَعَلِّقٌ بِهَا هذه الحقيقة المَرْمُوزُ إليها **بث**ط[دخ(م)]. ثمّ إِنَّكَ لِتَعْلَمْ أنّه من لَوَازِمِ حقيقة الإدراك من حيث هو إدراك أن يتعلّق به أبدا فعل الإحضار ثاني الإحضار المُسَاوِقُ لَهُ، أي أن يتعلّق به فعل شأنه أن يُحْضِرَ ثاني الإحضار عَيْنَ الشّيء الّذي يكون مُدْرَكَ الإدراك. أمّا ثاني الإبداع، فهو اسم يُطْلَقُ لِيُدَلَّ به على فعل الإحضار ثاني الإحضار الوَعْيِيِّ الباطنيّ ذي الحقيقة المُضَادَّةِ لِحَقِيقَةِ السَّيَلاَنِ الأصليّ، ولِحَقِيقَةِ الانْطِبَاعِ. لِأَجْلِ ذلك كان من الممتنع ألبتّة أن نَصِفَ فعل الإحضار ثاني الإحضار لِأَمْرٍ ما شَيْئِيٍّ على أنّه فِعْلٌ خَالِقٌ له، على الحقيقة، تَارَةً أُخْرَى. إذ أنّ الفعل الطّبيعيّ إذا ما أُحْضِرَ ثاني الإحضار لم يَتَكَرَّرْ وجوده بالفعل، بل يكون مُتَذَكَّرًا وقَائِمًا بَيْنَ يَدَيْ الوَعْيِ في هَيْئَةِ الأمر المُحْضَرِ ثاني الإحضار.

ثمّ لِنُمْعِنْ الآن النَّظَرَ في هذه العلاقة البَاهِرَةِ بين ضَرْبَي الإحضار ثاني الإحضار المُخْتَلِفَيْنِ اخْتِلاَفًا بَيِّنًا، والوَاجِبِ المُقَايَسَةِ بينهما هاهنا:

فأوّلا، إنّ الحقيقة المَرْمُوزَ إليها **بث**ط[دخ]، أو المرموز إليها **بر**(دخ)، الّذي يُدَلُّ به على معنى ثاني الإبداع الباطنيّ للإدراك الخارجيّ، فهي توجد على جهة المقابلة للحقيقة المرموز إليها **بدخ**.

وثانيا، إنّ الحقيقة المرموز إليها بثخ الّذي يُدَلُّ به على معنى التّصوّر[١] للموضوع الخارجيّ الّذي قد يُرْمَزُ إليه بخ. ، فهي تُوجَدُ على جهة المُقَابَلَةِ للحقيقة المرموز إليها بدخ.

وأنت تعلم أنّه لَيُوجَدُ حكم ضروريّ يَقْضِي بأنّ ر(دخ)= ثخ. فَمَثَلاً إنّ الظّاهرات الّتي قد نَتَبَيَّنُهَا في ثاني الإحضار لِبَيْتٍ ما، هي عين الظَّاهِرَاتِ الّتي قد نَتَبَيَّنُهَا في ثاني الإبداع لِلْإِدْرَاكِ المتعلّق بهذا البيت.

وقد نَزِيدُ الآن إلى ما قد قيل هذا أيضا، إنّ الإشارة المُصَيِّرَةَ تَصْيِيرًا موضوعيّا[٢] قد تَتَّخِذُ:

أوّلا، هَيْئَةَ الرّويّة الباطنيّة، أو الإدراك الباطنيّ، الّذي هو إشارة إثباتيّة موضوعها ما يكون مُوعَى بِهِ وعيا باطنيّا. إذ الإشارة قد تَنْسَلِكُ في حياة الوعي، وقد تَتَّخِذُ الوعي الباطنيّ مادّة لها، وجميع الموضوعات كلّها الموجودة وجودا تَضَمُّنِيًّا في الوعي الباطنيّ بما هو وعي باطنيّ، فمن الجائز لها حينئذ أن تصير أمورا معطاة وموضوعة. وهو على هذا النّمط إنّما تصير الإحساسات الّتي هي محتويات حسيّة أمورا موضوعة، وهو على هذا النّمط أيضا إنّما تصير أمورا موضوعة كلّ الأفعال المُنْشَأَةِ على أنّها وحدات في الوعي الباطنيّ، أي المعاني الذّهنيّة[٣] في الوعي الباطنيّ، والمعاييش القصديّة فيه.

وثانيا، لقد عَلِمْتَ إذًا أنّه في الوعي الباطنيّ هو يوجد معاييش قصديّة كالإدراك، والحكم، والشّعور، والشّهوة، وهلمّ جرّا. وهو من الجائز لِهَذِهِ الوحدات أن تدخل دُخُولَ المادّة في فعل الرّويّة الباطنيّة، أي أنّه مَكَانَ أن تصير أمورا موضوعيّة في الرّويّة الباطنيّة، أو في الإدراك الباطنيّ المُشِيرِ هو إليها، فمن الممكن جدّا لِلْإِشَارَةِ أن تَنْسَلِكَ في قصديّتها، وأن تَسْتَحْوِذَ منها على

---

(1) Représentation.

(2) Objectivante.

(3) Cogitationes.

الموضوعات المشيرة هي، أي هذه الوحدات، إليها إشارة تَضَمُّنِيَّةٍ، وأن تصيّرها موضوعات مُشَارًا إليها إشارة وَاضِعَةً لِلأَمْرِ وَضْعًا موضوعيًا بَيِّنًا. والفعل الّذي يدخل دُخُولَ المادّة في فعل الرّويّة الباطنيّة قد يكون أيضا فعلا مُحْضِرًا ثاني الإحضار على جهة الخَوَاءِ[1]. وليس من المُمْتَنِع حَقًّا أنّ الذّكرى المُتَعَلِّقَة بِفَرَحٍ مَا، أو بِتَمَنٍّ مَا، فهي أوّل ما تَنْبَعِثُ، ذَهَبَتْ إِشَارَتُهَا رَأْسًا إلى الأمر الّذي كان قد رَاقَ فيما مضى، أو الّذي كان قد تُمُنِّيَ على أنّه ذلك الأمر، ولا يكون الغَالِبَ حينئذ فِعْلٌ تَصَوُّرِيٌّ فِعْلِيٌّ.

وبِهَذَا يظهر أنّه بالواجب إذًا أن نفرّق بين وجود المعيش وُجُودًا متقدّما عن كونه ظاهريًا، أي متقدّما عن الْتِفَاتِ الرَّوِيَّةِ إليه، وَوُجُودِهِ وُجُودَ الظّاهرة. إذ أنّ المعيش حينما يُلْتَفَتُ إليه لِيُنْتَبَهُ عَلَيْهِ، ويُحَاطُ به عِلْمًا، فهو يَتَجَدَّدُ له ضرب وجوديّ آخر، أي أنّه يصير مَعِيشًا مُصْطَفًى[2]، وبَارِزًا، وليس يُرَادُ هاهنا بالاصْطِفَاءِ إلاّ معنى الإِحَاطَةِ عِلْمًا، وكَوْنِ المعيش مُصْطَفًى إلاّ معنى كونه مُحَاطًا به علما، وكَوْنِهِ موضوعا عند النّظر المُنْتَبِهِ عليه الملتفت إلى المعيش. ولكن إِيَّانَا وأن نفهم أمر هذه التّفرقة على هذا الوجه، وهو أنّ المعيش بعد التفات النّظر المُنْتَبِهِ عليه، هو عين المعيش قبل أن يُلْتَفَتَ إليه، وكُلَّ الفرق أنّه بعد أن يُلْتَفَتَ إليه إنّما يُصْبِحُ فقط مُقْتَرِنًا به معيش آخر، أي معيش الإشارة إلى، كما لو لم يكن قد تَجَدَّدَ له حينئذ إلاّ مَحْضُ تَرْكِيبٍ. ولا نِزَاعَ في أنّه بعد التفات النَّظَرِ المُنْتَبِهِ على المعيش، فهو من الممكن جدّا أن نُفَرِّقَ تَفْرِقَةً بَيِّنَةً بين موضوع النّظر المُنْتَبِهِ عليه، أي المعيش (أ)، وهذا النّظر المنتبه بعينه. ولا نزاع في أنّنا لا نُخْطِئُ ألبتّة إذا قلنا هنالك بأنّ نظرنا كان أوّلا مُلْتَفِتًا إلى أمر آخر، ثمّ إنّه التفت إلى المعيش (أ)، وأنّ هذا المعيش (أ) من قبل أن يُلْتَفَتَ إليه إنّما قد كان موجودا ثَمَّ. ولكن لا بدّ أن نُنَبِّهَ أوّلا على أنّ عبارة «عَيْنِ المَعِيشِ» هي

---

(1) Acte de reprȩsentation ب vide.

(2) Distingué.

مُشْتَرِكَةٌ جدّا، وهي وإن صحّ الوصف بها في بعض المواضع، فذلك ليس بِمُبِيحٍ لنا إطلاقا أن نَدَّعِيَ أنّ العَيْنِيَّةَ الموصوف بها المعيش هي ذات صورة واحدة إذا ما نُظِرَ إليه على جهة حقيقته الفينومينولوجيّة.

وَلِنَزِدِ الأمر تَفْصِيلاً: إنّ النّظر المُنْتَبِهَ عَلَى، الّذي، كما قد قلنا، قد يكون مُلْتَفِتًا إلى هذه الجهة، أو هذه الجهة، إنما هو أيضا لأَمْرٌ من شأنه أن يُحِيطَ به علما، نَظَرٌ مُنْتَبِهٌ عَلَى[1]، ثَانٍ، فَيَنْقَلِبَ إذًا انقلابا أصليّا إلى مَوْضُوعٍ، وذلك في تَبيُّنٍ له تَبَيُّنًا أصليّا؛ وهنالك تكون مُقَايَسَةُ المَوْضُوعِ النَّظَرِ المُنْتَبِهِ عَلَى، إلى النَّظَرِ المُنْتَبِهِ عَلَيْهِ، وَمَا يَلْزَمُ منها من تَبَيُّنٍ أصليّ لِهَذِهِ العلاقة، إنّما هي لَظَاهِرَةٌ ثانية، شَأْنُهَا في ذلك، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، شَأْنَ المُقَايَسَةِ بين النّظر المنتبه على الموضوع، والمَوْضُوعِ بِشَرْطِ الوصف على أنّه غير مُنْتَبَهٍ عَلَيْهِ بَعْدُ بالنّظر، وما يلزم منها من تَبَيُّنٍ بأنّ التَّنَبُّهَ عَلَى المَوْضُوعِ، هو معنى يَنْضَافُ إلى مَوْضُوعٍ كان إلى الغَايَةِ خارج نَظَرِهِ، أي أنّها قد كانت هي أيضا لظَاهِرَةً ثانية.

وإنّا الآن قد عَقَلْنَا ما معنى أن يُلْتَفَتَ إلى الموضوع، كهذه الورقة مثلا، أو أن يُلْتَفَتَ بِخَاصَّةٍ إلى طَرَفٍ منها يكون بَارِزًا بروزا مَخْصُوصًا. واعْلَمَنْ أنّ الفرق في الموضوع بين ما يكون منه مُتَبَيَّنًا تَبَيُّنًا مخصوصا، وما لا يكون مُتَبَيَّنًا إطلاقا، هو ليس ألبتّة كالفرق الذّاتيّ في المعاني المختلفة في فعل التَّنَبُّهِ بِعَيْنِهِ. إذ أنّ الموضوع هو يُعْطَى في ضَرْبٍ تَنَبُّهِيٍّ، وهو من الجائز جدّا أن يُسَاقَ أيضا نظر التّنبّه نفسه لِيَقَعَ على هَيْئَةِ تَغَيُّرِ هذه الضّروب، على معنى أن يقع على ما قد تقدّم وصفه، أي على أنّه في هذا الموضوع، فَتَارَةً هذا الوجه منه هو المُتَّخَذُ مَوْضُوعًا، اتِّخَاذًا مَخْصُوصًا، وتَارَةً هذا الوجه، وأنّه ما في الموضوع الآن مُصْطَفًى، قد كان ثَمَّ من ذي قبل من غير أن يكون مُصْطَفًى، وأنّه كلّ معنى مصطفى الآن فإنّما هو ذو ظَهْرٍ[2]، أو مُحِيطٍ في هذا الكلّ الجمليّ

---

(1) Attention.

(2) Arrière - fond.

الموضوعيّ، وهلمّ جرّا. إذًا فهو من لوازم حقيقة الموضوع أن لا يكون قِوَامُهُ في ذاته، وأنّه لا يوجد مُجَرَّدًا عن الضّروب المُحْضِرَةِ له إطلاقا، أي أنّه لا يوجد مجرّدا عن هذا الإِمْكَانِ النِّهَايَةِ[١] في أن تُتَّخَذَ أوّلا هذه الضّروب على أنّها موضوعات، ثمّ هو يُمَرُّ منها إلى الموضوع بِعَيْنِهِ. وهو أيضا من لوازم حقيقة الموضوع الواحد والمتّفق الحقيقة، إذ وَعْيِي به إنّما يكون في سلسلة ما، أن يكون في قُوَّةِ الإشارة النّظريّة أن تَقَعَ وُقُوعًا مخصوصا على هذه السّلسلة من الضّروب الإِحْضَارِيَّةِ، وهلمّ جرّا.

إنّ أفعال الرّويّة هذه إنّما تحصل في وحدة وَعْيِيَّةٍ زمنيّة؛ ولقد قلت أنّ ما يُحَاطُ به عِلْمًا إِحَاطَةً مُتَجَدِّدَةً قد كان ثَمَّ من ذي قبل، وهو موجود فيما قد تقدّمت الإحاطة به علما، وصَحَّ على أنّه ظَهْرٌ، وهلمّ جرّا. إنّ كلّ تغيير تغيير في التَّنَبُّهِ، فهو يَدُلُّ على اتّصاليّة من القصديّات، وأيضا هو يوجد وحدة يُحَاطُ بها علما في هذه الاتّصاليّة، أي وحدة مُنْشَأَةٌ، ألا وهي وحدة الشّيء الواحد المتّفق الحقيقة الّذي ليس يمكنه أن يَحْضُرَ إلاّ في تغيّرات تَنَبُّهِيَّةٍ مختلفة، والّذي في كلّ مرّة هو هناك معنى ما منه مختلف، أو جزء مختلف إنّما يُصْطَفَى أو يُوقَعُ عليه الضّوء.

فَأَيُّ شَيْءٍ لَيْتَ شِعْرِي فعل التّنبّه إن لم يكن سَيَلاَنِيَّةَ ضُرُوبٍ مَا مُخْتَلِفَةٍ لِلْوَعْيِ من حيث هو وعي، وإن لم يكن عَيْنَ اجتماع مُدْرَكَاتٍ مَا في صورة الشّيء الواحد المتّفق الحقيقة، وأنّ كلّ واحد منها، أي من هذه المُدْرَكَاتِ، هو لَذُو ضَرْبٍ تَنَبُّهِيٍّ مَخْصُوصٍ؟ إذًا، فما مَعْنَى أن يُتَرَوَّى في هذا المعنى «الاِلْتِفَاتُ فِي التَّنَبُّهِ عَلَى»؟ إنّه في الأوّل، الضُّرُوبُ التَّنَبُّهِيَّةِ هي تَسِيلُ سَيَلاَنًا سَاذِجًا: وأنا حين سَيَلاَنِهَا إِنَّمَا أكون مُلْتَفِتًا إلى الموضوع الظّاهر فيها. وفي الثّاني، فالإشارة النّظريّة المُصَيِّرَةُ مَوْضُوعِيًّا هي تَقَعُ على سلسلة الضّروب نفسها، وأنا أكون

(1) Possibilité idéale.

حينئذ قادرا على أن أَشُقَّهَا في الذِّكْرَى مِرَارًا كَثِيرَةً، وهذه السّلسلة من حيث هي سلسلة فهي لَذَاتُ وِحْدَةٍ أيضا.

تكملة ثالثة عشرة: في نشأة الوحدات الفعليّة الّتي هي موضوعات زمنيّة باطنيّة، وفي الحكم الّذي هو صورة زمنيّة، وفي الوعي المطلق المُنْشِئِ لِلزَّمَنِ[ش]

إنّه إذا كان حُكْمٌ، مثلا «2x2 = 4»، فالمُشَارُ إليه في الحكم من حيث هو مُشَارٌ إليه إنّما هو معنى لا زمنيّ؛ والمعنى الواحد قد يُشَارُ إليه في أحكام لا تُحْصَى على أنّه عين المعنى الواحد الّذي قد يكون إمّا صادقا أو كاذبا. فَلْنَضَعْ أنّ المعنى الواحد هو القضيّة، والحكم هو مُتَعَلَّقُ القضيّة. إذًا أفمن الصّواب أن نقول في القضيّة إنّها الفعل الحكميّ؟ أي أنّها هي الوعي الّذي فيه إنّما يشار إلى القضيّة «2x2 = 4»؟ كلاّ. بل لِنَنْظُرْ: فَمَكَانَ أن يُلْتَفَتَ إلى الأمر المُشَارِ إليه من حيث هو مشار إليه، فَلْيُلْتَفَتْ إلى الفعل الحكميّ(F)، أي إلى الفعل(G) الّذي فيه إنّما تُعْطَانَا القضيّة «2x2 = 4». وحينئذ فَسَنَتَبَيَّنُ حصول هذا الفعل(G)، أي أنّه يُبْدَأُ أوّلا بِإِنْشَاءِ تَعَقُّلٍ لِلْمَوْضُوعِ «2x2»، وإذا ما تَمَّتْ نشأته، اتُّخِذَ أصلا لِيُوضَعَ بعدها «مُسَاوٍ لِأَرْبَعَة». إذًا، فالفعل الحكميّ هو فعل فِعْلِيٌّ[١] إِنْشَائِيٌّ، له بداية، ومواصلة، وانْقِطَاعٌ. ولكن لِتَعْلَمْ أنّ ما يُنْشَأُ في الفعل الحكميّ ليست القضيّة المنطقيّة، بل إنّ القضيّة المنطقيّة إنّما هي الأمر المُشَارُ إليه في هذا الفعل. فالمُنْشَأُ هو غير المُشَارِ إليه، والأمر المُنْشَأُ في الفِعْلِيَّةِ[٢] إنّما هو أوّلا «2x2»، ثمّ هو يُنْشَأُ على هذا الأوّل «2x2 = 4» ثانيا. أي أنّه في الفعل الحكميّ

(ش)تكملة ذات صلة بالباب الخامس والأربعين من الكتاب (إشارة من المترجم الفرنسيّ).

(1) Activité spontanée.

(2) Formé dans la spontanéité.

هناك أوّلا حصول حصولا فعليّا، أي حصول في الوعي الفعليّ، للوعي ب «2x2»، وبِأَخَرَةَ يكون حُصُولٌ لِلْوَعْيِ ب«2x2=4». وليس يكون قد تَمَّتْ هذه النّشأة حتّى يَتَصَرَّمَ هذا الفعل إلى الماضي، ويهوي فيه هُوِيًّا.

وبَيِّنٌ أنّ ما يكون قد تَمَّتْ نشأته حينئذ ليس هو فعل(G) الإنشاء نفسه، وإلاّ فَسَيَكُونُ وصفنا للأمر بِإِيقَاعِنَا عليه هذه العبارة المَجَازِيَّةَ الإِنْشَاء هو وصف غير صواب. وهو من الجائز جدّا، أيضا لِلنَّظَرِ أن يكون مُتَنَبِّهًا على الوعي المتّصل الوجود، أو على وحدة الوعي المتّصل الوجود، كما كُنْتَ قد عَلِمْتَ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، أنّه في إِدْرَاكٍ لِنَغَمٍ ما مثلا، فهو من الجائز جدّا للنّظر أن يكون مُتَنَبِّهًا على الوعي المتّصل، أيْ على السّيلان المتّصل لِلظَّاهِرَاتِ، ولا يكون متنبّها على الأصوات بِعَيْنِهَا. ولكن هذا الفعل ليس هو الظّاهرة الّتي تمّت نشأتها حين تَمَام الفعل(G)، والّتي فيها إنّما تكون الإشارة إلى «2x2=4». وقِسْ لِأَجْلِ ذلك، على الفعل(G) الوَعْيِيِّ المُنْشِئِ لِظُهُورِ حركة اليد مثلا، فهو أيضا ليس هو الظّهور بعينه الّذي فيه إنّما تظهر حركة اليد. بل إنّ الظّهور في حركة اليد هو يُنَاسِبُهُ في الحكم «2x2=4» الإشارة اثنان واثنين يُسَاوِي أربعة، أي يُنَاسِبُهُ الحَمْلُ المُبَيِّنُ الّذي فيه إنّما يظهر وجود الأمر على صِفَةٍ بعينها. وأنت تعلم أنّ أطوار الفعل(G) الوَعْيِيَّةِ هي لا تُوجَدُ في الوِحْدَةِ الظُّهُورِيَّةِ لِحَرَكَةِ اليد، بل إنّ الّذي يُوجَدُ في هذه الوحدة الظّهوريّة إنّما هي الأطوار الظّهوريّة المُنْتَشِئَةُ في أَطْوَارِ الفِعْلِ(G) الوَعْيِيَّةِ. كذلك في فعل(G) الوعي الحُكْمِيِّ، أي قي سيّال الوعي الحكميّ، هي تَنْتَشِئُ أجزاء الحَمْلِ[1]، أي حَدٌّ هو الموضوع[2]، وحَدٌّ هو المحمول[3]، وهلمّ جرّا. وهذا الحدّ، الموضوع، في الحكم، أي في الحكم الّذي هو إشارة حُكْمِيَّةٌ ذات وحدة، فهو بَعْدَ أن يَنْتَشِئُ إنّما يكون داخلا

---

(1) Prédication.

(2) Sujet.

(3) Prédicat.

دخولا مُقَوِّمًا لِلْإِشَارَةِ الحُكْمِيَّةِ، ولو كان الوعي المُتَعَلِّقُ بِهَذَا الحدّ ما يَنْفَكُّ يَتَغَيَّرُ؛ وقِسْ لأجل ذلك على الظّهور المتعلّق بالطّور الأوّل في ظهور حركة ما حيث أنّ الظّهور الأوّل هو داخل دخولا مُقَوِّمًا لِظُهُورِ الحركة الّتي ما تَنْفَكُّ تَذْهَبُ في الهُوِيِّ، أمّا الإِنْشَاءَاتُ الوَعْيِيَّةُ الّتي فيها يَنْتَشِئُ هذا الظّهور الأوّل في صورة الطّور المُتَّصِلِ الهُوِيِّ في الحركة، فليست بِجُزْءٍ في ظهور الحركة إطلاقا.

فبالواجب إذًا أن نَتَبَيَّنَ هذين الأمرين المختلفين أوّلا:

فأوّلا: سيّال الوعي.

وثانيا: ما يَنْتَشِئُ في سيّال الوعي.

وأن نتبيّن هذين الأمرين المختلفين ثانيا:

فأوّلا: الحكم الّذي هو ظهور مُنْتَشِئٌ، أو الإشارة المتعلّقة ب«$2x2=4$» الّتي هي فعل(G) ذُو حُصُولٍ.

وثانيا: ما قد تَمَّ حُصُولُهُ، بعد الفعل، أي الحكم الّذي قد تَمَّتْ نشأته والحاصل، أي الحَمْلُ المُتَمَّمُ.

فَبَانَ مِمَّا قِيلَ أنّ الحكم هو وحدة لِفِعْلٍ(G) في الزّمن الباطنيّ، وهو فعل(G)، وليس بِسَيَّالٍ وَعْيِيٍّ، بل إنّه فعل يَنْتَشِئُ في سيّال الوعي، وله ابْتِدَاءٌ وانْقِضَاءٌ، وإذا ماانقضى، دخل في الماضي، كالحركة، فأوّل ما تَتِمُّ تدخل في الماضي أيضا. أمّا الفرق بين الحكم والحركة، أنّه إذا كان ظُهُورٌ لِصَيْرُورَةٍ تُدْرَكُ بالحسّ، فَلَكَ أبدا أن تَضَعَ في كلّ طور من أطوارها جَوَازَ انقلاب الصّيرورة إلى ثبات، أو الحركة إلى سكون. أمّا الحكم، فمن الممتنع إطلاقا أن يُوصَفَ بالسّكون في أيّ طور من أطواره.

ثمّ إنّه لا بدّ أن نزيد الأمر فضل بيان: فاعلم أنّه في كلّ فعل(E) في الفعليّة هو يظهر شيء مُتَجَدِّدٌ، وهذا المتجدّد هو لِلْآنِ السَّيَّالِيِّ لَبِمَنْزِلَةِ الإحساس الأصليّ الّذي يجري عليه الحكم الكبير للوعي، أي أن يَعْتُورَهُ الخُفُوتُ. والفعليّة الّتي

إنّما تفعل على مَرَاتِبِ في سيّال الوعي هي تُنْشِئُ موضوعا زمنيّا، وبالاضطرار هو موضع ذو صيرورة، أو هو فعل(G) : على معنى أنّ هذه الفعليّة هي لا تُنْشِئُ إطلاقا موضوعا يوجد في الزّمن، بل حَتْمًا، فِعْلاَ لَيْسَ غير. وهذا الفعل(G) شأنه الهُوِيُّ في الماضي. فَلْنُمْعِنْ النّظر في هذا الأمر: إنّي لو بدأت بِوَضْعِي شيئا ما، فإنّ هذا الوضع الفِعْلِيَّ[1] يكون آنا في الزّمن الباطنيّ ما يَلْبَثُ أن يَهْوِي هُوِيًّا. وليس من شكّ أنّه لا يمكن أن تَنْتَشِئَ وحدة جُمْلَةِ الفعل(G) الحكميّ في الزّمن الباطنيّ إلاّ إذا عَلِقَ بهذا الوضع الفعليّ الهَاوِي، الانْحِفَاظُ، وليس يُرَادُ ألبتّة بالانحفاظ، الإِبْقَاءُ على الوضع الأصليّ الّذي يكون قد اعْتَرَاهُ التّغيير الزّمنيّ الباطنيّ، بل إنّما هو صورة مُتَخَلِّلَةٌ لِلْوَعْيِ؛ والبَاهِرُ في هذا الأمر أنّ ما يَنْتَشِئُ في هذه الظّاهرة المتّصلة ليس فقط هُوِيُّ الطّور الأصليّ، بل إنّ الوَعْيَ المتعلّق بالأمر المُتَعَيِّنِ، البَاقِيَ والمُتَّصِلَ الوجود، إنّما يُنْشِئُ هذا الأمر المتعيّن على أنّه شيء موضوع، وعلى أنّه يبقى في الزّمن. وتفسيره: إنّ الوضع الأصليّ، وَمَدَّ الوضع الأصليّ إنّما يدخلان في تَكْوِينِهِمَا لاِتِّصَالِيَّةِ فِعْلِيَّةٍ(A) تكون مُنْبَنِيَةً انبناء حقيقيّا على فعل(G) الهُوِيِّ الزّمنيّ الّذي به يَنْخَسِفُ في السّيلان الزّمني أوّلا، الطّور الأصليّ، وأطوار الحِفْظِ العَاقِبَةُ له، وثانيا، ما يكون هذه الأطوار آخِذَةً له معها في صورة تصوّرات، كالحدوس، والتَّصَوُّرَاتِ الخَاوِيَةِ، أو في صورة تغييرات تَصَوُّرِيَّةٍ مُنْطَوِيَةٍ تحتها. فهو يكون أوّلا فِعْلٌ(E)، ثمّ هو يواصل البقاء على أنّه فعل(E)، أي فعليّة(A)، في هَيْئَةٍ أخرى، ثمّ إنّه يَطْرَأُ فِعْلٌ(E) آخر شأنه أن يَتْبَعَ كلّ ذلك السّيلان الفعليّ[2]، كَفِعْلِ وَضْعِ المَحْمُولِ مثلا. وإذا مَا تَمَّ فِعْلُ التَّكْوِينِ، كَفِعْلِ وَضْعِ المَحْمُولِ مثلا، فَالأَثَرُ لا يكون الفِعْلِيَّةَ(A) الثّانية الّتي هي الأصل المخصوص لِوَضْعِ المحمول؛ بل إنّ هذا الوضع هو لَذُو موضوع: إذ أنّه في عَيْنِ الطّور الزّمنيّ الباطنيّ الحاصل في

(1) Saisie spontanée.

(2) Ecoulement spontané.

الوضع الحمليّ، هو يكون حاصلا حصولا حَقِيقِيًّا وضع الموضوع، ولكن ليس على هَيْئَةِ الوضع وضعا أصليّا له، بل على هَيْئَةِ الفِعْلِيَّةِ الحِفْظِيَّةِ(H)، وعلى هيئة الأمر المُتَغَيِّرِ. وهو على مثل هذا الوضع لِلْمَوْضُوعِ إنّما يَنْبَنِي الوضع الأصليّ الحَمْلِيِّ الّذي يدخل معه حينئذ في إنشائهما لِهَذِهِ الوحدة، أي وحدة الحكم كُلِّهِ الّتي هي طور موجود في الفعل(G) الزّمنيّ، وهي معنى يكون فيه الحكم قد تَمَّ الآن حصوله. وإذا ما أخذ هذا المعنى في الهُوِيِّ، فلا ينقطع الحكم، أي أنّه هناك مَدٌّ حِفْظِيٌّ[١] لِلْحُكْمِ يَعْلِقُ بالآن النّهَايَةِ[٢] الّذي اكتمل فيه الحكم، كما في التّغييرات الزمنيّة، وبهذا التَّصْوِيرِ الزّمنيّ نوعا من التّصوير، يَصِيرُ الحكم ذا انْتِشَارٍ أكبر. وقد يعلق أيضا بهذا الآن النّهاية صُوَرٌ حُكْمِيَّةٌ أخرى أَعْلَى، أو هي قد تَنْبَنِي على الحكم، وهلمّ جرّا.

فظهر إذًا أنّ الحكم من حيث هو موضوع باطنيّ في الوعي الباطنيّ الزّمنيّ، إنّما هو وحدة فعل(G)، أي وحدة متّصلة من الوضع، أي الوضع الحكميّ، ثَابِتَةٌ، يكون فيها حُصُولٌ لِمَعْنَيَيْنِ حُصُولِيَّيْنِ اثنين، أو أكثر منهما، شأنهما أن يَضَعَا وضعا أصليّا. وهذا الفعل(G) قد يَمْتَدُّ في انْتِشَارِيَّةٍ زمنيّة مُجَرَّدَةٍ من تِلْكُمُ المعاني، وهذه الانتشاريّة هي الوعي بالحكم وعيا لاَ فَاعِلاً[٣]، والاعتقاد في الّذي كان قد وَرَدَ إلى الوعي وُرُودًا أصليّا، وَأَوْرَدَهُ إليه مَعَانِي التَّحْصِيلِ الفعليّة. وإذ تَقَرَّرَ أنّ كلّ حكم، أي كلّ حَمْلٍ لا يوجد إلاّ إذا كان في فِعْلٍ(G) كالفعل الموصوف، لَزِمَ إذًا أنّه كلّ حكم لا يوجد إلاّ إذا كان هناك مَسْكٌ اضْطِرَارًا.

اعْلَمْ أنّ الصّورة الّتي بها تَنْتَشِئُ الوحدة الفعليّة[٤]، أو الحكم الحَمْلِيُّ، انْتِشَاءَ الموضوع الزّمنيّ الباطنيّ، إنّما تختلف اختلافا بَيِّنًا عن الصّورة الّتي بها يَنْتَشِئُ

---

(1) Extension de la conservation.

(2) Ultime instant.

(3) Inactif.

(4) Unité spontanée.

الفعل(G) الحسّيّ، أو التّعاقُبيَّةُ المُتَّصِلَةُ. إذ أنّه في المثال الثّاني، فالأصليّ الّذي هو النُّقْطَةُ اليَنْبُوعُ للآن الزّمنيّ المُتَجَدِّدِ المَلْإِ أبدا، فإمّا أن يكون هو مُطْلَقَ الطّور الحسيّ الّذي مُتَعَلَّقُهُ هو المحتوى الأوّليّ في الآن، وإمّا طور كهذا الطّور، مُلْتَبِسًا بِصُورَةٍ أَخْذِيَّةٍ مُصَيِّرَةٍ إيّاه على أنّه الطّور الأصليّ في الظّهور. أمّا في الحكم، فالأصليّ إنّما هو فِعْلِيَّةُ الوَضْعِ(١) الّذي يكون موضوعه مادّة ما أيّا كانت تُعْطِيهَا الانْفِعَالِيَّةُ(٢). وهو من أجل ذلك كانت إنشائيّة الحكم هي أكثر تَرْكِيبًا من إنشائيّة الفعل(A) الحسيّ.

وقد تَعْلَمُ أنّ الأَصْلِيَّةَ(٣) الدَّاخِلَةَ في النّشأة الحُكْمِيَّةِ هي أَصْلِيَّتَانِ. إذ أنّه ما يُنْشِئُ الإِنْشَاءَ الأصليّ لِلْحُكْمِ بما هو صورة زمنيّة إنّما هو اتّصاليّة الوَضْعِ الّذي لِكَوْنِهِ وَضْعًا، فهو لا ينقطع عن الإعطاء إعطاء أصليّا. إذًا فالمعاني المتّصلة لِلْحُكْمِ المناسبة لِنُقَاطِ زمن الحكم هي تَنْتَشِئُ في الوعي بالزّمن، وما له من مِسَالِكٍ، في هَيْئَةِ الصّورة الزّمنيّة. ولكن هو لَأَمْرٌ ضروريّ أن نُفَرِّقَ معاني الفِعْلِيَّةِ(٤) بِحَقِّ الّتي هي أَثَرُ الفِعْلِيَّةِ الفَاعِلَةِ(٥)، من المعاني المتّصلة لِفِعْلِيَّةِ الحِفْظِ(H) الّتي شأنها أن تَحْفَظَ ما كان قد فُعِلَ. وهذه التّفرقة إنّما هي تفرقة في الصّورة الزّمنيّة المُنْشَأَةِ الّتي فيها قد تختلف النّقاط اليَنَابِيعُ، وهي أيضا، لا محالة، لَتَفْرِقَةٌ في الوعي المُنْشِئِ لِلزَّمَنِ الّذي من شأن الأطوار الأصليّة فيه أن تَنْقَسِمَ إلى ضربين اثنين: ضَرْبٍ مُبْدِعٍ، وضرب لاَ فَاعِلٍ.

وبعد أن نُسَلِّمَ بأنّ المعنى الحُكْمِيَّ قد بان فيه كيف هو صورة زمنيّة، على خِلاَفِ الوعي المطلق المُنْشِئِ للزّمن، وكيف هي أيضا المُخَالَفَاتُ لِأَفْعَالِ

---

(1) Spontanéité de la position.

(2) Affection.

(3) Originarité.

(4) Moments actifs.

(5) Spontanéité opérante.

أخرى فعليّة، فهو من الجائز أن نقول بأنّ هذا الحكم إنّما هو إِشَارَةٌ، أو هو لأَمْرٌ شَبِيهٌ بالظّهور الموضوعيّ الباطنيّ الّذي فيه قد يظهر مثلا الشّيء المكانيّ الزّمانيّ الخارجيّ. فالمُشَارُ إليه هو يظهر، نوعا ما، في هذه الإشارة، وهو في هذه الإشارة «2x2=4» إنّما يظهر على التّخصيص حَالُ الشَّيْءِ القَضِيَّةُ[١] الّتي قد تُصَوَّرُ تَصْوِيرًا مختلفا. ولكن حال الشّيء القضيّة هي ليست بِشَيْءٍ، ولا بأمر زمنيّ موضوعيّ مُفَارِقٍ أو بَاطِنِيٍّ. وهي قد يُشَارُ إليها في زمن ما، أمّا في نفسها فَلَيْسَتْ بأمر زمنيّ إطلاقا. والإِشَارَةُ المتعلّقة بها لَذَاتُ مَبْدإٍ وَخَتْمٍ. أمّا هي، فليست ألبتّة بذات مبدإ أو ختم. وهو من لوازم حقيقة حال الشّيء القضيّة أنّها قد تكون موضوع الوعي، أو أن تُعْطَى له على أنحاء مختلفة؛ إذ هو من الجائز فيها أن تُصَوَّرَ تَصْوِيرًا ما، وأن تكون موضوع الوعي في فِعْلِيَّةٍ[A] مُنْشَأَةٍ إِنْشَاءً مُعَيَّنًا. وهذه الفعليّة[A] المُنْشَأَةُ الّتي هي صورة زمنيّة باطنيّة، فقد تسيل سيلانا أسرع أو أبطأ، وقد يُوعَى بها أيضا وَعْيًا لا فَاعِلاً، وهلمّ جرّا.

ثمّ اعلم أنّ الصّورة الزّمنيّة الفعليّة[٢]، فَمِثْلُهَا مثل سائر الموضوعات الباطنيّة جميعا، لَهَا صِنْوُهَا[٣] في التَّغْيِيرِ المُبْدِعِ ثاني الإبداع. إذ أنّ تخيّل الحكم هو أيضا لَصُورَةٌ زَمَنِيَّةٌ، كَكُلِّ تخيّل آخر. والمعاني الأصليّة الدّاخلة في إنشائه إنّما هي تَخَيُّلاَتٌ أصليّة، خِلاَفًا للتّغييرات العَالِقَةِ بها من قريب[٤]، أي خلافا للتّغييرات المَسْكِيَّةِ. وَلَكَ أن تَتَبَيَّنَ أيضا أنّه حينما يَنْتَشِئُ التّخيّل انْتِشَاءَ الموضوع الباطنيّ، فقد يَقْتَرِنُ بِانْتِشَائِهِ انْتِشَاءُ شِبْهِ الموضوع الباطنيّ، أو الأَمْرِ المُتَخَيَّلِ في الباطنيّة، أي في شبه الزّمن الباطنيّ للتّخيّل، وذلك لِمَكَانِ مَا لَهُ، وهو التّخيّل، من قصديّة مخصوصة إحضارها ثاني الإحضار على جهة

---

(1) Etatdechose propositionnel.

(2) Forme temporelle spontanée.

(3) Pendant.

(4) Immédiat.

التَّوَقُّفِ[1]. ولاَ رَيْبَ في أنّ التّخيّل الّذي هو تَغْيِيرٌ مُحْضِرٌ ثاني الإحضار للظّهور، إنّما قد يقترن به أيضا انْتِشَاءُ وحدة الموضوع المُتَخَيَّلِ المُفَارِقِ، أو لِنَقُلْ وحدة الموضوع المكانيّ الزّمانيّ المُتَخَيَّلِ. وقد يقترن به أيضا انتشاء وحدة حال الشّيء المُتَخَيَّلَةِ، إمّا بأن تكون مُعْطَاةً شِبْهَ مُعْطَاةٍ في شِبْهِ حُكْمٍ إِدْرَاكِيٍّ، أو بِأَنْ تُتَعَقَّلَ شِبْهَ التَّعَقُّلِ في حُكْمٍ تَخَيُّلِيٍّ من نَمَطٍ آخَرَ.

(1) Neutralisé.

هوامش مكرّرة

(A) Spontanéité.

(A1) Ici.

(B) Idéalement.

(C) Moments, moments originaires.

(D) Champ, Champ originaire .

(E) Acte.

(F) Acte du jugement.

(G) Processus.

(H) Spontanéité de conservation.

فهرس بأهمّ الألفاظ الصّناعيّة المستعملة في كتاب دروس في فينومينولوجيا الوعي الباطنيّ بالزّمن، وقد رتّبناها على حسب ترتيبها في اللّغة الألمانيّة

اللّفظ كما اجتهدنا في نقله إلى العربيّة	اللّفظ في النّقل الفرنسيّ	اللفّظ في الأصل الألمانيّ
سَيَلاَنٌ	*Écoulement*	*Ablauf*
مُطَابِقٌ	**Adéquat**	*Adäquat*
فِعْلٌ	**Acte**	*Akt*
حَدْسٌ	**Intuition**	*Anschauung*
تَبَيُّنٌ	**Aperception**	*Apperzeption*
تَوَاصُلٌ	*Association*	*Assoziation*
أَخْذٌ، وقد جمعته على إِخَاذ، وهو جمع كثرة، كفِعَال جمع كثرة لفَعْل.	**Appréhension**	*Auffassung*
مَعْنَى الأَخْذ	**Caractère d'appréhension**	*Auffassungcharakter*
وَعْيٌ	**Conscience**	*Bewusstsein*
مُعْطَى، مُعْطَيَات	*Datum, data* وهذه عبارة لاتينيّة، وهي اسم مفعول من فعل *Do, dare*	*Datum, data* وهذه عبارة لاتينيّة، وهي اسم مفعول من فعل *Do, dare*

Dauer, dauernd	**Durée**	مُدَّةٌ
Deckung	**Recouvrement**	مُطَابَقَةٌ
Deskriptivpsychologie	**Psychologie descriptive**	عِلْمُ النَّفْسِ الوَصْفِيِّ
Die Ausschaltung	**Mise hors circuit**	إِسْقَاطٌ
Empfindung, empfinden	**Sensation, sentir**	حِسٌّ، إِحْسَاسٌ
Empfundenes	**Senti**	مُحَسٌّ مَحْسُوسٌ
Erinnerung	**Souvenir**	تَذَكُّرٌ
Erlebnis	**Vécu**	مَعِيشٌ
Erscheinung	**Apparition**	ظُهُورٌ
Erwartung	**Attente**	تَرَقُّبٌ
Evidenz	**Évidence**	بَدَاهَةٌ
Folge	**Succession**	تَعَاقُبٌ
Fundierung	**Fondation**	تَأْسِيسٌ
Gebung	**Donation**	إِعْطَاءٌ

Gegenwart	**Présent**	حَاضِرٌ
Gegenwärtigung	**Présentation**	إِحْضَارٌ
Gleichzeitigkeit	**Simultanéité**	الاقْتِرَانُ في الزَّمَنِ
Identität	**Identité**	وِحْدَةُ الحَقِيقَة، أو الهُوهُو، أو الهوهويّة. تنبيه ويُخْطِئ من ينقل اللّفظة الفرنسيّة أو غيرها في اللّغة الألمانيّة أو الأنجليزيّة، بالعبارة الشّائعة اليوم، أي الهُويَّة. إذ هذه اللّفظة إنّما كانت تدلّ عند فلاسفة المسلمين والمتكلّمة على الوجود، والموجود. انظر كلام الفارابي في عبارة الهويّة في موضع من كتابه

		المعروف بالحروف. وكذلك بحث ابن رشد في هذه اللّفظة في موضع من شرحه على ما بعد الطّبيعة في أثناء ردّه على بِدْعَة ابن سينا في تفرقته بين الماهية والوجود.
Immanenz	**Immanent**	بَاطنيّ
Inhalt	**Contenu**	مُحْتَوَى
Individualität	**Individualité**	شَخْصِيَّة
Jetzt	**Maintenant**	الآن
Konstitution	**Constitution**	إِنْشَاءٌ، أَوْ نَشْأَةٌ، أو التّشَاءّ
Kontinuität, Kontinuum	*Continuité, Continuum*	اتِّصَالِيَّةٌ، مُتَّصِلٌ
Meinung, meinen	**Viser, visée**	الإشارة، المُشَارُ إِلَيْه
Modifikation	*Modification*	تَغْيِيرٌ
Nachklang	*résonance*	رَجْعٌ صَوْتِيٌّ

Objekt	**Objet**	مَوْضُوعٌ
Objektivation	*Objectivation*	التَّصْيِيرُ مَوضُوعيًّا
Objektivität	**Objectivité**	المَوْضُوعِيَّةُ
Phänomen	**Phénomène**	الظَّاهِرَةُ
Phantasie	**Imagination**	التَّخَيُّلُ
Phantasma	*Phantasme*	صُورَةٌ خَيَالِيَّةٌ
Phase	*Phase*	طَوْرٌ
Primärinhalt	*Contenu primaire*	مُحْتَوَى أَوَّلٌ
psychisch	*Psychique*	نَفْسِيٌّ
Psychologisch	**Psychologique**	نَفْسَانِيٌّ
Qualität	**Qualité**	كَيْفٌ
Raum	**Espace**	مَكَانٌ
Real	**Réel**	وَاقِعِيٌّ
Reflexion	**Réflexion**	رَوِيَّةٌ
Regress	*Régression*	القَهْقَرَى
Retention	*Rétention*	مَسْكٌ، وجَمْعُ الكَثْرَةِ مسَاكٌ

Sachverhalt	État de choses	حَالُ الشَّيْءِ
Soeben gewesen	*Tout juste passé*	هذا الّذي قد مضى من قريب
Stoff	**Matériau**	مَادَّةٌ
Subjektivität	**Subjectivité**	ذَاتِيَّةٌ
Sukzession	***Succession***	تَعَاقُبٌ
Strecke	*Dégradé*	خُفُوتٌ
Temporalzeichen	**Signes de temps**	عَلَامَاتٌ زَمَنِيَّةٌ
Transzendent	**Le transcendant**	المُفَارِقُ
Urimpression	*Impression originaire*	انْطِبَاعٌ أَصْلِيٌّ
Ursprung	**Origine**	أَصْلٌ
Veränderung	**Changement**	تَغَيُّرٌ
Vergegenwärtigung	*présentation—Re* **Henri** وهذه ترجمة **Dussort**، أمّا ترجمة **Paul Ricoeur**، فكانت ***Présentifcation :*** انظر التّرجمة الفرنسيّة لكتاب	ثَانِي إِحْضَارٍ

	الأفكار.	
Vergleichung	*Comparaison*	مُقَايَسَةٌ
Vorstellung	**Représentation**	تَصَوُّرٌ
Wahrnehmung	**Perception**	إِدْرَاكٌ
Zeit	**Temps**	زَمَنٌ
Zukunft	*Futur*	مُسْتَقْبَلٌ

الفهرس

القسم الأوّل

دروس سنة ١٩٠٥ في فينومينولوجيا الوعي الباطنيّ بالزّمن

القسم الثّاني

تكملات مُتَرَتِّبَةٌ من لَدُنْ سنة ١٩٠٥ إلى سنة ١٩١٠

هذا الكتاب

كما نصف بالمُحَسّ كلّ معطى فينومينولوجيّ إذا اقترن بالأخذ جعلنا نعي بشيء ما موضوعيّ على أنّه معطى بشخصه، فيُسَمّى لذا بالمُدْرَكِ إدراكا موضوعيّا، كذلك وعلى هذا القياس، فلنا أن نَتَبَيَّنَ ضربين اثنين من الزّمنيّ، ضربا أوّلا وهو الزّمنيّ المُحَسُّ، وضربا ثانيا وهو الزّمنيّ المُدْرَكُ. والمقصود بالثّاني الزّمن الموضوعيّ، والأوّل نفسه ليس بزَمَنٍ موضوعيّ ولا بِمَوْضِعٍ في الزّمن الموضوعيّ: بل إنّه مُعْطَى فينومينولوجيّ إذا اقترنَ بالأخذ التَّجْرِبيّ أنْتَشَأَتْ كلّ علاقة بالزّمن الموضوعيّ. فالمعطيات الزّمنيّة، أو العلامات الزّمنيّة لِمَنْ يقول بها، ليست هي الأزمان عينها.